

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

# نهاية البلاغ

في

فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

الجزء الرابع عشر

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م

جزء  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ

# فهرست

## الجزء الرابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الخامس فيما كان بعد موسى	
١ ... .. ابن عمران عليهما السلام	١
١ ... .. ذكر خبر يوشع بن نون عليه السلام وفتح أريحا وغيرها	١
٦ ... .. ذكر خبر حزقيل عليه السلام	٦
٩ ... .. ذكر خبر إلياس عليه السلام	٩
ذكر دعاء إلياس على قومه وما حل بهم من القحط وخبر اليسع حين	
٢٤ ... .. أتبع إلياس	٢٤
ذكر رفع البلاء عن قوم إلياس بدعوته واستمرارهم على الكفر ورفع	
٢٦ ... .. إلياس وهلاك آجاب الملك وأمرأته، ونبوة اليسع	٢٦
٢٨ ... .. ذكر نبوة اليسع عليه السلام	٢٨
٣١ ... .. ذكر خبر عيلي وأشمويل وما يتصل بذلك	٣١
٣٢ ... .. ذكر ابتداء أمر أشمويل وكيف كانت نبوته	٣٢
٣٦ ... .. ذكر خبر الملك طالوت وإتيان التابوت وخبر جالوت	٣٦
٣٨ ... .. ذكر قصة التابوت وصفته وما قيل فيه	٣٨
٤٢ ... .. ذكر إتيان التابوت إلى بني إسرائيل وسبب عوده	٤٢
٤٤ ... .. ذكر مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذي آبتلوا به	٤٤
٤٥ ... .. ذكر خبر داود حين قتل جالوت الملك	٤٥

صفحة

ذكر خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلى بني إسرائيل وما خصه	
الله عز وجل به ... ..	٥٤
ذكر خبر داود عليه السلام حين آبتلى بالخطيئة ... ..	٦١
ذكر ميلاد سليمان بن داود عليهما السلام ... ..	٧٠
ذكر خبر أبشالوم بن داود ... ..	٧٠
ذكر خبر الزرع الذي رعته الغنم وما حكم فيه سليمان عليه السلام ...	٧٢
ذكر خبر الذين أعتدوا في السبت ... ..	٧٣
ذكر استخلاف داود أبنه سليمان عليهما السلام وخبر الصحيفة وأبتداء	
أمر الخاتم ... ..	٧٦
ذكر وفاة داود عليه السلام ... ..	٨٠
ذكر نبوة سليمان بن داود عليهما السلام وملكه ... ..	٨٢
ذكر حشر الطير لسليمان بن داود عليهما السلام وكلامها له ... ..	٨٢
ذكر خبر العنقاء في القضاء والقدر ... ..	٨٦
ذكر خبر خاتم سليمان عليه السلام ... ..	٩٣
ذكر خبر حشر الجن لسليمان بن داود عليهما السلام ... ..	٩٤
ذكر خبر مطابجه عليه السلام ... ..	٩٥
ذكر خبر الرزق الذي سأل سليمان الله تعالى أن يجريه على يديه ... ..	٩٦
ذكر خبر بناء بيت المقدس وأبتداء أمره ... ..	٩٧
ذكر خبر وادي النمل وما قيل فيه ... ..	١٠٣
ذكر خبر البعوض وما قيل فيه ... ..	١٠٤
ذكر خبر الخليل وما قيل فيها ... ..	١٠٥
ذكر خبر بساط سليمان عليه السلام ... ..	١٠٧
ذكر خبر صخر الجني ... ..	١٠٨
ذكر صفة كرسي سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره ... ..	١٠٩

صفحة

١١١	... .. ذكر خبر بلقيس وأبتداء أمرها
١١٣	... .. ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب ما كُفَّها
١١٦	... .. ذكر خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها
١٢٣	... .. ذكر صفة القصر الذي بنته بلقيس وصفة عرشها
١٢٤	... .. ذكر خبر وادى القردة
١٢٥	... .. ذكر خبر الرجل الذي قُضِ بأرض الهند
١٢٥	... .. ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه إليه
١٣٤	... .. ذكر عزم سليمان عليه السلام أن يطوف على نسائه
١٣٤	... .. ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام
١٣٥	... .. ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام

الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار شعيا وإرميا

عليهما السلام وخبر بختنصر وخراب بيت المقدس وعمارتها وما يتصل

١٤٢	... .. بذلك من خبر عزير وفتنة اليهود
١٤٢	... .. ذكر قصة شعيا عليه السلام
١٤٩	... .. ذكر قصة إرميا عليه السلام
١٥٣	... .. ذكر خبر بختنصر وأبتداء أمره وكيف ملك
١٥٨	... .. ذكر خبر بختنصر مع دانيال
١٦٤	... .. ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن خربه بختنصر وخبر الذي مرّ على قرية

الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الخامس في قصة ذى النون يونس

١٧١	... .. آبن متى عليه السلام وخبر بلوقيا
١٧١	... .. ذكر قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام
١٨٢	... .. ذكر خبر بلوقيا وما شاهد من العجائب



صفحة

الباب الخامس من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار زكريا

وآبناه يحيى وعمران ومريم وعيسى بن مريم عليهم السلام ... ١٩٥

ذكر نسب زكريا وعمران عليهما السلام وما يتصل بذلك ... ١٩٥

ذكر ميلاد مريم بنة عمران عليه السلام ... ١٩٦

ذكر دعاء زكريا أن يرزقه الله عز وجل الولد ومولد يحيى بن زكريا ١٩٨

ذكر صفة يحيى بن زكريا وحليته ... ٢٠١

ذكر نبوة يحيى عليه السلام وسيرته وزهده ... ٢٠١

ذكر مقتل يحيى بن زكريا وأبيه زكريا عليهما السلام ... ٢٠٢

ذكر هلاك بنى إسرائيل وخراب بيت المقدس ثانيا ... ٢٠٦

ذكر خبر حمل مريم بنة عمران بعيسى عليهما السلام ... ٢٠٩

ذكر خبر ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام ... ٢١٣

ذكر رجوع مريم بعيسى عليه السلام بعد مولده الى قومها ... ٢١٨

ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر وما ظهر له من

المعجزات في مسيره ومدة مقامه الى أن عاد ... ٢١٩

ذكر خبر زكريا عليه السلام مع هيرودس الملك وما كان من أمره ... ٢٢٤

ذكر رجوع عيسى ومريم عليهما السلام من مصر ... ٢٢٥

ذكر خبر الحوارين حين أتبعوا عيسى عليه السلام وآمنوا به ... ٢٢٦

ذكر الخصائص والآيات والمعجزات التي أظهرها الله تعالى على يد

عيسى عليه السلام بعد مبعثه ... ٢٢٧

ذكر خبر سام بن نوح وغيره الذين أحياهم عيسى بإذن الله عز وجل ٢٢٩

ذكر خبر يجمع عدة معجزات من معجزات عيسى عليه السلام ... ٢٣٣

ذكر خبر المسائدة التي أنزلها الله عز وجل من السماء ... ٢٣٦

ذكر ما قالته الشياطين الثلاثة في عيسى بن مريم وأتبعهم الناس بعدهم ٢٤٣

ذكر خبر إبليس حين عارض عيسى عليه السلام وما خاطبه به وجوابه ٢٤٤

صفحة

- ٢٤٦ ... ذكر خبر عيسى مع اليهود حين ظفروا به وأرادوا صلبه وقتله ...
- ٢٤٧ ... ذكر خبر رفع عيسى عليه السلام أول مرة وهبوطه إلى الأرض ووصيته إلى الحواريين ورفع ثانيا ...
- ٢٤٨ ... ذكر وفاة مريم بنة عمران عليها السلام ...
- الباب السادس من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام وما كان من أمرهم مع من أرسلوا إليه وخبر جرجيس ...
- ٢٥٠ ... ذكر خبر أخبار الحواريين ...
- ٢٥٠ ... ذكر خبر يوحنا ويونس اللذين توجهوا إلى إنطاكية ...
- ٢٥٥ ... ذكر خبر توما الحوارى مع ملك الهند وإيمانه به ...
- ٢٥٧ ... ذكر خبر لوقا الحوارى مع ملك فارس ...
- ٢٥٩ ... ذكر خبر جرجيس رحمة الله عليه ...
- ٢٧٠ ... التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس ...
- الباب الأول من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم ...
- ٢٧١ ... ذكر خبر المتغلبين على البلاد وذلك مما يظهر من الفتن قبل نزول عيسى عليه السلام ...
- ٢٧٢ ... ذكر خبر خروج المهدي ...
- ٢٧٣ ... ذكر خبر خروج الدجال وصفته وما يكون من أمره إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ...
- ٢٧٥ ... الباب الثاني من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في خبر نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وفسادهم وهلاكهم ووفاة عيسى عليه السلام ...
- ٢٧٧ ... ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام ...
- ٢٧٨ ... ذكر خبر يأجوج ومأجوج ...
- ٢٨١ ... الحديث الجامع لأخبار عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ...

الباب الثالث من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في ذكر	
ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم عليه السلام الى أن ينفخ إسرافيل	
في الصور النفخة الأولى ... ..	٢٨٥
ذكر خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ... ..	٢٨٥
ذكر خبر قيام الساعة والنفخة الأولى ... ..	٢٨٦
الباب الرابع من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار يوم	
القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور ... ..	٢٨٨
ذكر يوم القيامة وأسمائه ... ..	٢٨٨
ذكر الحشر والمعاد والنفخة الثانية ... ..	٢٨٩
حديث لقيط بن عامر ... ..	٢٩٢
القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأصقاع وملوك الأمم والطوائف	
وخبر سيل العرم ووقائع العرب في الجاهلية ويشتمل على خمسة أبواب	٢٩٨
الباب الأول في أخبار ذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز	
في سورة الكهف ... ..	٢٩٨
ذكر أخبار ذى القرنين ... ..	٢٩٨
ذكر خبر دخول ذى القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب	
عين الحياة ... ..	٣٠٩
الباب الثانى من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأصقاع	
وهم ملوك الهند والصين والترك وجبل الفتح وملوك مصر ... ..	٣١٩
ذكر أخبار ملوك الهند ... ..	٣١٩
ذكر تنصيب ابن البرهمى وهو الباهبود ... ..	٣٢١
ذكر أخبار ملوك الصين ... ..	٣٢٤
ذكر أخبار ملوك الترك ... ..	٣٣٢
ذكر جبل الفتح وما عليه من الملوك والأمم ... ..	٣٣٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الباب الثاني

### من القسم الثالث من الفن الخامس

فما كان بعد موسى بن عمران عليهما السلام  
وهو أخبار يوشع بن نون وحزقييل وإلياس وأليسع وعيلي<sup>(١)</sup>  
وأشمويل وداود وطالوت وجالوت وسليمان بن داود  
عليهم السلام

١٠٨  
١١

ذكر خبر يوشع بن نون<sup>(٢)</sup> — عليه السلام — وفتح أريحا وغيرها

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — : اختلف العلماء فيمن تولى

١٠ حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح، فقال قوم<sup>(٣)</sup> : إنما فتح أريحا موسى

ملاحظة — الأرقام الموجودة بالهامش تشير إلى رقم الصفحة وعدد الجزء من نسخة أ التي اعتمدنا عليها في الطبع، وقد راجعنا هذا الجزء أيضا على نسختين أخريين رمزنا لهما بحرفي ب، ج ونسخة ج بها عدة خروم .

١٥ (١) كذا في الأصل وقصص الأنبياء للثعلبي وتاريخ الطبري (ص ٥٥١ من القسم الأول) .  
وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٥٠ وما بعدها) « على » .

(٢) هكذا يرد هذا الاسم في الكتب العربية والشعر العربي ؛ قال أبو تمام :  
فوالله ما أدرى أحلام نائم \* ألمت بنا أم كان في الركب يوشع  
وفي الكتاب المقدس في كل المواضع التي ورد فيها : « يشوع بن نون » .

٢٠ (٣) أريحا (بالفتح ثم الكسر) ياء ساكنة والحاء المهملة والقصر، وقد رواه بعضهم بالحاء المعجمة لغة عبرانية) : مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك . سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرخشذ (... ) (راجع معجم البلدان لياقوت) .

— عليه السلام — وكان يُوشعُ على مقدمته فسار إليهما بن بقي من بني إسرائيل ولم يمت في التيه ، فدخلها يُوشعُ بهم وقتل الجبارين الذين كانوا فيها ، ودخلها موسى بنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله تعالى أن يقيم ، ثم قبضه الله تعالى ، ولم يعلم أحد من الناس أين قبره . قال : وهذا أولى الأقاويل بالصدق . وقال الآخرون : إنما قتل الجبارين يُوشعُ ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى . وقالوا : إنما مات موسى وهارون — عليهما السلام — في التيه .

قالوا : فلما آنقضت مدة التيه ومات موسى — عليه السلام — بعث الله تعالى يُوشع بن نون نبيا ، فأخبرهم أنه نبي الله تعالى ، وأن الله — عز وجل — قد أمره بقتال الجبارين ، فصعد قوه وبايعوه . فتوجه بنى إسرائيل الى أريحا ومعه تابوت الميثاق ، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ، فلمّا كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصرّ الشعبُ صرخةً واحدةً ، فسقط سور المدينة ، فدخلوها وقتلوا الجبارين ، فهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصاة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضرّبونها لا يقطعونها ، وكان القتال يوم الجمعة ، فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت ، فخشى يُوشع أن يعجزوه ، فقال : اللهم آردد الشمس على ، وقال للشمس : إنك في طاعة الله ، وأنا في طاعة الله . فسأل الشمس

(١) الجبارون أو الجبابرة الذين كانوا بالشام هم من العالقي ، ويقال لهم الكنعانيون . (راجع تاريخ الطبري ص ٢١٣ من القسم الأول طبع أوربا) .

(٢) سيذكر المؤلف وصف هذا التابوت فيما سيأتي . وراجع وصفه أيضا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م) .

(٣) يريد بالقرون الأبواق (راجع الكتاب المقدس ج ١ ص ٣٥٦) .

(٤) في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي (ص ١٩٥ طبع بلاق) : « نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة » . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٥٦) : « فنهف الشعب ونفخوا في الأبواق » .

أَنْ تَقِفَ وَالْقَمَرُ أَنْ يُقِيمَ حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَرُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَزَيْدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وَاحِدَةً حَتَّى قَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ .

قالوا : ثم أرسل ملوك الأرمن<sup>(١)</sup> بعضهم إلى بعض — وكانوا خمسة<sup>(٢)</sup> — بجمعوا كلمتهم على حرب يوشع وقومه ، فهزمت بنو إسرائيل الملوك حتى أهبطوهم إلى نية حوران ، فرماهم الله تعالى بأحجار البرد ، فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وهربت الملوك الخمسة ، فأخففوا في غار ، فأمر بهم يوشع فأخرجوا ، فقتلهم وصلبهم ، ثم أنزلهم وطرحهم في ذلك الغار ، وتبع سائر ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام ، وصار الشام كله لبني إسرائيل ، وفزق عماله في نواحي الشام .

وَحَكَى الْكِسَائِيُّ فِي ( تَابِ الْمَبْتَدَأِ ) أَنَّ يُوشَعَ أَخَذَ فِي الْجِهَادِ بَعْدَ وَفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ مَدِينَةً مِنْ مَدَنِ الْكُفَّارِ بِأَرْضِ الشَّامِ . قَالَ : ثُمَّ سَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَرِيحَا لِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ ، وَكَانُوا قَدْ عَادُوا إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا مُوسَى ، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَسَاقَ نَحْوُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَبْسِ الشَّمْسِ . قَالَ : وَفَسَدَ عَلَى أَهْلِ عِلْمِ النُّجُومِ عُلُومُ كَثِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قال الكيسائي : ولما فرغ يوشع بن نون من قتال الجبارين بأريحا سار بنو إسرائيل إلى أرض بني كنعان ، فقاتلهم حتى قتل أكثر من ثلاثين ملكا ، وفتح ثلاثين حصنا .

(١) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٨ ، ٣٦٣) : « ملوك الأموريين » وهم من ذرية كنعان .  
(٢) وهم : ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموث وملك لاكيش وملك عجلون . (راجع الكتاب المقدس ج ١ ص ٣٦٥) .

(٣) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٦٤) : « وفيما هم منهزمون من وجه إسرائيل وهم في منهبط بيت حورون ... » . وحوران ( بالفتح ) : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع ( راجع معجم البلدان لياقوت ) .

قال الثعلبي في تفسيره : ولما قتل يوشع المملوك وأستباح الأموال جمع الغنائم فلم تنزل النار ، فأوحى الله تعالى إلى يوشع أن فيها غلولا<sup>(١)</sup> ، فمُرهم فليبايعوك فبايعوه ، فالتصقت يد رجل منهم بيده ، فقال : هلم ما عندك ! . فأتاه برأس ثور من ذهب مكمل بالياقوت والجوهر كان قد غلّه ، فجعله في القربان وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

قالوا : ثم مات يوشع فدفن في جبل أفرايم<sup>(٢)</sup> ، وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة ، وتديريه أمر بني إسرائيل بعد وفاة موسى — عليه السلام — تسعا وعشرين سنة . وقال الكسائي : أربعين سنة . والله تعالى أعلم .

ولما مات استخلف على بني إسرائيل كالب بن يوقنا<sup>(٤)</sup> ، وهو من أولاد يهوذا بن يعقوب ، وكان من الزهاد ، فسار فيهم أجمل سيرة حتى قبضه الله تعالى .

فاستخلف عليهم ابنه برشائس<sup>(٥)</sup> وكان نظير يوسف الصديق — عليه السلام — في حسنه وجماله ، فافتتن الناس به ، فسأل الله تعالى أن يغير خلقته ، فأصابه

(١) الغلول : الخيانة في المغام .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٧٦ ، ٣٩٠) ، وورد في ١ ، ب خاليا من الانحزام . وهذا الجبل إلى جنوبي سهل يزرعيل . وكان يطلق هذا الاسم على سلسلة هضاب في أملاك أفرايم تمتد إلى تخوم بنيامين . أما تربة هذا الجبل لخصبة بالإجمال إلا ما كان منها إلى جهة الأردن فانه صخري صعب المرتقى ، وكذلك ما كان منه إلى جهة البحر الميت فانه غاية في القحط . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٣) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٩٥) : « ابن مئة وعشرين سنين » .

(٤) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٧٣) : « كالب بن يونا » .

(٥) في تاريخ الطبري (ص ٥٣٩ من القسم الأول) : « أن كالب بن يوقنا لما قبضه الله بعد يوشع خلف فيهم يعني في بني إسرائيل حزقيال بن بوذي » .

١٠٩  
١١

الجُدريّ، فتغيّرت خِلقته، فأذكره الناس وأكثروا من سؤاله عن خبره، فشقّ ذلك عليه وشغله عن عبادته، فسأل الله تعالى أن يزيده تشويهاً، فاسترّخى وجهه، وظهرت له أسنان طوال، وقبّح حتى كره الناس أن ينظروا إليه، وعرفوا منه الاجتهاد في عبادة الله تعالى وطاعته، فاختروه وسمعوا له وأطاعوا، ولم يزل بين أظهرهم أربعين سنة ثم قبضه الله تعالى .

فقام بأمرهم العيزار بن هارون بن عمران<sup>(١)</sup>، وكان قد أسنّ ولا ولد له، فجعلوا يقولون: ما حُرِّم الولد إلا للذنب العظيم . فسأل الله الولد، فزرقه ولداً بعد كبير سنّه وإياس زوجته صفورية بنت عمّة موسى بن عمران وجدّ له قوة، ولها جمالاً وحُسناً، وسمّى ولده « سباسباً » وجاء عالماً بالثورة، فاستخلفه والده على بني إسرائيل، فقام بأمرهم، وتزوج بامرأة يقال لها صفورية، فأولدها إلياس . هكذا نقل الكسائي .

وقال الثعلبيّ في قصصه في خبر ابن كالب وسمّاه « بوساقوس » : وأنه لما آفتن الناس به سأل الله تعالى أن يغيّر صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجُدريّ . وقال : إنه لبث فيهم مائة سنة، ثم قبضه الله — عز وجل — . ولم يذكر العيزار وأبنته، بل ذكر خبر حزيقيل . والله تعالى أعلم .

(١) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٩٠) : « ألعازار » .

(٢) في تاريخ الطبري (ص ٤٤٣ من القسم الأول) والكتاب المقدس (ج ١ ص ١٢١) وقاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست (ج ٢ ص ٨) : « صفورة » .

(٣) في قصص الأنبياء للكسائي (ورقة ٢٠٩) من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٢ أدب : « سباسباً » .



## ذكر خبر حَرْقِيل عليه السلام

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله تعالى - قالت العلماء : لما قبض الله تعالى كالب وأبنة ، بعث الله - عز وجل - حَرْقِيل<sup>(١)</sup> إلى بنى إسرائيل ، وهو حَرْقِيل بن بُوذَى ، ويلقب بأبن العجوز .

- قال : وإنما لُقِّب بذلك لأن أمه سألت الله تعالى الولد وقد كبرت وعَقِمَتْ ، فوهبه الله تعالى لها ، وهو الذى أحيا الله تعالى القومَ بعد وفاتهم بدعائه ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

- قال قال أكثر المفسرين : كانت قرية يُقال لها دَاوَرْدَانُ قِبَل واسط وقع بها الطاعون ، فخرج منها طائفةٌ هاربين من الطاعون وبقيت طائفة ، فهلك أكثر من بقي في القرية ، وسَلِمَ الذين خرجوا ، فلما أرتفع الطاعون رجعوا سالمين . فقال الذين بقوا : أصحابنا كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ، ولئن وقع الطاعون بها ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها . فوقع الطاعون من قابل ، فهرب عامة أهلها ، فخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيج<sup>(٤)</sup> ، فلما نزلوا المكان الذى يرغبون فيه الحياة والنجاة ، إذا هم بملكٍ من أسفل الوادى وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا .

١٥

(١) فى الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٥٣٨) : « حَرْقِيل » .  
(٢) سورة البقرة آية ٢٤٣ ، وراجع تفسير هذه الآية الكريمة بتفصيل واف فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وغيره من التفسير .  
(٣) داوردان (بفتح الواو وسكون الراء وآخره نون) : من نواحي شرق واسط بينهما فرسخ . (راجع

٢٠

معجم البلدان) .

(٤) أفيج : واسع .

(٥) هذه عبارة الثعلبي فى نصوص الأنبياء . وفى الأصلين : « فإذا ملك من أسفل الوادى وآخر

من أعلاه ينادون موتوا جميعا » .

وقال الضحّاك ومُقاتل والكلبيّ : إنّما فز هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أنّ ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوّهم ، فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت وأعتلّوا وقالوا للملكهم : إنّ الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء ؛ فأرسل الله تعالى عليهم الموت ، فلمّا رأوا أنّ الموت كثير فيهم خرجوا من ديارهم فراراً منه . فلمّا رأى الملك ذلك قال : اللهم ربّ يعقوب وإله موسى ، قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك . فلمّا خرجوا قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد ، فما أنت عليهم ثلاثة أيام حتى أنتفخوا وأروحت<sup>(١)</sup> أجسادهم ، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم ، فحظروا عليهم حظيرة<sup>(٢)</sup> دون السباع وتركوهم فيها .

قال : وأختلفوا في مبلغ عددهم ، فقال عطاء الخِرّاسانيّ : كانوا ثلاثة آلاف<sup>(٣)</sup> . وقال ابن عباس ووهب : أربعة آلاف . وقال مُقاتل والكلبيّ : ثمانية آلاف . وقال أبو رَوْق : عشرة آلاف . وقال أبو مالك : ثلاثين ألفا . وقال السُّديّ : بضعة وثلاثين ألفا . وقال ابن جُرَيْج : أربعين ألفا . وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفا .

(١) أروحت أجسادهم : تغيرت رانحتها وأنتنت .

(٢) الحظيرة : ما أحاط بالثني . وتكونت من قصب وخشب أو شجر ، وتعمل للإبل لقيها البرد والريح .

(٣) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٣١) : « والصحيح أنهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى : « وهم ألوف » وهو جمع الكثرة ، ولا يقال في عشرة فسادونها ألوف . وقال ابن زيد في لفظة ألوف : إنما معناها وهم مؤتلفون ، أي لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم إنما كانوا مؤتلفين » .

قالوا : فأتت عليهم مدة وقد بليت أجسادهم ، وعيرت عظامهم ، وتقطعت أوصالهم ، فمرَّ بهم خزِئيل النبيّ — عليه السلام — فوقف عليهم متفكراً متعجباً ، فأوحى الله تعالى إليه : يا خزِئيل ، تريد أن أريك كيف أحْيِي الموتى ؟ قال نعم ، فأحياهم الله جميعاً .

قال : هذا قول السّدىّ وجماعة من المفسّرين . وقال هلال بن يساف وجماعة من العلماء : دعا خزِئيل ربّه أن يحييهم فقال : يا ربّ لو شئتَ أحييت هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك . فقال الله — عزّ وجل — أو تحبّ أن أفعل ؟ قال نعم ، فأحياهم .

وقال عطاء ومقاتل والكلبيّ : بل كانوا قومَ خزِئيل ، فأحياهم الله — عزّ وجل — بعد ثمانية أيام ، وذلك أنهم لما أصابهم ذلك خرج خزِئيل في طلبهم فوجدهم موتى ، فبكى وقال : يا ربّ كنتُ في قوم يمدونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيتُ وحيداً لا قوم لي . فأوحى الله تعالى إليه : إني قد جعلتُ حياتهم إليك . فقال خزِئيل : أحيوا بإذن الله تعالى ، فعاشوا .

وقال وهب : أصابهم بلاءٌ وشدةٌ من الزمان ، فشكّوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا متنا فاسترحنا ممّا نحن فيه . فأوحى الله — عزّ وجل — إلى خزِئيل : إن قومك قد ضجّروا من البلاء ، وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأىّ راحة لهم في الموت ! أيطنون أنّي لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت ! فأطلق إلى جبانة كذا ، فإن فيها قوماً أمواتاً . فأتاهم ، فقال الله — عزّ وجل — : قُم فناديهم — وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرّقت ، فزقتها الطير والريح — فنادى خزِئيل : أيتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تكتسى اللحم . فأكتست جميعاً اللحم ، وبعد اللحم جلدًا ودمًا وعصبا

١١٠  
١١

وعروقا، فكانت أجسادا، ثم نادى : أيتها الأرواح، إن الله تعالى يأمرُك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا جميعا عليهم ثيابهم التى كانوا فيها، وكبروا تكبيرة واحدة . قال : وزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أُحيوا : سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ، فرجعوا إلى قومهم بعد ما أحياهم الله - عز وجل - وعاشوا دهرًا يعرفون أنهم كانوا أمواتا، سحنة الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوبا إلا عاد رميما مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التى كتب الله لهم . وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - فإنها لتوجد اليوم فى ذلك السبط من اليهود تلك الرياح .

قال قتادة : مقتهم الله - عز وجل - على فرارهم من الموت فأماهم عقوبة لهم ، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها ، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم . فلما أحياهم الله - عز وجل - قال : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> . ثم تلا الثعلبى هذه القصة بقصة إلياس ؛ وذكرها الكسائى - تلو قصة العيزار . والله الموفق للصواب .

### ذكر خبر إلياس عليه السلام

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . قال الكسائى - رحمه الله تعالى - قال كعب : لما وُلِدَ إلياس - عليه السلام - ونسبه أنه إلياس ابن سباسب بن العيزار بن هارون . قال : وأمه صفورية ، وجدته أم أبيه

(١) سورة البقرة آية ٢٤٤

(٢) سورة ص آية ١٢٣

(٣) الذى فى الكسائى « وهب » وهو ابن منبه .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .

(١) صَفْوَرِيَّة بنت موسى بن عِمْران — عليه السلام — ظهر ليلة مولده أنوار أضاءت منها محاريب بني إسرائيل . فلما نظرت ملوك بني إسرائيل ذلك علموا أنه قد حدث حادث ، فتعرّفوا الخبر ، فقليل لهم : وَلِدَ مولود من ولد هارون ابنِ عِمْران .

قال : وكان إلياس على صورة موسى وقوته ، ونشأ أحسن نشأة .  
وبنو إسرائيل يقولون : هذا الذي بشرنا به العِزَّار ، أن الله يهلك الملوك والجبابرة على يديه .

قال : فلما بلغ سبع سنين — وكان يحفظ التوراة — قال : يا بني إسرائيل ، إني أرىكم من نفسي عَجَبًا . فصاح بهم صيحةً أنتشرت فيهم فأرعبت قلوبهم . فلما سكنت روعتهم هموا بقتله ، وقال بعضهم : هو ساحر ، فهرب منهم وصعد إلى جبل وهم يتبعونه . فلما قُربوا منه أنفج له الجبل فدخل فيه ، وأنصرف القوم . فتمى الخبر إلى بعض ملوكهم فعذبهم ، ثم أنفج الجبل ، وأقام إلياس به يأكل من المباحات حتى استكمل أربعين سنة ، والناس قد أخذوا في عبادة الأصنام وخاضوا في المعاصي ، فبعثه الله تعالى نبياً ورسولاً ، وجاءه جبريل بالوحي ، وأمره عن الله تعالى أن يتوجه إلى الملوك والجبابرة الذين يعبدون الأصنام ويدعوهم إلى طاعة الله تعالى وعبادته ، وأن يرسلوا معه بني إسرائيل وأعطاه القوة ، وأمر النار والجبال والوحش بطاعته . فأنطلق إلياس إليهم وهم في سبعين قرية ، كل قرية منها مدينة ، في كل مدينة جبار يسوسهم ، وكلهم يعبدون صنماً يدعى « بَعْلًا » وهو على صورة امرأة ، فصار إلياس إلى قرية من قراهم ، وكان فيها ملك يقال له

- « آجاب » <sup>(١)</sup> ، فوقف بالقرب من قصره ، وقرأ التوراة بأطيب نغمة ، فسمعه الملك ، فقال لامرأته : ألا تسمعين ؟ ما أطيّب هذا الصوت ! فقامت المرأة إليه وأشرفت عايشه من أعلى القصر وسألته عن حاله وخبره ، فأخبرها أنه رسول الله . قالت : وما حُجَّتْكَ على دعواك ؟ فاستدعى النار فجاءت إليه وشهدت نبوته وصدقته ، فأخبرت المرأة زوجها بما رأت منه ، فجاء إليه وآمن به هو وامرأته ، وأوصاه بالصبر والجهاد ، وأنصرف إلياس . حتى إذا كان يومُ اجتماع القوم وقد خرجوا بزيبتهم ونصبوا صنهم بعلًا وقف عليهم ودعاهم إلى الإيمان ، فقال فيما أخبر الله تعالى به عنه : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ \* أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ <sup>(٢)</sup> \* اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ <sup>(٣)</sup> 》 . فقالوا له : من أنت ؟ فقال : أنسيتموني بعد أن كنتُ فيكم ومعكم ! أنا إلياس . فثبوا في وجهه التراب ورموه بالحجارة من كل جانب . وكان ملكهم الأكريل قال له « عاميل » ، فأمر زيت فعلى في قدر نحاس وقال لإلياس : إن رجعت وإلا طرحتك فيه ! . فقال : أنا وحيد في أرضكم ، فريد في جمعكم ، وليكني أريكم آية تدل على صدق دعواي أني رسول الله إليكم . فقال له الملك نعم . فقال إلياس : أيتها النار انحمدي
- ١٥ (١) كذا في الأصل وقصص الأنبياء للكسائي . نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٦٦ أدب ورقة ٢٠٥ وما بعدها . وفي قصص الأنبياء للنعلي (ص ١٩٩) : « لاجب » بالجم المعجمة . وفي ورقة ٩٠ من نسخة مخطوطة منها محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٤٧ م أدب : « أجب » مضبوطا بالقلم بضم الهمزة وفتح الجيم . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٤٠ من القسم الأول) : « احاب » بالحاء المهملة .
- ٢٠ (٢) من أول قوله : « الله ربكم » الى أول الكلام على ذكر نبوة اليسع عليه السلام (في أول الصفحة ٢٨ من هذه الطبعة) لم يرد في ب .
- (٣) سورة الصافات آية ١٢٣ وما بعدها .
- (٤) في أ « للناس » وهو تحريف .

- بإذن الله تعالى، نَحَمَدت وسكن غَلِيَان الزيت، فعَجِبَ الناسُ من ذلك .
- قال الملك : قد أتيتَ بحجة، ولكن أمهانا يومنا للنظر في أمرك . ففارقهم وأتاهم من الغد ودعاهم، فجمع الملك ملوك قومه وعلماءهم وقال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال العلماء : إنا نرى في التوراة صفةَ هذا الرجل أنه يُبعثُ نبياً تُسَخَّرُ له النار والأسود والجبال ، وأنه لا يسمع أحدٌ صوته إلا ذلَّ وخضع له . فقال بعض علمائهم : أيها الملك ، كَذَبَ هؤلاء فيما ذكروه ، وهذا ساحر ، فلا يهولك أمره . فبسط العذاب على أولئك النفر، فأشتد ذلك على إلياس ، وخالفه الملك « آجَاب » الذي كان قد آمنَ به ؛ ففارقته زوجته ولحقت بإلياس ؟ وكانت من الصالحات .
- قال : وآتخذ إلياس عَرِيشاً بالقرب من قصر الملك « عاميل » ، فأشرفت امرأة عاميل عليه في بعض الليالي وهو يعبد الله تعالى، فنظرت إلى عمود من نور من لدن العريش في السماء، فأمنت ولحقت به ، فأمر زوجها أن تُلْقَى في النار ، فألقيت فيها ، فدعا إلياس — عليه السلام — الله تعالى لها ، فلم تعمل النار فيها شيئاً ، فأطلقها الملك ، فلحقت بإلياس . ثم مات ولدُ عاميل الملك بخزع عليه وتضرع إلى صنمه فلم يغن عنه شيئاً ، فغضب وقال لإلياس : إن أبني قد مات وعجزَ إلهي عن إحيائه ، فهل تقدر أن تُحييه ؟ فقال : هذا على ربِّي هين ، ودعا الله تعالى ، فقام الغلام يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن إلياس عبده ورسوله ، فأمن الملك وخرج عن الملك وتبع إلياس ولبس الصوف وعبد الله تعالى حتى مات ، وماتت زوجته وأبنته . وأستمر القوم في ضلالهم وكفرهم ما شاء الله ، وإلياس يدعوهم فلا يجيبونه ، فأوحى الله تعالى إليه أن أدعهم وأنذرهم ، فإن آمنوا وإلا حبست عنهم الغيث وأبليتهم بالقحط . فدعاهم فقالوا : إنا لا نؤمن بك ولا بربك ، فأصنع ما أنت صانع .
- فحبس الله — عز وجل — عنهم المطر، وغارت العيون وجفت الأشجار، فأكلوا

- ما عندهم حتى يَفِدَ، ثم أكلوا المواشي حتى أكلوا الكلاب والسنانير والفيران، وبلغ بهم الجوع حتى كانوا يأكلون مَنْ مات منهم، وإلياس بينهم وهم لا يرونه، ويدعونه وهو لا يجيبهم، وكان الله تعالى قد جعل أمر أرزاقهم إليه، فأوحى الله إليه أن السماء والأرض ومن عليها قد بكت على هؤلاء، وقد هلك كثير من خَلْقِي بسببهم، وكل يدعوك ولا ترحمهم، فَأَنْصِفْ خَلْقِي يَا إِيْلَاس، فَإِنِّي أُغْصِي فَأَرْزُقُ، وَأُكْفِرُ فَأَحْلُمُ . ففزع إلياس وقال: يارب ما غَضِبْتُ إِلَّا لَكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ عِبَادِكَ . فأوحى الله إليه أَنْ سِرْ إِلَيْهِمْ وَأَدْعُهُمْ، فَإِنْ آمَنُوا وَإِلَّا كُنْتُ أَرَأَفَ بِهِمْ مِنْكَ .
- قال : فَأَنْطَلِقُ إِيْلَاسُ حَتَّى صَارَ إِلَى أَوَّلِ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مَدِينَتِهِمْ ، فَتَرَّ بِعِجُوزٍ فَقَالَ لَهَا : هَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ فَقَالَتْ : وَحَقِّ إِلَهِي بَعْلٌ مَا ذَقْتُ الْخُبْزَ مِنْذُ مَدَّةٍ . قَالَ : فَهَلَّا تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ! فَقَالَتْ : إِنْ أَبْنَى الْإِسْعَ عَلَى دِينِ إِيْلَاسَ ، وَلَا أَرَاهُ يَنْتَفِعُ بِهِ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ مِنَ الْجُوعِ . فَقَالَ لَهُ إِيْلَاسُ : يَا الْإِسْعَ ، أَتَحَبُّ أَنْ تَأْكُلَ الْخُبْزَ ؟ فَصَاحَ : كَيْفَ لِي بِالْخُبْزِ ! وَمَاتَ ، فَبَكَتِ الْعِجُوزُ وَلَطَمَتْ . فَقَالَ لَهَا : إِنْ أَحْيَاكَ اللَّهُ وَجَاءَكَ بِمَا تَأْكُلِينَ أَتُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ؟ قَالَتْ نَعَمْ . فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَجَاءَ الْإِسْعَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ إِيْلَاسَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَرَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى خُبْزًا وَلَبَنًا ، فَأَكَلُوا ، وَأَمِنَتِ الْعِجُوزُ ، وَخَرَجَتْ تُنْذِرُ قَوْمَهَا ، فَخَنَقَوْهَا فَمَاتَتْ ، فَأَغَمَّ الْإِسْعُ لَذَلِكَ .
- فَقَالَ لَهُ إِيْلَاسُ : إِنْ اللَّهُ سَيِّحِيهَا وَيَجْعَلُكَ آيَةً لِقَوْمِكَ . وَخَرَجَ إِيْلَاسُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا يَرِيدُونَ أَكْلَهَا ، فَصَاحَ بِهِمْ ، فَتَفَتَّرَقُوا عَنْهَا وَقَالُوا : إِنَّكَ أَنْتَ إِيْلَاسُ حَقًّا ، فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَحْيَاهَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ وَقَالُوا : أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْذُ سَبْعِ سِنِينَ ! قَالَ : فَهَلَّا دَعَوْتُمْ صَنَمَكُمْ بَعْلًا لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ ! قَالُوا : قَدْ دَعَوْنَاهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا . قَالَ : فَإِنْ أَغَاثَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى أَتُؤْمِنُونَ ؟ قَالُوا نَعَمْ . فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَمْطَرَهُمْ ، وَجَرَتْ أَنْهَارُهُمْ وَأَنْبَتَتْ أَرْضُهُمْ ، وَأَحْيَا اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مِنَ الْجُوعِ ،



فَأَزْدَادُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا ، خَفَذَرَهُمْ إِيَّاسُ وَأَنْذَرَهُمْ وَذَكَرَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . فَقَالُوا :  
 إِنَّ الْقَحْطَ قَدْ آرْتَفَعَ عَلَيْنَا وَهَيْمَاتُ أَنْ يَعُودَ أَبَدًا ، وَإِنْ عَادَ فَلَا نُبَالِي ، قَدْ جَمَعْنَا  
 فِي مَنَازِلِنَا مَا يَكْفِينَا زَمَنًا طَوِيلًا . فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْتَزَلَهُمْ ، وَقَالَ : قَدْ بَلَغْتَ الرِّسَالَةَ  
 وَأَنْتَ لَاحِقٌ بِالْمَلَائِكَةِ . فَاسْتَخْلَفَ الْيَسَعَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ الْيَسَعُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي  
 ضَعِيفٌ بَيْنَ قَوْمٍ كَافِرِينَ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْيَسَعَ بِذَلِكَ ، وَخَرَجَ إِيَّاسُ عَنْ  
 دِيَارِ قَوْمِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِقَرْسٍ يَلْتَهَبُ نُورًا ، وَلَهُ أَجْنَحَةٌ مَلَوْنَةٌ ، فَنَادَاهُ :  
 أَقْبِلْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . فَاسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَجَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا إِيَّاسُ طَرُعَ الْمَلَائِكَةُ  
 حَيْثُ شَدَّتْ ، فَقَدْ كَسَاكَ اللَّهُ الرِّيشَ ، وَقَطَعَ عَنْكَ لَذَّةَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَجَعَلَكَ  
 آدَمِيًّا مَلِكِيًّا سَمَاوِيًّا أَرْضِيًّا .

- ١٠ قال : وَنَشَرَ الْفَرَسَ أَجْنَحَتَهُ فَهُوَ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ . ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ — عَنْ وَجَلٍ —  
 الْعَذَابَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَحْدَقَتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، وَأَعْتَزَلَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، فَأَحْدَقَتْ  
 السَّحَابَةُ بِالْكَافِرَةِ ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنَ الْعَذَابِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ  
 أَنْتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السُّوءِ ﴾ <sup>(١)</sup> . قَالَ : ثُمَّ أَنْكَشَفْتُ عَنْ دِيَارِهِمْ  
 وَقَدْ صَارُوا حُمْمًا سُودًا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

١٥

قال : وَأَقَامَ الْيَسَعُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى قَبِضَةُ اللَّهِ تَعَالَى .

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ . وَعِبَارَةُ الْكَسَا فِي كِتَابِهِ قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَقَّةٌ ٢٠٨ :  
 « ... فَقَالُوا يَا إِيَّاسُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا يَعُودُ قَحْطُهَا وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا نُبَالِي لِأَنَّا جَمَعْنَا فِي مَنَازِلِنَا مَا يَكْفِينَا طَوِيلًا  
 فَعَلِمْنَا أَنَّهُمْ مَهْلِكُونَ فَقَالَ : إِنْ هِيَ قَدْ بَلَغَتْ الرِّسَالَةَ وَقَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ وَعَذَابُهُمْ ، اللَّهُمَّ فَأَخْرِجْنِي مِنْ بَيْنِهِمْ  
 ثُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ عَذَابًا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِيَّاسُ إِنَّكَ قَدْ أَدَيْتَ الرِّسَالَةَ وَفَعَلْتَ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَاسْتَخْلَفْ  
 الْآنَ مَوْضِعَكَ الْيَسَعَ بْنُ أَخْطَابٍ فَإِنَّهُ قَدْ جَعَلَنِي لَكَ خَلِيفَةً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُؤْمِنِينَ ... الْح » .

٢٠

(٢) سُورَةُ الْفُرْقَانِ آيَةُ ٤٠ (٣) سُورَةُ الصَّافَّاتِ آيَتَا ١٢٧ ، ١٢٨

- هذا ما أورده الكسائي في أخبار إلياس وأليسع عليهما السلام .
- وأما ما حكاه الثعلبي — رحمه الله — في هذه القصة، فإنه قال :
- قال ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله خزيقيل النبي — عليه السلام — عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد، ونسوا عهد الله تعالى إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله .
- عز وجل — فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبياً . قال الثعلبي : وهو إلياس ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون عليه السلام .
- قال : وإنما كانت الأنبياء بعد موسى — عليه السلام — يُبعثون إليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة ، وبنو إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة . وذلك أن يوشع لما فتح أرض الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم ، فأحل سبطاً منهم بعلبك ونواحيها ، وهم سبط إلياس ، فبعثه الله تعالى إليهم نبياً ، وعليهم يومئذ ملك يقال له « آجاب » <sup>(١)</sup> قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له « بعل » وكان طوله عشرين ذراعاً ، وكانت له أربعة وجوه ، فجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وهم في ذلك لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك الذي كان بعلبك فإنه صدقه وآمن به ، وكان إلياس — عليه السلام — يقوم أمره ويسدده ويرشده ، وكان لآجاب الملك هذا امرأة يقال لها « أرايل » <sup>(٢)</sup> ، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من هذا الجزء .

(٢) في قصص الأنبياء للثعلبي المطبوعة (ص ١٩٩) : « أربيل » . بالراء المهملة . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٤٠ ، ٧٩٨ من القسم الأول) « أزيل » بالزاي المعجمة وحذف الياء . وذكرت في الأصول فيما يأتي كما وردت في هامش تاريخ الطبري والنسخة المخطوطة من قصص الأنبياء للثعلبي باسم : « أزيل » بالزاي المعجمة وإثبات الياء .

- أو غيرها، فكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب، وتجلس في مجلس القضاء فتقضي بين الناس، وكانت قتالةً للأنبياء، وكان لها كاتب وهو مؤمن حكيم يكتُمها إيمانه، وكان الكاتب قد خلّص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بُعث، سوى الذين قتلهم ممن يكثر عددهم؛ وكانت في نفسها غير مُحَصَّنة ولم يكن على وجه الأرض أخش منها، وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالآغتيال؛ وكانت معمّرة حتى يقال: إنها ولدت سبعين ولداً. وكان لأجاب هذا جارٌّ من بني إسرائيل رجل صالح يقال له «مزدكي» وكانت له جُنيّة يعيش منها ويُقيل على عمارتها وممرّتها، وكانت الجُنيّة إلى جانب قصر الملك وأمّراته، فكانا يُشرفان على تلك الجُنيّة ويتزّهان فيها، ويأكلان ويشربان ويَقِيلان فيها، وكان «أجاب» في ذلك يُحسّن جوار «مزدكي» صاحبها ويُحسّن إليه، وأمّراته «أرايل» تحسّده على ذلك لأجل تلك الجُنيّة، وتحتال في أن تغتصبها منه لما تسمع الناس يذكرون الجُنيّة، ويتعجبون من حسنّها ويقولون: ما أحرى أن تكون هذه الجُنيّة لأهل هذا القصر، ويتعجبون من الملك وأمّراته كيف لم يغصباها صاحبها. فلم تزل المرأة تحتال على العبد الصالح «مزدكي» أن تقتله وتأخذ جُنيّته، والملك ينهاها عن ذلك. ثم اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته، فأغتمت المرأة غيبة الملك وأحتالت على «مزدكي» صاحب الجُنيّة، وهو غافل عما تريد مُقيل على عبادة ربه وإصلاح جنيّته، فجُمعت «أرايل» جمعاً من الناس وأمّرتهم أن يشهدوا على «مزدكي» أنه سب زوجها الملك «أجاب»، فأجابوها إلى ملتصقها من الشهادة عليه، وكان حكمهم في ذلك

(١) في الأصل: « يذكرون من ذكر الجُنيّة » . وعبارة الثعلبي: « وأمّراته أرايل تحسده على ذلك لأجل تلك الجُنيّة وتحتال على غصبا لما سمعت الناس يذكرون الجُنيّة من حسنّها » .

الزمان على من سب الملك القتل إذا قامت البيّنة عليه بذلك . فأحضرت «مزدكى» وقالت : بلغنى أنك سببت الملك وعبته ، فأنكر ذلك . فقالت : إن عليك شهودا ، وأحضرت الشهود فشهدوا عليه بحضرة الناس ، فأمرت بقتل «مزدكى» ، فُقتل وأُخذت جُنَيْتُهُ غَضَبًا ، فغَضِبَ الله — عزّ وجل — عليهم للعبد الصالح . فلما قدم الملك من سفره قال لها : ما وُفِّقَتِ وما أَصِبتِ ، ولا أَرانا نُفْلِحَ بعده أبدا ، وإن كُنّا عن جُنَيْتِهِ لأَغْنِيَاءَ ، قد كُنّا نَتَرَهَ فيها ، وقد جاورنا وتحترم بنا منذ زمان طويل ، فأحسنّا جوارَه ، وكفّفنا عنه الأذى لوجوب حقّه علينا ، نختمت أمره بأسوأ حال الجوار . وما حملك على آجترائك عليه إلا سَفَهُكَ وسوءُ رأيك وقلةُ عقلك وقلةُ تفكيرك في العواقب . فقالت : إنما غَضِبْتُ لك وحكمتُ بحكمك . قال : أو ما كان يَسَعُهُ حِلْمُكَ وَيَحْدُوكَ عِظَمُ خَطَرِكَ على العفو عن رجلٍ واحدٍ فتحفظين له جواره ! . قالت : قد كان ما كان .

فبعث الله تعالى إلياس — عليه السلام — إلى «آجاب» الملك وقوميه ، وأمره أن يجبرهم أن الله تعالى قد غَضِبَ لوليّه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما ، وإلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ولم يرّدا الجُنَيْتَةَ على ورنه «مزدكى» أن يهلكهما ، يعنى «آجاب» وأمرأته ، فى جوف الجُنَيْتَةِ أَشْرٌ ما يكون بسفك دمهما ، ثم يدعهما جيفتين مُلقاتين فيها حتى تتعزى عظامُهما من لحومهما ، ولا يُمْتَعان بها إلا قليلا .

قال : بخاء إلياس — عليه السلام — إلى الملك وأخبره بما أَوْخى الله — عزّ وجل — إليه فى أمره وأمر أمرأته والجُنَيْتَةِ . فلما سمع الملك ذلك اشتدّ غضبه عليه ، ثم قال له : يا إلياس ، والله ما أرى ما تدعوننا إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلانا وفلانا — سَمَى ملوكا منهم قد عبدوا الأوثان — إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون

وَيَتَنَعَّمُونَ مَمْلَكِينَ ، مَا يَنْقُصُ مِنْ دُنْيَاهُمْ أَمْرُهُمُ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَمَا نَرَى لَنَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ .

- قال : وهمَّ الملك بتعذيب إلياس وقتله . فلما سمع إلياس — عليه السلام — ذلك وأحس بالشر ، رفضه وخرج عنه . فالحق بشواحق الجبال ، ودعا الملك الناس<sup>(١)</sup> إلى عبادة بعل ، وأرتقى إلياس — عليه السلام — أصعب جبل وأشمخه ، فدخل مغارة فيه . فيقال : إنه بقي فيه سبع سنين شريداً طريداً خائفاً ، يأوى الشَّعَاب والكهوف ، ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون يتوكفون أخباره ويجهدون في أخذه ، والله تعالى يستره ويدفع عنه . فلما تمت له سبع سنين أذن الله تعالى في إظهاره عليهم ، وشفاه غيظه منهم ، فأمرض الله تعالى أبنا لآجاب الملك وكان أحبَّ ولده إليه وأعزَّهم عليه وأشبههم به ، فآذنف حتى يُأس منه ، فدعا صمته بعلًا ، وكانوا قد فتنوا به وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادٍ وكَلَّوهم به وجعلوهم أنبياءه ، وكان الشيطان يوسوس إليهم بشريعة من الضلالة ، فيبينونها للناس فيعملون بها ، ويسمونها الأنبياء . فلما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم أن يشفعوا إلى بعل ، ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء والعافية ، فدعوه فلم يجبهم ، ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ، وهم مجتهدون في التضرع إليه ، وهو لا يزداد مع ذلك إلَّا<sup>(٢)</sup> نهمودا . فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجاب : إن في ناحية الشام آلهة أخرى ، وهي

(١) في قصص الأنبياء للثعلبي المخطوطة : «وعاد الملك الى عبادة بعل» .

(٢) يتوكفون أخباره : ينظرونها ويسألون عنها .

(٣) أذنف المريض : ثقل ودنا من الموت ، وأدنفه المرض ، فهو لازم متعذ .

(٤) في قصص الأنبياء المطبوعة والمخطوطة : «حتى سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا... الخ» .

(٥) في الأصل : «إلا جودا» والنصيب من قصص الأنبياء المخطوطة للثعلبي .

في العِظَم مثلُ إلهك ، فابْعَثْ إليها أنبياءك فليشنعوا لك إليها ، فلعلها أن تشفع لك إلى إلهك بَعْلُ فإنه غضبان عليك ، ولولا غضبه عليك لقد كان أجابك وشَفَى لك أبنك . قال آجاب : ومن أجل ماذا غَضِبَ عليّ وأنا أُطِيعه وأطلب رضاه منذ كنت لم أُسْخِطْهُ ساعةً قط ؟ قالوا : من أجل أنك لم تقتل إلياس وفترطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بإلهك يعبد غيره ، فذلك الذي أغضبه عليك . قال آجاب : وكيف لي أن أقتل إلياس يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع أبني وليس لإلياس مطلب ، ولا يُعرَفُ له موضع فيَقْصَدُ ، فلو عُوِفَ أبني لتفرّغت لطلبه ، ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى أَخُذَهُ فأقتله فأريح إلهي منه وأرضيه .

قال : ثم آندفعت أنبياءه الأربعة ليشفعوا إلى الأرباب التي بالشأم ويسألوها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفى آبنه ، فأنطلقوا حتى إذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله — عز وجل — إلى إلياس أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلّمهم ، وقال له : لا تَحْخَفْ فإنّي سأصرف عنك شرهم ، وألقى الرعب في قلوبهم . فنزل إلياس — عليه السلام — من الجبل ، فلما لقيهم استوقفهم فوقفوا ، وقال لهم : إنّ الله — عز وجل — أرسلني إليكم وإلى من وراءكم ، فاستمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم ، فأرجعوا إليه وقولوا له : إنّ الله تعالى يقول لك : ألسنت تعلم يا آجاب أنّي أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم ، أبغهلك وقلة علمك حملك على أن تُشرك بي وتطلب الشفاء لأبنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ما شئت . إني حلفت بأسمى لأغيطانك في آبنك ولأميته في فوره هذا حتى تعلم أنّ أحدا لا يملك له شيئا دوني . فلما قال لهم إلياس هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا . فلما صاروا إلى الملك قالوا له ذلك ، وأخبروه أنّ إلياس آنحط عليهم ، وهو رجل نحيف طوال قد قشِفَ

(١) وَخَلَّ وَتَمَعَطَ شَعْرُهُ وَتَقَشَّرَ جُلْدُهُ ، عَلَيْهِ جَبَّةٌ مِنْ شَعَرٍ وَعِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَى صَدْرِهِ بِخِلَالِ (٤) ،  
 فَاسْتَوْقَفْنَا ، فَلَمَّا صَارَ مَعْنَا قُدِّفَتْ فِي قُلُوبِنَا الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ ، وَأَنْقَطَعَتْ أَلْسِنَتُنَا ،  
 وَنَحْنُ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَهُوَ وَاحِدٌ ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى أَنْ نَكَلِّمَهُ وَنَرَاجِعَهُ وَنَمْلَأُ  
 أَعْيُنَنَا مِنْهُ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَيْكَ ، وَقَصَّوْا عَلَيْهِ كَلَامَ إِيَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَالَ  
 آجَابُ : لَا نَنْتَفِعُ بِالْحَيَاةِ مَا دَامَ إِيَّاسُ حَيًّا . مَا الَّذِي مَنَعَكُمْ أَنْ تَبْطِشُوا بِهِ حِينَ  
 لَقَيْتُمُوهُ وَتَوَثَّقُوهُ وَتَأْتُونِي بِهِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَلَبْتِي وَعَدَوِي . قَالُوا : أَخْبَرْنَاكَ  
 بِالَّذِي مَنَعْنَا مِنْهُ وَمَنْ كَلَامُهُ وَالْبَطْشُ بِهِ . قَالَ آجَابُ : مَا يُطَاقُ إِذَا إِيَّاسُ إِلَّا بِالْمَكْرِ  
 وَالْخَدِيعَةِ . فَقَبِضَ لَهُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ذَوِي قُوَّةٍ وَبَاسٍ ، وَعَاهِدَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ ،  
 وَأَمْرَهُمْ بِالْإِغْتِيَالِ لَهُ وَالْإِغْتِيَالُ بِهِ وَأَنْ يُطْمِعُوهُ فِي أَنْهُمْ قَدْ آمَنُوا بِهِ هُمْ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ ،  
 لِيَسْتَنْبِغُوا إِلَيْهِمْ وَيَغْتَرِبُوا فِيهِمْ ، فَيَمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَيَأْتُوا بِهِ الْمَلِكُ . فَأَنْظَلُّوهُ حَتَّى أَرْتَقُوا  
 ١٠ ذَٰلِكَ الْجَبَلَ الَّذِي فِيهِ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — ثُمَّ تَفَرَّقُوا [فِيهِ] وَهُمْ يَنَادُونَهُ بِأَعْلَى  
 أَصْوَاتِهِمْ وَيَقُولُونَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، ابْرُزْ لَنَا وَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ [فَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ  
 وَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَلَكْنَا آجَابُ] ، وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْرءُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ :  
 قَدْ بَلَّغْتَنَا رِسَالَةَ رَبِّكَ ، وَعَرَفْنَا مَا قُلْتَ ، وَآمَنَّا بِكَ ، وَأَجْبَنَّاكَ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا ،  
 فَهَلُمَّ إِلَيْنَا فَأَنْتَ نَبِيُّنَا وَرَسُولُ رَبِّنَا ، [فَأَقِمْ] بَيْنَ أَظْهَرِنَا وَآحْكَمْ فِينَا ، فَإِنَّا نَنْقَادُ  
 ١٥ لِمَا أَمَرْتَنَا ، وَنَنْتَهِي عَمَّا نَهَيْتَنَا ، وَلَيْسَ يَسْمَعُكَ أَنْ تَتَخَلَّفَ عَنَّا مَعَ إِيْمَانِنَا وَطَاعَتِنَا ،  
 فَتَدَارِكُنَا وَآرْجِعَ إِلَيْنَا . وَكُلَّ هَذَا كَانَ مِنْهُمْ مُمَاكِرَةً وَخَدِيعَةً . فَلَمَّا سَمِعَ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ

(١) خَلَّ مِنْ بَابِ عَلِمَ : يَسُ . وَمِنْهُ تَقَجَّلَ الشَّيْخُ إِذَا يَسُ جُلْدَهُ عَلَى عَظْمِهِ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْكِبَرِ .

(٢) تَمَعَطَ الشَّعْرُ : تَمَرَّطَ وَسَقَطَ مِنْ دَاءٍ يَعْرِضُ لَهُ .

(٣) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلتَّلْعَابِ الْمَخْطُومَةِ : « وَاقْشَعِرْ » وَفِي الْمَطْبُوعَةِ : « وَيَسُ » .

(٤) خَلَّ الْكِسَاءَ وَغَيْرَهُ : جَمَعَ أَطْرَافَهُ بِخِلَالِ .

(٥) كَذَا فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَخْطُومَةِ لِلتَّلْعَابِ . وَلَعَلَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ « وَالْإِغْتِيَالُ بِهِ » أَخْذَهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَدْرِي ثُمَّ الْحَبَى بِهِ . وَفِي أ : « وَالْإِغْتِيَالُ بِهِ » . (٦) زِيَادَةٌ عَنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلتَّلْعَابِ .

السلام — مقاتلهم وقعت بقلبه وطمع في إيمانهم وخاف الله تعالى وأشفق من سُخطه إن هو لم يظهر لهم ولم يُجِبهم بعد الذي سمع منهم . فلما أجمع على أن يبرز لهم رجع إلى نفسه فقال : لو أتى دعوتُ الله — عز وجل — وسألته أن يعلمني ما في أنفسهم ويُطَلِّعني على حقيقة أمرهم . فقال : اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز إليهم ، وإن كانوا كاذبين فأكفنيهم وآرمهم بنار تُحرقهم .  
فما آستم قوله حتى حُصِبُوا<sup>(١)</sup> بالنار من فوقهم ، فأحرقوا أجمعين .

قال : وبلغ آجاب الخبر فلم يرتدع ، وأحتال ثانيا في أمر إلياس ، وجهز فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن في الحيلة والزأى ، فأقبلوا حتى ارتقوا قُلل تلك الجبال [متفرقين]<sup>(٢)</sup> ، وجعلوا ينادون : يا نبي الله ، إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسَطَواته . إنا اسننا كالذين آتوك من قبلنا ، إنا أولئك فرقة نافقت وخالفنا ، فصاروا إليك ليكيدوك من غير رأينا ولا علم منا ، وذلك أنهم حسدونا وحسدوك ، وخرجوا إليك سرا ، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم ، والان فقد كفالك ربك أمرهم وأهلكهم بسوء نيّاتهم وآنتقم لنا ولك منهم . فلما سمع إلياس — عليه السلام — مقاتلهم دعا الله تعالى بدعوته الأولى ، فأمطر الله عليهم النار ، فأحرقوا عن آخرهم ، كل ذلك وآبن الملك في البلاء الشديد من وجعه — كما وعده الله تعالى على لسان نبيه إلياس — لا يُقضى عليه فيحوت ، ولا يخفف عنه من عذابه .

قال : فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا آزداد غضبا إلى غضبه ، وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه ، إلا أنه شغله عن ذلك مرضُ آبنه فلم يمكنه ، فوجه نحو إلياس الكاتب المؤمن الذي هو كاتب أمراته رجاء أن يآنس به إلياس فينزل

(١) حصبوا بالنار : رموا بها . (٢) زيادة عن قصص الأنبياء للثعلبي .

(٣) في قصص الأنبياء للثعلبي : « ليكرها بك » .

(٤) كذا في قصص الأنبياء للثعلبي . وفي الأصل : « إلى طلب إلياس ... » .



معه ، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوا . وإنما أظهر له ذلك لما أطلع عليه من إيمانه ، وكان الملك مع أطلاعه يُغض عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة والحكمة وسداد الرأي . فوجهه نحوه ، وأرسل معه فئة من أصحابه ، وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يؤثقوا إلياس ويأثوه به إن أراد أن يتخلف عنهم ، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به آنساً بمكانه لم يؤحشوه ولم يرقعوه ، ثم أظهر آجاب للكاتب .

الإجابة وقال : إنه قد آن لي أن أتوب وأتعظ ، وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني ، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس ، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فتملك بدعوته . فأطلق إليه وأخبره أنا قد تبنا وأبننا ، وأنه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ، ويُخبرنا بما يرضى به ربنا . وأمر الملك قومه فأعتزلوا الأصنام ، وقال له : أخبر إلياس بأننا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وأرجأنا أمرها حتى ينزل إلياس إلينا . فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك مكراً من الملك . فأطلق الكاتب والفئة حتى علوا الجبل الذي فيه إلياس — عليه السلام — ثم ناداه الكاتب ، فعرف إلياس صوته ، فتأقت نفسه إليه وأنس بمكانه وكان مشتاقاً إلى لقائه ، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن أبرز إلى أخيك الصالح فآلقه وجدد العهد به ، فبرز إليه إلياس وسلم عليه وصاحبه ، وقال له : ما الخبر؟ قال له المؤمن : إنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغية وقومه ، ثم قص عليه ما قالوا ، ثم قال : وإني خائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني ، فمرني بما شئت أن أفعله وأتمي إليه ، [إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته ، وإن شئت جاهدته معك]

(١) كذا في قصص الأنبياء للعلبي المخطوطة . وفي المطبوعة : « وقد أهملنا أمرها » . وفي الأصل : « وأرجينا أمرنا » .

(٢) زيادة عن العلبي في قصص الأنبياء المخطوطة والمطبوعة .

وإن شئت فأرسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك ، وإن شئت دعوت ربك أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا .

- قال : فأوحى الله — عز وجل — إلى إيلias عليه السلام أن كل شيء جاءوك به مكراً وخديعةً ليظفروا بك ، وأن «آجاب» إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه آتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك ، فلم يأمن أن يقتله ، فأنطلق معه فإن في أنطلاقك معه عذره وبراءته عند آجاب ، وإني سأشغل عنكما آجاب ، وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ، وأميته على شر حال ، فإذا مات فأرجع عنه ولا تقم . فانطلق معهم حتى قدموا على آجاب ، فلما قدموا عليه شدد الله تعالى على ابنه الوجع ، وأخذته الموت ، فشغل الله تعالى آجاب وأصحابه بذلك عن إيلias ، فرجع إيلias سالماً إلى مكانه . فلما مات ابن آجاب وفرغوا منه وقل جزعه ، انتبه لإيلias وسأل عنه الكاتب الذي جاء به ، فقال : ليس لي به علم ، وذلك أنه شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ، ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه . فأضرب عنه آجاب وتركه لما كان فيه من الحزن على ابنه . فلما طال الأمر على إيلias مل الكون في الجبال والمقام بها واشتاق إلى العمران وإلى الناس فترل من الجبل ، وأنطلق حتى نزل بأمرأة من بنى إسرائيل ، وهي أم يونس ١٥ ابن متى [ذى النون . فاستخفى عندها ستة أشهر] <sup>(١)</sup> ، ويونس يومئذ مואود يرضع ، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها ، وتواسيه بذات يدها ، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها . ثم إن إيلias سم ضيق البيوت بعد مقامه بالجبال وسعتها ، فأحب أن يلتحق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه ، فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقدته ، ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى مات أبنا [يونس] حين فطمته ، فعظمت مصيبتها فيه ، فخرجت ٢٠ في طلب إيلias ، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف [فيها] حتى عثرت عليه ووجدته ، فقالت : <sup>(١)</sup> (١) زيادة عن قصص الأنبياء للنعلى .

إِنِّي قَدْ خُفِعْتُ بِمَوْتِ ابْنِي بَعْدَكَ ، فَعِظْمَتُ فِيهِ مَصِيبَتِي ، وَأَشْتَدُّ لِفَقْدِهِ بِالْأَنِّي ،  
وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ غَيْرُهُ ، فَأَرْحَمْنِي وَأَدْعُ رَبَّكَ — جَلَّ جَلَالُهُ — فَيُجِبْنِي لِي ابْنِي ، وَيَجْبِرْ  
مَصِيبَتِي ، وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُهُ مَسْجِيًّا لَمْ أُدْفِنْهُ ، وَإِنِّي قَدْ أَخْفَيْتُ مَكَانَهُ . فَقَالَ لَهَا  
إِلْيَاسُ : لَيْسَ هَذَا مِمَّا أُمِرْتُ بِهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ أَعْمَلُ بِمَا يَأْمُرُنِي بِهِ  
رَبِّي ، وَلَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا . فَخِزَعَتِ الْمَرْأَةُ وَتَضَرَّعَتْ ، فَعَطَفَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
قَلْبَ إِلْيَاسَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : وَمَتَى مَاتَ ابْنُكَ ؟ قَالَتْ : مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ . فَانْطَلَقَ  
إِلْيَاسُ مَعَهَا وَسَارَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخْرَى حَتَّى آتَتْهُمَا إِلَى مَتْرَظٍ فَوَجَدَ ابْنَهَا يُونُسَ مَيِّتًا  
مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى وَدَعَا اللَّهَ فَأَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى يُونُسَ بَنَ مَتَّى بِدَعْوَةِ  
إِلْيَاسَ . فَلَمَّا عَاشَ وَجَلَسَ وَثَبَ إِلْيَاسُ وَانْصَرَفَ وَعَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٠ . ذَكَرَ دَعَاءَ إِلْيَاسَ عَلَى قَوْمِهِ ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْقَحْطِ

وَخَبَرَ الْيَسَعَ حِينَ أَتَبَعَ إِلْيَاسَ

قَالَ : وَلَمَّا طَالَ عَصِيَانُ قَوْمِهِ ضَاقَ إِلْيَاسُ بِذَلِكَ ذَرْعًا وَأَجْهَدَهُ الْبَسَاءُ ،  
فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ وَهُوَ خَائِفٌ مَجْهُودٌ : يَا إِلْيَاسُ ، مَا هَذَا الْحَزَنُ  
وَالْخَنَزَعُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ! أَلَسْتَ أَمِينًا عَلَى وَحْيِي ، وَخُجَّتِي فِي أَرْضِي ، وَصَفْوَتِي مِنْ  
خَلْقِي ! فَسَلَّنِي أُعْطِكَ فَإِنِّي ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ . قَالَ : تَمِثُّنِي فَتُلْحِقْنِي  
بِآبَائِي ، فَإِنِّي قَدْ مَلَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَلُونِي ، وَأَبْغَضْتُهُمْ فِيكَ وَأَبْغَضُونِي . فَأَوْحَى اللَّهُ  
تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا إِلْيَاسُ ، مَا هَذَا بِالْيَوْمِ الَّذِي أُعِيرِي مِنْكَ الْأَرْضَ وَأَهْلَهَا ، وَإِنَّمَا  
قَوَائِمُهَا وَصَلَاحُهَا بِكَ وَبِأَشْبَاهِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَبَرْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَكِنْ تَسْأَلُنِي فَأَعْطِيكَ .  
قَالَ إِلْيَاسُ : فَإِنْ لَمْ تُمَتِّنِي يَا إِلَهِي فَأَعْطِنِي ثَارِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وأى شيء تريد أن أعطيك يا إيلياس؟ قال : تمكّنى من خزائن السماء سبع سنين ،  
 فلا تُنشئ عليهم سحابة<sup>(١)</sup> إلا بدعوتى ، ولا تُمطر عليهم سبع سنين قطرةً إلا بشفاعتى ،  
 فإنهم لا يُدّلهم إلا ذلك . قال الله تعالى : يا إيلياس ، أنا أرحم بخلقى من ذلك  
 وإن كانوا ظالمين . قال : ست سنين . قال : أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا  
 ظالمين . قال : نخمس سنين . قال : أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين ،  
 ولكنى أعطيك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ، فلا تنشأ<sup>(١)</sup> عليهم سحابة  
 إلا بدعوتك ، ولا تنزل عليهم قطرةً إلا بشفاعتك . قال إيلياس : فبأى شيء  
 أعيش؟ قال : أُسخر جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض  
 التى لم تقحط . قال إيلياس : قد رضيت . قال : فأمسك الله — عز وجل —  
 عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والبهائم والشجر وجهد الناس جهداً  
 شديداً وإيلياس على حالته مستخيف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان ، وقد  
 عرفه بذلك قومه ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا : لقد دخل إيلياس  
 هذا البيت وطلبوه ، ولقى أهل ذلك المنزل منهم شراً .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين  
 القحط ، فمّر إيلياس — عليه السلام — بعجوز فقال لها : هل عندك طعام؟  
 قالت : نعم ، شيء من دقيق وزيت قليل . بخأته بشيء من الدقيق والزيت ، فدعا  
 فيهما بالبركة<sup>(٢)</sup> ومسهما ، فبارك الله فى ذلك حتى ملأت جربها دقيقاً وملأت

(١) نشأت السحابة : ارتفعت وبدت ، وأنشأها الله : رفعها وأبداها .

(٢) كذا فى قصص الأنبياء للثعلبي . وعبرة الأصل : « فدعا بهما ودعا فيه بالبركة

خَوَابِهَا زَيْتًا . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ عِنْدَهَا قَالُوا : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَوَصَفَتْ صِفَتَهُ ، فَعَرَفُوهُ وَقَالُوا : ذَلِكَ إِيْلَاسُ ، فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ فَهَرَّبَ مِنْهُمْ .

ثم أَوَى إِيْلَاسٌ إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهَا ابْنٌ يَقَالُ لَهُ : أَلْيَسَعُ . ابْنُ أَخْطُوبِ بِهِ ضَرٌّ ، فَأَوْتَهُ وَأَخْفَتْ أَمْرَهُ . فَدَعَا لَهُ فَعُوْفَى مِنَ الضَّرِّ الَّذِي كَانَ بِهِ ، وَاتَّبَعَ أَلْيَسَعُ إِيْلَاسَ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَلَزِمَهُ ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ حَيْثَا ذَهَبَ ، وَكَانَ إِيْلَاسُ قَدْ أَسَنَّ وَكَبِرَ ، وَكَانَ أَلْيَسَعُ غَلَامًا شَابًّا .

ذكر رفع البلاء عن قوم إيلياس بدعوته واستمرارهم على الكفر

ورفع إيلياس وهلاك آجاب الملك وأمراته، ونبوة أليسع

- قال : ثم أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى إِيْلَاسَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِنَّكَ قَدْ أَهْلَكْتَ ١٠  
كثيْرًا مِنَ الْخَلْقِ مَنْ لَمْ يَعِصْ سِوَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْذَوَابِّ وَالطَّيْرِ وَالْهَوَامِّ  
وَالشَّجَرِ بِحَبْسِ الْمَطَرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَيَزْعُمُونَ — وَاللَّهِ أَعْلَمُ — أَنَّ إِيْلَاسَ قَالَ :  
يَا رَبِّ دَعْنِي أَكُنْ الَّذِي أَدْعُو لَهُمْ وَآتِيَهُمْ بِالْفَرْجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي أَصَابَهُمْ  
لَعَلَّهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَتَزَعَّوْا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِكَ . قِيلَ لَهُ : نَعَمْ . بَغَاءُ إِيْلَاسَ  
— عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّكُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ جُوعًا وَجَهْدًا ، ١٥  
وَهَلَكْتَ الْبَهَائِمُ وَالْذَوَابِّ وَالطَّيْرُ وَالْهَوَامُّ وَالشَّجَرُ بِخَطَايَاكُمْ ، وَإِنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَغُرُورٍ .  
فَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ فَأَخْرِجُوا بِأَصْنَامِكُمْ هَذِهِ ، فَإِنْ اسْتَجَابَتْ لَكُمْ فَذَلِكَ كَمَا  
تَقُولُونَ ، وَإِنْ هِيَ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ فَتَزَعَّمُوا ، وَدَعَوْتُ اللهُ — عَزَّ وَجَلَّ —  
فَفَرَّجَ عَنْكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ . قَالُوا : أَنْصَفْتَ . فَخَرَجُوا بِأَوْثَانِهِمْ فَدَعَوْهَا

فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه [ من البلاء <sup>(١)</sup> ] . ثم قالوا لإلياس :  
يا إلياس ، إن الله قد أهلكنا ، فادعُ الله لنا . فدعا الله تعالى لهم ومعه أليسع <sup>(٢)</sup>  
بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا ، فخرجت سحابةٌ مثل الترس على ظهر البحر وهم <sup>(٣)</sup>  
ينظرون ، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ، ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر [ فأغاثهم ]  
وحيت بلادهم .

١١٧  
١١

فلما كشف الله تعالى عنهم الضرّ نقضوا العهد ولم يتزعوا عن كفرهم ،  
ولم يقلعوا عن ضلالتهم ، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى إلياس  
— عليه السلام — ذلك دعا الله تعالى أن يريجه منهم ؛ فقبل له — كما يزعمون — :  
أنظر <sup>(٤)</sup> يوم كذا وكذا فأخرج فيه <sup>(٥)</sup> إلى موضع كذا ، فما جاءك من شيء فأركبه ولا  
تهبه . فخرج إلياس ومعه أليسع بن أخطوب ، حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر إلياس  
به ، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه إلياس ، فأنطلق الفرس  
به ، فناداه أليسع ، يا إلياس : ما تأمرني ؟ فقذف إليه إلياس بكسائه من الجوف <sup>(٦)</sup>  
الأعلى ، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل ، فكان [ ذلك ] آخر العهد  
به . ورفع الله — عز وجل — إلياس من بين أظهرهم ، وقطع عنه لذة المطعم  
والمشرب ، وكساه الریش ، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً ، وساط الله على <sup>(٧)</sup>  
أجاب الملك وقومه عدواً لهم فقصدتهم من حيث لم يشعروا [ به ] حتى رهقهم ، فقتل

(١) زيادة عن قصص الأنبياء للتلبي .

(٢) هذه عبارة التلبي . وفي الأصل : « ومعهم » .

(٣) زيادة عن التلبي .

(٤) أنظر : بمعنى انتظر .

(٥) كذا في قصص الأنبياء للتلبي . وفي الأصل : « فيهم » .

آجاب وأمراته أرايل في بستان مزدكى ، فلم تزل يجيقتاهما ملقاتين في تلك الجُنيّة  
حتى بليت لحومهما ورقت عظامهما<sup>(١)</sup> .

### ذكر نبوة أليّسع عليه السلام

قال أبو إسحاق - رحمه الله تعالى - : ولما رفع الله تعالى إلياس - عليه  
السلام - نبأ أليّسع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل ، وأوحى إليه وأيده بما آيد  
به عبده إلياس ؛ فآمنت به بنو إسرائيل ، وكانوا يعظمونه وينتهون إلى أمره ،  
وحكم الله تعالى قائم فيهم إلى أن فارقهم أليّسع عليه السلام .

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - بسند رفعه إلى عبد العزيز بن أبي رواد  
قال : إلياس والخضر - عليهما السلام - يصومان شهر رمضان بيت المقدس ،  
ويوافيان الموسم في كلّ عام .

وروى بسند رفعه إلى زيد مولى عون الطّفاوى<sup>(٢)</sup> عن رجل من أهل عسقلان  
أنه كان يمشى بالأردن نصف النهار ، فرأى رجلا فقال له : يا عبد الله ، من أنت ؟  
قال : بفعل لا يكلمني . فقلت : يا عبد الله ، من أنت ؟ قال : أنا إلياس . قال :  
فوقعت على رعدة ، فقلت : أدع الله يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل  
عنك . قال : فدعا لي بثمان دَعَوَاتٍ : يا برّ ، يا رحيم ، يا حنان ، يا منان ، يا حي ،  
يا قيوم ، ودعوتين بالسرّانية لم أفهمهما . قال : فرفع الله عني ما كنت أجد ، فوضع  
كفه بين كتفي ، فوجدت برّدها بين يدي . قال فقلت : يوحى إليك اليوم ؟  
قال : منذ بعث الله محمداً رسوله فإنه ليس يوحى إلي . قال قلت له : كم من الأنبياء  
اليوم أحياء ؟ قال : أربعة ، آثنان في الأرض ، وآثنان في السماء ، في السماء عيسى

(١) رمّ العظم : بلّ فهو رميم . (٢) الطّفاوى (بضم الطاء) : نسبة الى طفاوة من قيس عيلان .

وإدريس ، وفي الأرض إلياس والخضر . قلت : كم الأبدال ؟ قال : ستون  
رجلا ، خمسون منهم من لدن عيريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجلان بالمصيصة ،  
ورجلان بعسقلان ، وستة في سائر البلدان ، كلما أذهب الله واحداً جاء بآخر [ مكانه ]  
بهم يدفع الله عن الناس [ البلاء ] وبهم يُمطرون . قلت : فإلخضر أين يكون ؟ قال :  
في جزائر البحر . قلت : فهل تلقاه ؟ قال نعم . قلت : أين ؟ قال : بالموسم .  
قلت : فما يكون من حديثكما ؟ قال : يأخذ من شعري وأخذ من شعره . قال :  
وذلك حين كان بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام قتال . قال : فقلت :  
ما تقول في مروان بن الحكم ؟ قال : ما تصنع به ! [ رجل جبار ] عات على الله  
— عز وجل — القاتل والمقتول والشاهد في النار .

١٠ (١) الأبدال : قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ، بهم يقيم الله عز وجل الأرض . قال ابن دريد :  
هم سبعون رجلا فيما زعموا لا تخلو منهم الأرض : أربعون رجلا منهم بالشام وثلاثون بغيرها . قال غيره :  
لا يموت أحدهم إلا قام بدله آخر من سائر الناس . ونقل المناوي عن أبي البقاء قال : « كأنهم أرادوا  
أبدال الأنبياء وخلفاءهم ، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون ، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة ،  
لكل بدل إقليم فيه ولايته ؛ منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول ، والثاني على قدم الكايم ،  
والثالث على قدم هارون ، والرابع على قدم إدريس ، والخامس على قدم يوسف ، والسادس على قدم عيسى ،  
والسابع على قدم آدم — عليهم السلام — على ترتيب الأقاليم ، وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب  
السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها . . . ولهم من الأسماء أسماء الصفات وكل واحد بحسب ما يعطيه  
حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة ومنه يكون تلقيه » اهـ . وعلامتهم ألا يولد لهم . وقد  
أفردهم بالتصنيف جماعة منهم السخاوي والجلال السيوطي وغير واحد . وللعز بن عبد السلام رسالة في الرد  
على من يقول بوجودهم وأقام التكرير على قولهم : بهم يحفظ الله الأرض . ( راجع شرح القاموس للزبيدي  
في مادة بدل ) .

(٢) المصيصة (بفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى) : مدينة على شاطئ جيجان من  
ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ( راجع معجم البلدان لياقوت ) .  
(٣) الزيادة عن قصص الأنبياء للثعلبي .



قال قلت : فإنني قد شهدتُ فلم أظعنُ برح ولم أرمِ بسهم ولم أضرب بسيف ، وأنا أستغفر الله — عز وجل — أن أعود إلى ذلك المقام أو مثله أبدا . قال : أحسنت ، هكذا فكن .

قال : فإنني وإياه قاعدان إذ وُضع بين يديه رغيفان أشدَّ بياضا من الثلج ، أكلتُ أنا وهو رغيفا وبعضَ آخر ثم رُفع ، فما رأيتُ أحداً وضعه ولا أحدا رفعه . هـ

قال : وله ناقة ترعى في وادي الأردن ، فرفع رأسه إليها ، فما دعاها حتى جاءت فبركت بين يديه فركبها . قلتُ : أريد أن أصحبك . قال : إنك لا تقدر على صحبتي . قلتُ : إني خلوتُ مالي زوجة ولا عيال . قال : تزوج ، وإياك والنساء الأربع ، إياك والناشز ، والمختلعة ، والملاعنة ، والمبارنة ، وتزوج ما بدا لك من النساء .

قال : قلت : فإنني أحب لقاءك . قال : إذا رأيتني فقد رأيتني ، ثم قال : إني أريد أن أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان . قال : ثم حالت بيني وبينه شجرة ، فوالله ما أدرى كيف ذهب .

١١٨  
١١

فهذا ما أورده في خبر إلياس وإليسع — عليهما السلام — . والله أعلم .

(١) الناشز : المرأة التي تكره زوجها وتبغضه وتستعصى عليه فيضر بها ويجفوها .

(٢) المختلعة : المرأة التي تبذل مالا لزوجها ليطلقها . ١٥

(٣) الملاعنة : المرأة التي يرميها زوجها برجل أنه زنى بها ، فالإمام يلعن بينهما ، ويبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله أنها زنت بفلان وإنه لصادق فيما رماها به . فإذا قال ذلك أربع مرات قال في الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى . ثم تقام المرأة فنقول أيضا أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنى ، ثم نقول في الخامسة : وعلى غضب الله إن كان من الصادقين ، فإذا فعلت ذلك بانت منه ولم تحلل له أبدا ، وإن كانت حاملا بغاات بولد فهو ولدها ، ولا يلحق بالزوج لأن السنة تنفيه عنه .

(٤) المبارنة : المرأة التي تبرىء الرجل من حقوقها للخارفة . ٢٠

### ذكر خبر عَمِلِي<sup>(١)</sup> وأَشْمُوِيل<sup>(٢)</sup> وما يتصل بذلك

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - قال وهب بن منبه : لما قبض الله تعالى أَلَيْسَعَ - عليه السلام - خلفت في بني إسرائيل الخلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وكان عندهم التابوت يتوارثونه صاغراً عن كبير ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وكانوا لا يلقيهم عدو فيقدمون التابوت إلا هنز الله ذلك العدو . وكان الله - تبارك وتعالى - قد بارك لهم في جبلهم ، لا يدخله عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره . وكان أحدهم - فيما يذكرون - يضع التراب على الصخرة ثم ينثر فيه الحب فيخرج الله تعالى له ما يأكله سنة هو وعياله . ويكون لأحدهم الزيتون فيعصر منها ما يأكله سنة هو وعياله . فلما عظمت أحداثهم وكثرت ذنوبهم وتركوا عهد الله إليهم سلط الله عليهم العمالة - وهم قوم [ كانوا ] يسكنون غزّة وعسقلان وساحل بحر الروم ما بين مصر وفلسطين - وكان جالوت الملك منهم فظهروا على بني إسرائيل ، وغلبوهم على كثير من أرضهم وسببوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً ، فضربوا عليهم الجزية ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ١ من هذا الجزء .

(٢) في تاريخ الطبري ( ص ٥٤٧ وما بعدها ) « أشمويل » و « شمويل » . وفي الكتاب المقدس ( ج ١ ص ٤٤٥ ) : « صموئيل » .

(٣) ورد في الجزء الثالث من تفسير القرطبي ( ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ) أقوال المفسرين في السكينة واختلافهم في تفسيرها ثم قال المؤلف : قال ابن عطية : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى . وسيدكر المؤلف تفسيرها فيما بعد .

(٤) ذكر القرطبي في الجزء الثالث من تفسيره ( ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ) أقوال المفسرين أيضاً في البقية واختلافهم في تفسيرها ثم قال : وقال أبو صالح : البقية : عصا موسى وثيابه وثياب هارون ويوحنا من التوراة . وسيدكر المؤلف تفسيرها فيما بعد .

(٥) زيادة عن الثعلبي .

وأخذوا توراتهم ، ومكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتجادون أحيانا في غيهم وضلالهم ، فسأط الله عليهم من ينتقم منهم ليراجعوا التوبة ، حتى بعث الله تعالى فيهم طالوت مائكا . وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون إلى نبوة أشمويل أربعائة سنة وستين سنة ، وكان آخر ملوكهم في هذه المدة رجل يقال له «إيلاف» وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ يقال له «عيل» الكاهن ، وكان حبرهم وصاحب قربانهم ، وكانوا ينتهون إلى رأيه .

### ذكر ابتداء أمر أشمويل وكيف كانت نبوته

- قال النعيلي قال وهب : كان لأبي أشمويل امرأتان ، إحداهما عجوز عاقرة لم تلد ، وهي أم أشمويل ، والأخرى ولدت عشرة أولاد . وكان لبني إسرائيل عيد من أعيادهم قد قاموا بشرائطه وقربوا فيه القرابين ، فحضر أبو أشمويل وامراتاه وأولاده العشرة ذلك العيد ، فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبه ، فكان لأُم الأولاد عشرة أنصباء ، وللعجوز نصيب واحد ، فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى ، فقالت أم الأولاد [للعجوز] : الحمد لله الذي كثرتني بولدى وقالك ، فوجهت العجوز وجوما شديدا . فلما كان عند السحر عمدت العجوز إلى متعبدها فقالت : اللهم بعلمك وسمعتك كانت مقالة صاحبتى وأستطالها على بنعمتك التي أنعمت عليها ، وأنت ابتدأتها بالنعمة والإحسان ، فأرحم ضعفى وأرحمنى وأرزقنى ولدا نقياً رضيّاً أجعله لك ذنخاً في مسجد من مساجدك ، يعبدك ولا يكفرك ، ويطيعك ولا يحجرك . وإذا رحمت ضعفى ومسكنتى وأجبت دعوتى ، فأجعل لها علامة أعرفها بها . فلما أصبحت حاضت وكانت من قبل قد نثت من الحيض ، فألم بها زوجها ، فحملت وكتمت أمرها ، ولقي بنو إسرائيل
- (١) زيادة عن النعيلي .

في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ، ولم يكن في بني إسرائيل من يدبر أمرهم ، فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه ، وكان سبط النبوّة قد هلك ، فلم يبق منهم إلا هذه المرأة الحبلى ، فلما علموا بحبائها تعجبوا وقالوا : إنما حبلت بنبي ، لأن الآيسات لا يحبلن إلا بالأنبياء ، فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدل بها غلاما ، لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها غلاما ، فولدت غلاما فسمته « أشمويل » وقيل فيه « شمعون » . وتقول : سمع الله دعائي .

١١٩  
١١

وأختلف في نسبه ، فالذي يقول اسمه شمعون يقول : هو شمعون بن صفيّة بن علقمة بن أبي ياسف بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب .

وقال سائر المفسرين : هو أشمويل ، وهو بالعربية إسماعيل بن <sup>(١)</sup>بالي ابن علقمة بن حام بن النهر بن بهر بن صوف بن علقمة بن ماحت بن عموصا ابن عزريا .

قال مقاتل : هو من نسل هارون — عليه السلام — . وقال مجاهد : أشمويل ابن هلقانا . والله أعلم .

قالوا : فلما كبر الغلام أسلمته أمه يتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله عيلى ، فلما بلغ أشمويل الوقت الذى يبعثه الله — عز وجل — نبيا أتاه جبريل

(١) ورد نسب أشمويل في تاريخ الطبرى (ص ٥٤٧ من القسم الأول) هكذا : « شمويل بن بالي بن علقمة بن برخام بن أليو بن تهو بن صوف » . وورد في قصص الأنبياء للعلبي هكذا : « شمويل وهو بالعبرانية إسماعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا ابن عزريا » . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٤) : « صموئيل بن ألقانة بن يروحام بن أليو ابن توجو بن صوف الأفرائيمي » .

- وهو نائم إلى جنب عَيْلَى الكاهن ، وَعَيْلَى لا يأمن عليه أحداً ، فدعاه بلحن الشيخ :
- يا أشمويل ، فقام فَرِعا إلى الشيخ فقال : يا أبتاه ، دعوتنى ؟ فكره الشيخُ أن يقول لا فيفزع الغلام ؛ فقال : يا بُنَى ارجع . فرجع فنام ، ثم دعاه ثانياً ، فأتاه فقال : أدعوتنى ؟ فقال الشيخ : ما شأنك ؟ فقال : أما دعوتنى ؟ قال : لا . قال أشمويل : فإنى سمعتُ صوتاً فى البيت ، وليس فيه غيرنا . فقال :
- ارجع فتوضأ وصل ، فإذا دُعِيتَ بِاسْمِكَ فأجب وقل : لَبَّيْكَ ، أنا طَوْعُكَ ، فمرنى أفعل ما تأمرنى . ففعل الغلام ذلك ، فنودى الثالثة ، فقال : لَبَّيْكَ أنا طَوْعُكَ ، فمرنى أفعل ما تأمرنى . فظهر له جبريل وقال : اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك ، فإن الله تعالى قد بعثك إليهم نبياً ، وإن الله تعالى ذراك يوم ذراك [ للنبوة <sup>(١)</sup> ] وَرَحِمَ وَحَدَّةَ أُمَّكَ فى ذلك اليوم الذى تاهت عليها ضَرْبُهَا ، ولا أحد اليوم أَشَدَّ عَضْداً <sup>(٢)</sup> ولا أَطيبُ ولادةً منك ، فَأَنْطَلِقْ إلى عَيْلَى [ فقل له <sup>(١)</sup> ] إنك كنت خليفة الله على عباده ، فبقيت زماناً تأمر بأمره ، وحاكماً بكتابهِ ، وحافظاً لحدوده ؛ فلما أمتدَّ سنُّكَ ، ودقَّ عَظْمُكَ ، وزهبت قوتك ، وفنى عمرك ، وقرب أجلك ؛ وصرت أفقر ما تكون إلى الله تعالى ، ولم تزل فقيراً إليه ، عَطَلْتَ الحدود ، وعَمِلْتَ بِالرُّشَا ، وأضعت حكومات الخلق ، حتى عزَّ الباطلُ وأهْلُهُ ، وذلل الحقَّ وحزبُهُ ، وظهر المكر ، وخفى المعروف ، وفشا الكذب ، وقَلَّ الصدق ، وما اللهُ عاهدَكَ على هذا ، ولا عليه آسَ تخلفَكَ ، فبئس ما خَتَمْتَ به عَمَلَكَ ، والله لا يحب الخائنين . فبلغه هذه الرسالة ، وقم بعده بالخلافة ؛ فلما بلغ أشمويلُ عَيْلَى هذه الرسالة فزع وجزع .

قالوا : وكان السبب فيما عاتب الله تعالى عبده عَيْلَى ووَجَّهه عليه أنه كان له  
أبنان شابان ، فَأَحَدُنا شَيْثًا فِي الْقُرْبَانِ لم يكن فيه ، وذلك أنه كان فِي مِسْوَاطِ الْقُرْبَانِ<sup>(١)</sup>  
الَّذِي يَسُوطُونَهُ بِهِ كَلَابَانُ ، فَمَا أَخْرَجَا كَانَ لِلْكَاهِنِ الَّذِي كَانَ يَسُوطُهُ ، بِفَعْلِ أَبْنَاهِ  
لَهُمَا كَلَالِيبُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَشْمُوِيلَ : اِنْطَلِقْ إِلَى عَيْلَى فَقُلْ لَهُ : مِنْكَ حُبُّ  
الْوَلَدِ أَنْ تَزْجِرَ أَبْنَيْكَ أَنْ يُحْدِثَا فِي قُرْبَانِي وَأَنْ يَعْصِيَانِي ، فَلَا تَزْعَقِ الْكَهَانَةَ مِنْكَ  
وَمَنْ وَلَدِيكَ وَلَأَهْلِكَتْكَ وَإِيَاهُمَا . فَأَخْبَرَ أَشْمُوِيلَ عَيْلَى بِذَلِكَ ، فَفَزِعَ فِرْعَاوَنُ شَدِيدًا  
وَسَارَ إِلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ ، فَأَمَرَ عَيْلَى أَبْنَيْهِ أَنْ يَخْرُجَا بِالنَّاسِ وَيَقَاتِلَا ذَلِكَ الْعَدُوَّ ، فَخَرَجَا  
وَأَخْرَجَا مَعَهُمَا التَّابُوتَ ، بِفَعْلِ عَيْلَى يَتَوَقَّعُ الْخَبَرَ ، بِجَاءِهِ رَجُلٌ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ  
فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَنْهَزَمُوا ، وَأَنْ أَبْنَيْهِ قُتِلَا . قَالَ : فَمَا فَعِلَ بِالتَّابُوتِ ؟ قَالَ :  
ذَهَبَ بِهِ الْعَدُوُّ . فَشَمَقَ عَيْلَى وَوَقَعَ مَيِّتًا . فَلَمَّا بَلَغَ مَلِكُهُمْ إِيلَافَ أَنْ التَّابُوتَ  
أَسْتَلِبَ ، وَأَنْ عَيْلَى قَدْ مَاتَ كَمَا مَاتَ عَنْقُهُ فَمَاتَ كَمَا .

قالوا : فَلَمَّا مَاتَا وَأَخَذَ التَّابُوتَ مَرِجٌ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ  
فَقَالُوا لِأَشْمُوِيلَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>  
الآيَاتِ . وَذَلِكَ بَعْدَ مَا دَبَّرَ أَشْمُوِيلَ أَمْرَهُمْ عَشْرَ سَنِينَ .

(١) المسواط (كمحارب) : خشبة يحرك بها ما في القدر ليخلط .

(٢) هذه عبارة التعلبي في قصص الأنبياء . والذي في الأصل : « كان في مسواط للقربان الذي

يسوط به كلابين فما أخرجا كان للكهان الذي يسوطه » .

(٣) مرج ، أى أخلط وأضطرب وفسد .

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٦ .

وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم، وكان الملك هو الذى يسير بالجنود ويقاتل العدو، والنبي يقيم له أمره ويُسِير عليه ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله تعالى .

قال وهب : بعث الله تعالى أشمويل نبياً ، فلبثوا أربعين سنةً بأحسن حال ، وكان من أمر جالوت الملك والعمالة ما كان ، فسألوه أن يبعث لهم ملكاً ، فقال لهم : ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾<sup>(١)</sup> . فأجابوه بما قص الله تعالى في كتابه : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية .

قال : فلما أخذ أشمويل ميثاقهم فى الطاعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً . والله أعلم بالصواب .

#### ١٠ ذكر خبر الملك طالوت وإتيان التابوت وخبر جالوت

١٢٠  
١١

قالوا : ولما سألوا أشمويل أن يبعث لهم ملكاً ، سأل الله تعالى فى ذلك ، فَأَتَى بَعْضًا وَقَرْنٍ فِيهِ دُهْنٌ الْقُدْسُ<sup>(٢)</sup> ، وقيل له : إن صاحبكم الذى يكون ملكاً طوله طول هذه العصا ، وقيل له : أنظر إلى القرن الذى فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن<sup>(٣)</sup> الذى فى القرن فهو ملك بني إسرائيل ، فأدھن به رأسه ، وملكه عليهم ؛ ففاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها ؛ وكان طالوت — وأسمه بالسريانية « شارك »<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة البقرة آية ٢٤٦ .

(٢) القرن (فتح القاف والراء المهملة) : الجعبة ما كانت .

(٣) نش الدهن : صوت عند الغليان .

(٤) فى قصص الأنبياء للعلبي المخطوطة « شارك » بالزاي المعجمة والكاف . وفى المطبوعة : « سادل »

بالدال المهملة واللام .

وَالْعِبْرَانِيَّةُ شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أُنْيَالِ بْنِ ضَرَارِ بْنِ أَحْرَبِ بْنِ أَفِيحِ بْنِ آيَشِ بْنِ بَنِيَامِينَ  
ابْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ — رَجُلًا دَبَّاحًا يَعْمَلُ الْأَدَمَ . قَالَ وَهَبٌ وَعِزَّةُ  
وَالسُّدِّيُّ : كَانَ سَقَاءً يَسْقِي عَلَى حِمَارٍ مِنَ النَّيْلِ ، فَضَلَّ حِمَارُهُ ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ . وَقَالَ  
وَهَبٌ : بَلْ ضَلَّتْ حُمُرُ لَأَبِي طَالُوتَ ، فَأَرْسَلَهُ وَغَلَامًا لَهُ يَطْلُبَانَهَا ، فَمَرَّ بِبَيْتِ أَشْمُوِيلَ  
فَقَالَ الْغَلَامُ لَطَالُوتَ : لَوْ دَخَلْنَا عَلَى هَذَا النَّبِيِّ فَسَأَلَنَاهُ عَنْ أَمْرِ حُمُرِنَا لِيرْشَدَنَا  
وَيَدْعُوَ لَنَا بِخَيْرٍ . فَقَالَ نَعَمْ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ يَذْكُرَانِ شَأْنَ الْحُمُرِ إِذْ نَشَّ  
الذَّهْنُ فِي الْقَرْنِ فَقَامَ أَشْمُوِيلُ وَقَاسَ طَالُوتَ بِالْعَصَا ، فَكَانَتْ عَلَى طَوْلِهِ ، فَقَالَ  
لَطَالُوتَ : قَرِّبْ رَأْسَكَ . فَقَرَّبَهُ فَدَهَنَهُ بِذَهْنِ الْقُدُسِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ مَلِكٌ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أُمْلِكَكَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ طَالُوتَ : أَنَا ؟ قَالَ  
نَعَمْ . قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنْ سَبْطِي أَدْنَى الْأَسْبَاطِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ بَلَى .  
قَالَ : أَمَّا عَلِمْتَ أَنْ بَيْتِي أَدْنَى بَيْوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ : فَبِأَيِّ آيَةٍ  
أَكُونُ مَلِكًا ؟ قَالَ : بِآيَةٍ أَنْكَ تَرْجِعُ وَقَدْ وَجَدَ أَبُوكَ حُمِيرَهُ . فَكَانَ كَذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ  
الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
سَبْطَانٌ : سَبْطُ نَبُوءَةٍ ، وَسَبْطُ مَمْلُوكَةٍ ؛ فَكَانَ سَبْطُ النَّبُوءَةِ سَبْطُ لَأَوِي بْنِ يَعْقُوبَ ،

(١) وَرَدَ هَذَا النَّسَبُ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلتَّلْغِي الْمَطْبُوعِ هَكَذَا : « شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَفِيلَ بْنِ صَارُوا  
ابْنِ نَحُورَ بْنِ أَفِيحِ بْنِ أَنْسِ بْنِ بَنِيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ » وَوَرَدَ  
فِي النُّسخَةِ الْمَخْطُوطَةِ مِنْهُ هَكَذَا : « شَامِلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَيْنَالِ بْنِ ضَرَارِ بْنِ يَحْرَبِ بْنِ أَفِيحِ بْنِ آشَ بْنِ بَنِيَامِينَ »  
وَوَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ (ج ١ ص ٥٧) هَكَذَا : « شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَبِئِيلَ بْنِ صَرُورَ بْنِ بَكُورَتِ  
ابْنِ أَفِيحِ بْنِ رَجُلٍ مِنْ بَنِيَامِينَ » .

(٢) السَّبْطُ مِنَ الْيَهُودِ كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢٤٧ .



منهم موسى وهارون — عليهما السلام — وسبّط المملكة سبّط يهوذا بن يعقوب ،  
 منهم سليمان بن داود ؛ ولم يكن طالوت من سبّط النبوّة ولا المملكة ، وإنما كان  
 من سبّط بنيامين بن يعقوب ، وكانوا عمّلوا ذنبا عظيما ؛ كانوا ينكحون النساء  
 على ظهر الطريق نهارا ، فغضب الله تعالى عليهم ، ونزع النبوّة والمملكة منهم ، فأنكر  
 بنو إسرائيل ذلك وقالوا : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ  
 يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ قال أشمويل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ ،  
 أى فضيلة وسعة ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ وذلك أنه كان أعلم بنى إسرائيل في وقته . وقال الكلبي :  
 « فِي الْعِلْمِ » بالحرب . ﴿ وَالْحُسْمِ ﴾ يعنى بالطول والقوّة ؛ وكان يفوق الناس  
 برأسه ومنكبّيه ؛ وإنما سُمّي طالوت لطوله . وقال ابن كيسان : للجمال ، وكان أجمل  
 رجل فى بنى إسرائيل وأعلمهم ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> .  
 قالوا : فما آية ذلك ؟ ﴿ قَالَ لَهُمْ نَبِيَّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ  
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ  
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### ذكر قصة التابوت وصفته وما قيل فيه

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله — : قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار :  
 ١٥ إن الله تعالى أهبط تابوتا على آدم حين أهبط آدم إلى الأرض ، فيه صور الأنبياء  
 من أولاده ، وفيه بيوت بعدد الرسل منهم ، وآخر البيوت بيت محمد — صلى الله  
 عليه وسلم — وهو من ياقوتة حمراء ، وإذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهّل المطيع ،

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٨ .

مكتوبٌ على جبينه : هذا أول من يتبعه من أمته « أبو بكر الصديق » وعن يساره « الفاروق » ، مكتوبٌ على جبينه : قرن من حديد لا تأخذه في الله لومةٌ لائمٌ ، ومن ورائه ذو النورين أخذٌ بحجزته ، مكتوبٌ على جبينه : بارٌّ من البررة . ومن بين يديه « علي بن أبي طالب » شاهرٌ سيفه على عاتقه ، مكتوبٌ على جبينه : هذا أخوه وأبن عمه المؤيد بالنصر من عند الله . وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة<sup>(٢)</sup> الخضراء — وهم أنصار الله وأنصار رسوله — نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في الدنيا .

١٢١  
١١

وكان التابوت نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين ، وكان من عود الشمشار الذي<sup>(٣)</sup> تتخذ منه الأمشاط ، ممّوها بالذهب ، فكان عند آدم إلى أن مات ، ثم عند شيث ، ثم تواريثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم — عليه السلام — فلمّا مات كان عند إسماعيل ، ثم كان عند قيذار بن إسماعيل ، فتنازعه ولدُ إسحاق وقالوا : إنّ النبوة قد صُرفت عنكم ، وليس لكم إلّا هذا النور الواحد ، [ يعنى نور محمد صلى الله عليه وسلم ] فأعطينا التابوت . فكان قيذار يمتنع عليهم ويقول : إنه وصية لأبي ، ولا أعطيه أحدًا من العالمين .

قال : فذهب ذات يوم يفتح التابوت ، فتعسّر عليه فتحه ، فناداه مناد من السماء : مهلا يا قيذار ، فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل ، إنه وصية نبيّ ،

(١) أخذ بحجزة فلان : استظهر به واستنصر .

(٢) الكبكبة : الجماعة .

(٣) الشمشار : شجر البقس ، يشبه ورقه ورق الآس ، وعوده أصفر صلب ، وله حب أسود . منابته

ببلاد الروم ، تتخذ منه المغالق والأبواب لمنايته وصلابته . وفي القاموس : « الشمشاذ » بالذال المعجمة (راجع مفردات ابن البيطار وشرح القاموس مادة بقس) .

(٤) زيادة عن قصص الأنبياء للنعلبي .

- لا يفتحه إلا نبيّ ، فأدفعه لآبَن عَمَّكَ يَعْقُوبَ إِسْرَائِيلَ اللهُ ؛ فحمل قَيْدَارَ التَّابُوتِ على عنقه ونحرج يريد أرض كَنْعَانَ وكان بها يَعْقُوبُ — عليه السلام — فلما قَرُبَ مِنْهُ صَرََّ التَّابُوتُ صَرََّةً سَمِعَهَا يَعْقُوبُ ، فقال لِبَنِيهِ : أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ قَيْدَارُ بِالتَّابُوتِ فَقُومُوا نَحْوَهُ . فقام يَعْقُوبُ وأولاده جميعاً إليه ، فلما نظر يَعْقُوبُ إلى قَيْدَارِ اسْتَعْبَرَ بِأَيِّهَا وَقَالَ : يَا قَيْدَارُ ، مَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّراً وَقَوْتُكَ ضَعِيفَةً ، أَرَهَقَكَ عِدْوٌ أَمْ أَتَيْتَ مَعْصِيَةً بَعْدَ أَيْبِكَ إِسْمَاعِيلَ ؟ قَالَ : مَا رَهَقَنِي عِدْوٌ وَلَا أَتَيْتُ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ نَقِلُ مِنْ ظَهْرِي نَوْراً مُجِداً ، فَلِذَلِكَ تَغَيَّرَ لَوْنِي وَضَعُفَ رُكْنِي ، قَالَ : أَفِي بَنَاتِ إِسْحَاقَ ؟ قَالَ : لَا ، فِي الْعَرَبِيَّةِ الْجُرْهُمِيَّةِ ، وَهِيَ الْعَامَرِيَّةُ ، فَقَالَ يَعْقُوبُ : بَنِي بَنِيهِ شَرَفَا لِحَمْدِهِ ، لَمْ يَكُنِ اللهُ — عَزَّ وَجَلَّ — لِيُجْرِيَهُ إِلَّا فِي الْعَرَبِيَّاتِ الطَّاهِرَاتِ يَا قَيْدَارُ ، وَأَنَا مُبَشِّرُكَ بِبَشَارَةٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : اعْلَمْ أَنَّ الْعَامَرِيَّةَ قَدْ وَلَدَتْ لَكَ الْبَارِحَةَ غَلاماً . قَالَ قَيْدَارُ : وَمَا عَلَمُكَ يَا بَنَ عَمِّي وَأَنْتِ بَارِضُ الشَّامِ وَهِيَ بَارِضُ الْحَرَمِ ؟ قَالَ يَعْقُوبُ : عَلِمْتُ ذَلِكَ لِأَنِّي رَأَيْتُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ قَدْ فُتِحَتْ ، وَرَأَيْتُ نَوْراً كَالْقَمَرِ الْمَسْدُودِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَرَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْبَرَكَاتِ وَالرَّحْمَةِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَسَلِمَ قَيْدَارُ التَّابُوتَ إِلَى يَعْقُوبَ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَوَجَدَهَا قَدْ وَلَدَتْ غَلاماً ، فَسَمَّاهُ « حَمَلًا »
- ١٥ وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم .

قالوا : وكان التَّابُوتُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَكَانَ مُوسَى يَضَعُ فِيهِ التَّوْرَةَ وَمَتَاعاً مِنْ مَتَاعِهِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ ، ثُمَّ تَدَاوَلَهُ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى وَقْتِ أَشْمُوئِيلَ ، وَكَانَ فِيهِ مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ .

قال الشعبي: وأختلفوا في السكينة ما هي؟ فقال علي بن أبي طالب: السكينة ريحٌ نجوجٌ هفافة لها رأسان [كرأس الهزة<sup>(٢)</sup>] ووجه كوجه الإنسان. وقال مجاهد: رأس كرأس الهزة، وذنب كذنب الهزة وجناحان. وقال ابن إسحاق عن وهب عن بعض علماء بني إسرائيل: السكينة، رأس هزة ميتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخٍ هيرٍ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: هي طست من ذهب من الجنة كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء. وقال بكار بن عبد الله عن وهب: روح من الله نتكلم، إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يريدون. وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها. وقال قتادة والكلبي: فعية من السكون أي طمأنينة من ربكم، وفي أي مكان كان التابوت أطمأنوا ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾.

قالوا: كان فيه عصا موسى<sup>(٣)</sup> ورضاض الألواح، وذلك أن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فوق بعضها، وجمع ما بقي بفعله في التابوت. وكان فيه أيضا لوحان من التوراة، وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم، ونعلا موسى، وعمامة هارون وعصاه. وكان التابوت عند بني إسرائيل؛ وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وأفسدوا سخط الله — عز وجل — عليهم العاقبة فاستلبوا التابوت كما تقدم.

(١) ريح نجوج: تخرج في هبوبها، أي تلتوى.

(٢) زيادة عن قصص الأنبياء للعلبي.

(٣) رضاض الشيء (بضادين معجمتين وضم الراء المهملة): دقاق الشيء وفنائه، أي ما رضى منه.

(٤) استفتح فلان: طلب الفتح واستنصر، ومنه قوله تعالى: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ» أي إن طلبتم الظفر.

## ذكر إتيان التابوت إلى بنى إسرائيل وسبب عَوْدِهِ

١٢٢  
١١

- قال أبو إسحاق : لما سَلَبَ العَمَالِقَةُ قَوْمَ جَالُوتَ التَّابُوتَ كَانَ جَالُوتُ صَغِيرًا ، فَأَتَوْا بِالتَّابُوتِ قَرْيَةً مِنْ قُرَى فِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهَا أَشْدُودُ <sup>(١)</sup> ، وَجَعَلُوهُ فِي بَيْتِ صَنْمٍ لَهُمْ وَوَضَعُوهُ تَحْتَ الصَّانِ الْأَعْظَمِ ، فَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ وَالصَّانِ تَحْتَهُ ، فَأَخَذُوهُ وَوَضَعُوهُ فَوْقَهُ ، وَسَمَرُوا قَدَمِي الصَّانِ عَلَى التَّابُوتِ ، فَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ وَقَدْ قُطِعَتْ يَدُ الصَّانِ وَرِجْلَاهُ ، وَأَصْبَحَ مُلْقًى تَحْتَ التَّابُوتِ وَأَصْبَحَتْ أَصْنَامُهُمْ كُلُّهَا مَنْكُسَةً ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْتِ الصَّانِ وَوَضَعُوهُ فِي نَاحِيَةِ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، فَأَخَذَ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَجَعَلُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ إِلَهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، فَأَخْرَجُوهُ عَنْ مَدِينَتِهِمْ ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَبَعَثَ اللَّهُ — عَزَّ وَجَلَّ — عَلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ فَأَرَا ، بَيْتَ الرَّجُلِ صَحِيحًا فَيَقْرِضُهُ الْفَارُ فَيَصْبِحُ مَيِّتًا قَدْ أَكَلَتْ مَا فِي جَوْفِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا إِلَى الصَّحْرَاءِ وَدَفَنُوهُ فِي مَحْرَاةٍ لَهُمْ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ تَبَرَّزَ هُنَاكَ أَخَذَهُ الْبَاسُورُ وَالْقَوْلَنْجُ <sup>(٢)</sup> ، فَتَحَيَّرُوا ، فَقَالَتْ لَهُمْ أَمْرَأَةٌ كَانَتْ عَنْدهُمْ مِنْ سَبْيِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ : لَا تَزَالُونَ تَرَوْنَ مَا تَكْرَهُونَ مَا دَامَ هَذَا التَّابُوتُ فِيكُمْ ، فَأَخْرَجُوهُ عَنْكُمْ ، فَأَتَوْا بِعَجَلَةٍ بِإِشَارَةِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ فَحَمَلُوا التَّابُوتَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ عَلَّقُوهَا عَلَى ثَوْرَيْنِ ، ثُمَّ ضَرْبُوا جُنُوبَهُمَا ، فَأَقْبَلَ الثَّوْرَانِ يَسِيرَانِ ، وَوَكَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمَا أَرْبَعَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسُوقُونَهُمَا ، فَلَمْ يَمُتْ التَّابُوتُ

(١) كَذَا فِي قَامُوسِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِلدَّكْتُورِ جُورْجِ بُوْسْتِ (ج ١ ص ١٠١ ، ٢٧٦ طبع بيروت

سنة ١٨٩٤) وَهِيَ إِحْدَى مَدَنِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ الْخَمْسِ الْمُتَعَالِفَةِ وَقَدْ خَرَجَتْ فِي نَصِيبِ يَهُوذَا ، وَهِيَ الْمَرْكَزُ الْخُصُوصِي لِعِبَادَةِ دَاوُودَ ، وَأَمَّا مَوْقِعُهَا فَعَلَى ٣ أَمْيَالٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ بَيْنَ غَزَا وَبَافَا ، وَهِيَ الْآنَ قَرْيَةٌ

حَقِيرَةٌ تَسْمَى أَشْدُودَ وَفِي جَوَارِهَا خَرَائِبُ كَثِيرَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَرْدُود » .

(٢) هَذِهِ عِبَارَةٌ التَّلْبِي فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ . وَعِبَارَةٌ الْأَصْلِ مُحَرَّفَةٌ .

(٣) الْقَوْلَنْجُ : مَرَضٌ مَعْبُوءٌ مُؤَلَّمٌ يَعْصِرُ مَعَهُ خُرُوجُ النَّمْلِ وَالرَّجِّ ، مَعْرَبٌ .

بشيء من الأرض إلا كان مقدّساً ، فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبني إسرائيل فكسرا برّتهما وقطعا حبالهما ، ووضعوا التابوت فيها ورجعا إلى أرضهما ، فلم يرجع بني إسرائيل إلا التابوت ، فكبروا وحمدوا الله تعالى .

وقال الكسائي : إنهم لما دفنوه إلى جنب الحش<sup>(١)</sup> وأخذهم الباسور أعادوه إلى الكنيسة . فغزاهم بعض الفراعنة فهزمهم ودخل الكنيسة ، وأخذوا التابوت وهمّوا بفتحه فلم يقدرُوا فهموا بكسره فلم يقدرُوا ، فتركوه ، فكان القوم يتشاءمون به لما كان يصيبهم من البلاء ، فحولوه إلى خمس مدائن ، فقال أهل المدينة الخامسة : إن هذا البلاء يصيبكم بسبب هذا التابوت فَأخرجوه . وساق نحو ما تقدّم .

وقوله تعالى : ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أى تَسُوْقُهُ . فعند ذلك أقفوا بملك طالوت . وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعوه فى دار طالوت ، فأقفوا بملكه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — إن التابوت وعصا موسى فى بحيرة طبرية ، وإنهما يخرجان يوم القيامة . والله أعلم .

١٥ (١) الحش (بالتثنية) : البستان ، وقيل : النخل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلا لما كان من عاداتهم التعمق فى البساتين .

(٢) هذه عبارة الكسائي فى قصص الأنبياء . وفى الأصلين : « فهم بكسره فلم يقدر » .

(٣) سورة آل عمران آية ٤٩ .

٢٠ (٤) بحيرة طبرية ، هى كالبركة تحيط بها الجبال ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تنجى من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر ، وينفصل منها نهر عظيم فيسقى أرض الأردن الأصغر ، وهو بلاد الغور ، ويصب فى البحيرة المنتنة قرب أريحا . ومدينة طبرية فى لحف الجبل مشرفة على البحيرة ، ماؤها عذب شروب ليس بصادق الخلاوة ثقيل . وفى وسط هذه البحيرة حجر ناثى يزعمون أنه قبر سليمان بن داود عليه السلام . وبين البحيرة وبيت المقدس نحو من خمسين ميلا . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

### ذكر مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذي أبتلوا به

- قالوا : فلما أقفوا بملك طالوت سألوه أن يغزوهم ، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل . وقيل : ثمانون ألفا لم يختلف عنه إلا كبير لهمومه أو مريض لمريضه أو ضريح لضره أو معذور لعدوه ؛ وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا : قد أئانا التابوت ، وهو النصر لا شك فيه ؛ فسارعوا إلى الجهاد ، فقال طالوت : لا حاجة لي في كل ما أرى ، لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ، ولا صاحب تجارة مشغول بها ، ولا رجل عليه دين ، ولا رجل تزوج بامرأة ولم يبن بها ، ولا يتبعني إلا الشاب الذسيط الفارع<sup>(١)</sup> . فاجتمع له ثمانون ألفا على شرطه — وكانوا في حر شديد — فشكوا قلة المياه فيما بينهم وبين عدوهم ، وقالوا : إن المياه لا تحملنا ، فادع الله تعالى أن يجري لنا نهر . فقال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي من أهل ديني وطاعتي ؛ ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ ؛ ثم استثنى فقال : ﴿ إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ .

- قال الكيسائي : لما سألوه أن يجري لهم نهر قال : أفعل — إن شاء الله — وسار بهم حتى إذا كانوا في برية وفقدوا الماء وأجهدهم العطش ، أتوه ، فدعا أن يجري الله تعالى لهم نهر ؛ فأوحى الله إليه ما أخبر به في كتابه ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ<sup>(٢)</sup> ﴾ . قال : وهو نهر الأردن من بلاد فلسطين . وقال الشعبي : قال ابن عباس والسدي : هو نهر فلسطين . وقال قتادة والربيع : هو نهر بين الأردن وفلسطين ، عذب . قال الكيسائي : قالوا : وما تنفي عنا الغرقة ثم عرض لهم النهر فأنهم مكوا في شربه . قال الله تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ<sup>(٣)</sup> إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ .

١٢٣  
١١

(١) الفارع : المرتفع الهنيء الحسن .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۝ قَالَ : وَآخْتَلَفُوا فِي الْقَلِيلِ الَّذِينَ لَمْ يَشْرَبُوا ؛ فَقَالَ السُّدِّيّ : كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : كَانُوا ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ؛ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لِأَهْلِ بَدْرٍ : ” أَتَمَّ الْيَوْمَ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ حِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ “ وَكَانَ أَهْلُ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ .

قالوا : فلم يزد هؤلاء على العُرفة فكانت كفايةً لهم ولدوا بهم ؛ فمن آغترف عُرفة ، كما أمر الله ، نور الله قلبه وصحّ إيمانه ، وعبر النهر سالماً . والذين شربوا وخالقوا أمر الله — عز وجل — أسودت شفاههم وغلهم العطش فلم يروا وبتوا على شطّ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ؛ فقال طالوت للذين عصوا ربهم : ارجعوا فلا حاجة لي بكم فرجعوا . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ ﴾ <sup>(١)</sup> وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ الَّذِينَ عَصَوْا وَشَرَبُوا ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۚ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### ذكر خبر دواود حين قتل جالوت الملك

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۚ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ۚ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال أبو إسحاق الشعبيّ — رحمه الله — : قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة : عبر النهر مع طالوت إيشى أبو داود في ثلاثة عشر أبناً له ، وكان داود

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥١ ، وقد وردت هذه الآية الكريمة في الأصول قبل هذا العنوان .

ووردت في التعلي الذي ينقل عنه المؤلف كما أثبتنا هنا وهو الأنسب .



أصغرهم ، فأتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرمى بقذافتي شيئاً إلا صرعته . فقال :  
 أبشر يا بني - فإن الله - عز وجل - جعل رزقك في قذافتك ؛ ثم أتاه مرة أخرى  
 فقال : يا أبتاه ، لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً ، فركبته وأخذت  
 بأذنيه فلم يهجن<sup>(٢)</sup> ، فقال : أبشر يا بني - فإن هذا خير يريدك الله بك . ثم أتاه يوماً  
 آخر فقال : يا أبتاه ، إني لأمشي بين الجبال فأستريح فما يبقى جبل إلا سبّح معي .  
 فقال : أبشر يا بني - فإن هذا خير أعطاك الله عز وجل .

قالوا : فأرسل جالوت إلى طالوت ، أن أبرز إلى أو أبرز إلى من يقاتلني ،  
 فإن قتلني فلكم ملكي ، وإن قتلته فلي ملككم . فشق ذلك على طالوت ، فنأدى  
 في عسكره : من قتل جالوت زوجته أبقي وناصفته ملكي . فهاب الناس جالوت  
 فلم يجبه أحد ، فسأل طالوت نبيهم - عليه السلام - أن يدعو ، فدعا الله - عز  
 وجل - في ذلك ، فأتى بقرن فيسه ذهن القدس ، وتثور من حديد ، فقبل له :  
 إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن  
 ثم يدهن به رأسه ولا يسيل على وجهه ، يكون على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل  
 في هذا الثور فيملاؤه لا يتقلقل فيه ؛ فدعا طالوت بني إسرائيل ، فخرّبهم فلم يوافقوه  
 منهم أحد ، فأوحى الله - عز وجل - إلى نبيهم أن في ولد إيشي من يقتل الله  
 به جالوت ، فدعا طالوت إيشي وقال له : اعرض عليّ بنيك . فأخرج له اثني عشر  
 رجلاً أمثال السوارى ، وفيهم رجل فارع عليهم ؛ فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى  
 شيئاً ، فيقول لذلك الجسيم : ارجع فيردده على الثور . فأوحى الله - عز وجل - إليه :  
 إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ، ولكننا نأخذهم على صلاح قلوبهم . فقال لإيشي :

(١) التذاقة : المقلاع .

(٢) لم يهجه : لم يزعجه ولم ينفره .

هل بقى لك ولدٌ غيرهم؟ فقال لا . فقال النبي : ربّ إنه زعم أن لا ولد له غيرهم .  
فقال كذب . فقال النبي : إن ربّي كذّبك . قال : صدق الله يا نبيّ الله ،  
إن لي أبنا صغيرا يقال له داود أستحييتُ أن يراه الناس لقصر قامته وحمارته ،  
نخلفته في الغم يراها وهو في شعب كذا . وكان داود — عليه السلام — رجلا  
قصيرا مسقاما مصفازا أزرق أشقر . فدعاه طالوت . ويقال : بل خرج طالوت  
إليه فوجد الوادي قد حال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها ، فوجده يحمل  
شاتين شاتين فيجيزهما السيل ولا يخوض بهما الماء ؛ فلما رآه [ أشمويل <sup>(٢)</sup> ] قال :  
هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم . فدعاه ووضع القرن على  
رأسه ففاض ؛ فقال له طالوت : هل لك أن تقتل جالوت وأزوجه وأبنتي وأجرتي  
حُكَمَك في ملكي ؟ قال نعم . قال : وهل أنست من نفسك شيئا نتقوى به على  
قتله ؟ قال : نعم ، أنا أرعى فيجىء الأسد أو الثمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم له  
فأفتح لحية عنها وأخرقهما إلى قفاه . فردّه إلى عسكره ؛ فمّر داود — عليه السلام —  
في الطريق بحجر فناداه : يا داود ، احملي فأني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا ،  
خمله في مخلاته . [ ثم مرّ بحجر آخر فناداه : يا داود ، احملي فأني حجر موسى — عليه  
السلام — الذي قتل به ملك كذا وكذا ، خمله في مخلاته <sup>(٢)</sup> ] . ثم مرّ بحجر آخر فقال :  
احملي فأني حجرك الذي تقتل به جالوت ، وقد خباني الله لك ، فوضعه في مخلاته .  
فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة ، أنتدب له داود ، فأعطاه طالوت  
فرسا ودرعا وسلاحا ، فلبس السلاح وركب الفرس ، وسار قريبا ، ثم أنصرف  
فرجع إلى الملك ، فقال من حوله : جبن الغلام . بخاء فوقف على الملك فقال :

(١) عبارة الثعلبي : « وكان داود — عليه السلام — رجلا قصيرا سقيا مصفرا أزرق العينين » .

(٢) التكملة عن قصص الأنبياء للثعلبي .

ما شأنك ؟ قال : إن الله — عز وجل — إن لم ينصرني لم يُغْنِ عني هذا السلاحُ شيئاً ، فدعني أقاتل كما أريد . قال نعم . فأخذ داود مِخْلَاته فتقلدها ، وأخذ المِقلع ومضى نحو جالوت ، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم ؛ وكان يهزم الجيوش وحده ، وكان له بِيَضَةٌ فيها ثلاثمائة من حديد ، فلما نظر إلى داود ألقى في قلبه الرعب ، فقال له : أنت تبرز لي ؟ قال نعم — وكان جالوت على فرس أبلق ، عليه السلاح التام — قال : تأتيني بالمِقلع والمجر كما يُؤْتَى الكلب ؟ قال : نعم ، لأنك شرٌّ من الكلب . قال : لا جرم لأقسم لحكم بين سبع الأرض وطير السماء . فقال داود : [ باسم الله <sup>(١)</sup> ] يقسم الله لحكم . وقال : بسم الله إبراهيم ، وأخرج حجراً ، ثم أخرج الآخر وقال : باسم الله إسحاق ، ووضعه في مِقلعه ، ثم أخرج الثالث وقال : باسم الله يعقوب ، ووضعه في مِقلعه ، فصارت كلها حجراً واحداً ، ودور المقلع ورماه به ، فسخر الله تعالى له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة وخالط دماغه فخرج من قفاه ، وقتل من ورأه ثلاثين رجلاً ، وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلاً ، فأخذه داود فجثه حتى ألقاه بين يدي طالوت .

وقال الكسائي في هذه القصة : كان مع طالوت سبعة إخوة لداود ، وكان داود عند أبيه وهو صغير ، فقال له أبوه : قد أبطأ على خبر إخوانك مع طالوت ، فأحمل إليهم طعاماً وتعترف لي خبرهم . فمضى داود ومعه مِخلاة له فيها الطعام ، وقد شد وسطه بمقلع ، فبينما هو يسير إذ ناداه جبر من الأرض : خذني فأنا جبر أبيك إبراهيم . فأخذه ، ثم ناداه جبر آخر : خذني فأنا جبر أبيك إسحاق . فأخذه ؛

(١) كذا في قصص الأنبياء للنعلبي . وفي الأصل : « لو يقسم » .

ثم ناداه حجر آخر : خُذْنِي فَأَنَا حجر أبيك يعقوب . فأخذه وسار حتى أتى العسكر ،  
فنزّل على إخوته ، فلمّا كان من الغد تهيّأ الجيشان للمحاربة ، فقال طالوت :  
أيها الناس ، من كَفَأَ منكم أمرَ جالوت زوجتُه أبتى ، وأشركتُه في ملكي ، وجعلتُه  
خليفة من بعدي . فلم يجبه أحدٌ إلّا داود ؛ فخلع عليه وأركبه وطاف به في معسكره ؛  
فلمّا كان من الغد ركبوا ، وأقبل جالوتُ بجيوشه وهو على فيل ، وكان طوله  
ثمانية عشر ذراعاً ، وطول داود عشرة أذرع ، فقال المؤمنون : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ  
عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ <sup>(١)</sup> الآية .

فبرز جالوتُ بين الصّفين فبرز له داودُ ، فقال له جالوت : إنك صغير  
ولا سلاح معك فأرجع ، فأبى ذلك ، وأخذ تلك الأحجار فوضعها في مِقلّاعه ورمى  
بها ، فوقع أحدها بيمينه جالوت فهزمها ، والثاني في الميسرة فأنهزموا ، والثالث وقع  
على أنف بيضة جالوت فخرج من قفاه ، فسقط جالوت ميتاً ، وأنهزم أصحابه .

قالوا : ولمّا قتل داودُ جالوتَ ذكر الناسُ داودَ وعظّم في أنفسهم ، بغاء إلى  
طالوت وقال له : أنجز لي ما وعدتني ، وأعطني أمراًتي . فقال له طالوت : أتريد  
أبنة الملك بغير صدّاق ، عجّل صدّاق أبتى وشأنك بها . فقال له داود : ما شرطت  
على صدّاقا ، وليس لي شيء ، فتحكّم في الصدّاق <sup>(٢)</sup> ما شئت وأقرضني مهرها وعلى  
الأداء والوفاء لك . فقال طالوت : أصدّقها نصيبك من الملك . فقالت بنو إسرائيل :  
لا تظلمه وأنجز له ما وعدته به .

فلمّا رأى طالوتُ ميلَ بني إسرائيل إلى داود وحُسْنَ رأيهم فيه قال :  
لا حاجة لأبتي في المال ، ولا أكلّفك إلّا ما تطيق ، أنت رجل جريء ، وفي جبالنا

(١) سورة البقرة آية ٢٥٠

(٢) عبارة الأصول : « فتحكّم من الصدّاق ما شئت » وعبارة التعليل : « فتحكّم في الصدّاق بما تريد » .

أعداء من المشركين غُلْفٌ<sup>(١)</sup> فَأَنْطَلِقُ وَجَاهِدُهُمْ ، فإذا قُتِلَ منهم مائتي رجل وجئتني  
برءوسهم زوجتك أبتى . فأتاهم داود ، وجعل كلما قتل منهم رجلاً آحتر رأسه ونظمه  
في خيط حتى نَظَمَ رءوسهم بخاء بها إلى طالوت ، فألقاها إليه وقال : ادفع إلى  
أمرأتى ، فزوجه أبتته وأجرى خاتمته في ملكه ، فقال الناس إلى داود وأحبوه  
وأكثروا من ذكره ، فوجد طالوت من ذلك في نفسه وحسده وأراد قتله .

قال وهب بن منبه : وكانت الملوك يومئذ يتوكلون على عصى فيغريزون في أطرافها  
أزجة من حديد ، وكان بيد طالوت منها واحدة ، في رأسها رقانة من ذهب  
وفي أسفلها زُج من حديد ، وداود جالس قريباً منه في ناحية البيت ، فرماه بها بغتة  
ليقتله بها ، فلمّا أحس داود بذلك حاد عن طريقها ، وأمال نفسه عنها من غير  
أن يهرح من موضعه ، فأرتكرت في الحدار ، فقال له داود : عمدت إلى قتلتي ؟  
قال طالوت : لا ، ولكن أردت أن أفق على ثباتك في الطعان وربط جأشك  
للاقران . قال داود : فألفيته على ما قدرته في ؟ قال : نعم ، ولعلك فزعت . قال :  
معاذ الله أن أخاف إلا الله تعالى وأرجو إلا الله ، ولا يدفع الشر إلا الله . فأتزعها  
من الحدار ثم هزها هزة منكزة وقال له : أثبت كما ثبت لك ، فايقن طالوت  
بالهلاك ؟ فقال له : أنشدك الله والحُرمة التي بيني وبينك إلا ما صفحت ، فقال  
داود : إن الله تعالى كتب في التوراة أن آجر السيئة مثلها ، واحدة بواحدة والبادي  
أظلم ، فقال طالوت : ألا تقول قول هابيل لأخيه قابيل : ﴿ لَنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ  
لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . قال داود :  
قد عفوت عنك لوجه الله تعالى .

(١) هذه عبارة النعلبي في النسخة المطبوعة . وفي الأصلين : « وجئتني بغلغهم زوجتك أبتى ، فأتاهم  
داود وجعل كلما قتل منهم نظم غلغته في خيط حتى نظم غلغهم » والغلف جمع أغلف ، والأغلف : الذي لم يجتن .  
(٢) سورة المائدة آية ٢٨

فلبث طالوتُ زمنا يريد قتلَ داود، فعزم على أن يأتيه ويغتاله في داره، فأخبر بذلك بنتَ طالوتَ رجلٌ يقال له : ذو العينين ، فقالت لداود : إنك مقتولُ الليلة ؛ قال : ومن يقتلني ؟ قالت : أبى ، وأخبرته الخبر وقالت : لا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظرِ مُصدّقَ ذلك . فأخذ داودُ زِقَّ حميرٍ فوضعه في مَصْجَعِه على السَّيرِ وتبَّاه ودخل تحت السَّيرِ ودخل طالوتُ نصفَ الليل ، فعمد إليه فضربه ضربةً بالسيف فسالتِ الحميرُ، فلما وجدَ ريحها قال : رحم الله داود، ما كان أكثرَ شربه للخمر ، وخرج ، فلما أصبح علم أنه لم يصنع شيئا ، فقال : إن رجلا طلبتُ منه ما طلبتُ لخليق ألا يدعنى حتى يطالب منى ثأره ؛ فاشتدَّ حُجَّابه وحُرَّاسه وأغلق دونه الأبواب ، فأناه داود ليلةً وقد هدأتِ العيونُ وأعْمى الله الحُجَّاب عنه وفتح له الأبواب ، ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سَهما عند رأسه وسهما عند رجله وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج . فلما استيقظ طالوتُ بصرَ بالسهم اعرفهما ، فقال : رحم الله داود فهو خير منى ، ظفرتُ به فقصدتُ قتله ، وظفر بى فكفَّ عنى ، لو شاء لَوَضَعَ هذا السهمَ فى حلقى وما أنا بالذى آمنه . فلما كانت الليلة القابلة أتاه ثانيا ، وأعْمى الله الحُجَّاب ، فدخل وهو نائم ، فأخذ إبريقَ طالوتَ الذى كان يتوضأ به وكوزه الذى يشرب منه ، وقطع شَعرات من لحيته وشيئا من هُذْب ثيابه ، ثم خرج وهرب وتوارى ؛ فلما أصبح ورأى ذلك نصب على داود العيونَ وطلبه أشدَّ الطلب فلم يقدر عليه ، ثم رَكِبَ طالوتُ يوما فوجد داود يمشى فى البرية فقال : اليوم أقتلُ داود ، وكان داودُ إذا فزع لم يدرك ، فركض داود حتى دخل غارا ، فأمر الله العنكبوتَ أن تنسج ، فنسجت عليه بيتا ، وجاء طالوتُ إلى الغار فنظر إلى بيتِ العنكبوت فقال : لو كان هاهنا لخرقَ بيتَ العنكبوت ، فتركه ومضى ، وأنطلق داود إلى الجبل ومعه المتعبدون ، بفعل يتعبد فيه .

وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود، بفعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود إلا قتله . وأغرى بقتل العلماء، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم [ويطبق قتله إلا قتله] ولم يكن طالوت يحارب جيشا إلا هزمه، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم، فأمر جباره بقتلها، فرحمها الجبار وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها .

- ثم وقع في قلب طالوت التوبة، وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي : أنشد الله عبدا يعلم لى التوبة إلا أخبرني . فلما كثر عليهم [بكائه] ناداه مناد من قبر : يا طالوت، أما ترضى [أنك] قتلنا حتى تؤذينا أمواتا، فازداد بكاء وحزنا، فقال له الجبار : مالك أيها الملك ؟ قال : هل تعلم لى فى الأرض عالما أسأله ؟ هل لى من توبة ؟ قال الجبار : هل تدري ما مثلك ؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء، فصاح ديك فتطير به ، فقال : لا تتركوا فى هذه القرية ديكا إلا ذبحتموه . فلما أراد أن ينسأ قال لأصحابه : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندبج . فقالوا له : وهل تركت ديكا يسمع صوته ؟ وأنت هل تركت فى الأرض عالما ؟ ! فازداد طالوت حزنا وبكاء، فلما رأى الجبار ذلك قال له : أرايتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله ؟ قال لا . فتوثق منه الجبار وأخبره أن المرأة العالمة عنده ؛ قال : فأنطلق بى إليها حتى أسألهما هل لى من توبة ؟ — وكان إنما يعلم ذلك أهل بيت لهم علم بالاسم الأعظم — فلما بلغ طالوت الباب قال له الجبار : إنها إن رأتك فزعت ، فخلفه خلفه، ثم دخل عليها فقال لها : ألسأ أعظم عليك حمة ، أنجيتك من القتل وأويتك عندى ؟ قالت بلى . قال : فإن لى إليك حاجة . قالت :

- (١) التكملة من قصص الأنبياء للعلبي .  
(٢) عبارة العلبي : « وكانت تعلم الاسم الأعظم ، وكان إنما يعلم بهذا الاسم أهل بيت لها فنيث رجاهم ونهبت نسأؤهم » .

- وما هي ؟ قال : هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فقالت : لا والله ما لطالوت من توبة ، ولكن هل تعلمون مكان قبر أشمويل ؟ قال نعم . قالت : فأنطلقوا بي إلى قبره ، ففعلوا ، فصأت ثم نادى : يا صاحب القبر أخرج . فخرج أشمويل من قبره ينفض رأسه من التراب . فلما نظر إليهم ثلاثتهم . المرأة والجبار وطالوت قال : ما لكم ! أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك هل له من توبة ؟ قال أشمويل : يا طالوت ، ما فعلت بعدى ؟ قال : لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة . قال : كم لك من الولد ؟ قال : عشرة رجال . قال : ما أعلم لك من توبة إلا أن تختلى عن مالك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ، ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم . ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتاً ، ورجع طالوت أحزن ما كان ، رهبة إلا يتابعه أولاده ، وقد بكى حتى سقطت أشغائر عينيه ، ونحل جسمه . فدخل عليه أولاده فقال لهم : أرايتم لو دُفعت إلى النار هل كنتم تنقذوننى ؟ قالوا : بلى ، ننقذك بما قدرنا عليه . قال : فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول . قالوا : فأعرض عنا ، فذكر لهم القصة . قالوا : فإنك لمقتول ؟ ! قال نعم . قالوا : فلا خير لنا في الحياة بعدك ، قد طابت أنفسنا بالذى سألت . فتجهز للغزو بماله وولده ، فتقدم ولده فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم تقدم فقاتل بعدهم حتى قتل . بخاء قاتله إلى داود يبشره وقال : قد قتل عدوك . فقال داود : ما أنت بالذى تحيا بعده . فضرب عنقه .
- وحكى الكسائي : أن طالوت لما حسد داود على ما أوتي من القوة ، وهم بالغدر مرارا فلم يظفر به وظفر به داود فأبقى عليه ، اعتذر له طالوت واتفقا ، ثم مات أشمويل ، فانضم بنو إسرائيل إلى داود واختلفوا على طالوت وحاربوه ، فاستقل داود بالملك ، وجاهد بنو إسرائيل وقهر الأعداء . والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .



ذكر خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلى بني إسرائيل  
وما خصه الله عز وجل به

- هو داود بن إيشي بن عويل بن باعد بن سلمون بن يحسون بن عمي بن مارب  
أبن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل  
— عليهم السلام — قال الله تعالى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ قال  
الكسائي : لما مات أشمويل تفرق بنو إسرائيل وأشتغلوا باللهو ، فبعث الله تعالى  
داود — عليه السلام — وأعطاه سبعين سطرًا من الزبور ، وأعطاه حسن الصوت ،  
فكان إذا سبّح سبّحت الجبال معه والطير والوحش ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا  
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣) أى مطيع .  
وقال أبو إسحاق الثعلبي : قالت العلماء بأخبار الأنبياء : لما استشهد طالوت  
أتى بنو إسرائيل إلى داود فأعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم ، وذلك بعد  
قتل جالوت بسبع سنين ، ولم يجتمع بنو إسرائيل بعد يوشع بن نون على ملك واحد  
إلا على داود عليه السلام .

قال : وخصّ الله تعالى نبيه داود بخصائص :

- منها : أنه أنزل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة ، في خمسين منها  
ما يكون من مختصر وأهل بابل ؛ وفي خمسين ما يكون من أهل أبرون ؛  
(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٥٦١ من القسم الأول) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي  
(ج ٣ ص ٢٥٧) وذكر أنه بكسر الهمزة . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٧٢) : « يسي »  
يفتح الياء والسین المشددة . وقد ورد نسب داود — عليه السلام — في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٢)  
هكذا : « داود بن يسي بن عويد بن بوغر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن حصرون  
ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام » . وورد نسبه في تاريخ الطبري  
(ص ٥٥٩ من القسم الأول) هكذا : داود بن إيشي بن عويد بن باعد بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب  
ابن رأم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .  
(٢) سورة ص آية ٢٦ (٣) سورة ص آيتي ١٨ ، ١٩

وفي خمسين منها موعظة وحكمة ؛ ولم يكن فيها حلال ولا حرام ، ولا حدود ولا أحكام ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا <sup>(١)</sup> 》 .

ومنها : الصوت الطيب ، والنعمة اللذيذة ، والترجيع في الألحان ؛ ولم يُعْطِ الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته ، فكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويُفِيْقُ الْمَغْشَى عَلَيْهِ .

وكان إذا قرأ الزبور برز إلى البرية ، فيقوم ويقوم معه علماء بنى إسرائيل خلفه ، ويقوم الناس خلف العلماء ، وتقوم الجن خلف الناس ، وتقوم الشياطين خلف الجن ، وتدنو الوحوش والسباع حتى تؤخذ بأعناقها ، وتُظَلِّه الطيرُ مُصِيخَةً ، ويركد الماء الجارى ويسكن الريح .

قال الثعلبي <sup>(٣)</sup> : وما صُنعت المزامير والبرابط والصُنُوج إلا على صوته ، وذلك أن إبليس حسده واشتد عليه أمره ، فقال لعفاريته : ترون ما دهاكم؟ فقالوا : مُرْنَا بِمَا شِئْتَ . قال : فإنه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يُضَادُّه وَيُحَادِّثُهُ <sup>(٤)</sup> في مثل حاله . فهيا المزامير والأعواد والأوتار والملاهي على أجناس أصوات داود — عليه السلام — فسمعها سفهاء الناس فمالوا إليها وأغترؤا بها .

ومنها : تسبيح الجبال والطير معه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ <sup>(٥)</sup> 》 . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخْرُنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ <sup>(٦)</sup> 》 . يقال : إن داود كان إذا تَخَلَّلَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُ الله تعالى جعلت الجبالُ

(١) سورة النساء آية ١٦٣ (٢) كذا في قصص الأنبياء للثعلبي المخطوطة . ومصيغة

أى مصيغة مستعارة . وفي الأصل : « مسبحة » وهو تحريف .

(٣) البرابط : العبدان . (٤) يحادِّثُهُ : يعاديه .

(٥) سورة سبأ آية ١٠ (٦) سورة ص آية ١٨

- تجاوزه بالتسبيح نحو ما يسبح . ثم قال في نفسه ليلة من الليالي : لأعبدن الله عبادة لم يُعبد مثلاً ، فصعد الجبل ، فلمّا كان في جوف الليل وهو على جبل داخلته وحشة ، فأوحى الله إلى الجبال : أن أنسي داود ، فأصطكت الجبال بالتسبيح والتهليل . فقال داود في نفسه : كيف يُسمع صوتي مع هذه الأصوات ؟ فهبط عليه ملك وأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر ، فوكره برجله فانفرج له البحر ، فأنتهى إلى الأرض فوكرها برجله فانفرجت له الأرض ، حتى انتهى إلى الحوت فوكره برجله ، فأنتهى إلى الصخرة ، فوكر الصخرة برجله ، فانفلقت فخرجت منها دودة تدش<sup>(١)</sup> ، فقال : إن الله تعالى يسمع نَشِيش هذه الدودة في هذا الموضع . قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .
- ومنها : أن الله تعالى أكرمه بالحكمة وفصل الخطاب . قالوا : والحكمة : ١٠ الإصابة في الأمور . واختلفوا في فصل الخطاب ، قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : بيان الكلام . وقال ابن مسعود والحسن : المعنى علم الحكم والنظر في القضاء ، كان لا يتنعم في القضاء بين الناس . وقال علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — : هو البيئة على المدعى وآلئمين على المدعى عليه . وقال كعب : الشهود والأيمان . وقال الشعبي : سمعتُ زيادا يقول : فصل الخطاب الذي أُعطى داود : أما بعد . قال الأستاذ : وهو أول من قالها . ١٥

ومنها : السلسلة التي أعطاه الله إياها ، ليعرف الحق من المبطل في المحاكمة إليه . قال الثعلبي : روى الضحاك عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : إن الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ، ورأسها عند محراب داود

(١) تنش : تصوت .

(٢) يتنعم : يتردد .

حيث يُتَحَاكَم إليه ، وكانت قُوَّتُهَا قُوَّةَ الْحَدِيدِ ، وَلَوْ أَنَّهَا لَوَّنَ النَّارَ ، وَحَلَّقُهَا مُسْتَدِيرَةٌ ، مَفْصَّالَةٌ بِالْجَوْهَرِ ، مَدَسَّرَةٌ بِقُضْبَانِ اللَّوْلُؤِ الرَّطْبِ ، فَلَا يَحْدُثُ فِي الْهَوَاءِ حَدَثٌ إِلَّا صَلَصَلَتِ السَّلْسَلَةُ ، فَيَعْلَمُ دَاوُدُ ذَلِكَ الْحَدَثَ ؛ وَلَا يَلْمَسُهَا ذُو عَاهَةٍ إِلَّا بَرِيءٌ ، وَكَانَ عَلَامَةً دُخُولِ قَوْمِهِ فِي الدِّينِ أَنْ يَمْسُوهَا بِأَيْدِيهِمْ وَيَمْسَحُوا بِأَكْفُهُمْ عَلَى صُدُورِهِمْ . وَكَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ ، فَمَنْ تَعَدَّى عَلَى صَاحِبِهِ أَوْ أَنْكَرَهُ حَقًّا أَتَوْا السَّلْسَلَةَ ، فَمَنْ كَانَ صَادِقًا مُحَقَّقًا مَدَّ يَدَهُ إِلَى السَّلْسَلَةِ فَذَالَهَا ، وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا ظَالِمًا لَمْ يَنْلُهَا ؛ فَكَانَتْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَكْرُ وَالْحَدِيعَةُ .

قال : فَبَاغْنَا أَنْ بَعْضُ مَلُوكِهِمْ أَوْدَعَ رَجُلًا جَوْهَرَةً ثَمِينَةً ، فَلَمَّا اسْتَرَدَّهَا مِنْهُ أَنْكَرَهُ ذَلِكَ ، فَتَحَاكَمَ إِلَى السَّلْسَلَةِ ، فَعَلِمَ الَّذِي كَانَتْ عِنْدَهُ الْجَوْهَرَةُ أَنَّ يَدَهُ لَا تَنَالُ السَّلْسَلَةَ ، فَعَمِدَ إِلَى عُكَّازَةٍ فَنَقَرَهَا ثُمَّ ضَمَّنَهَا الْجَوْهَرَةَ وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهَا حَتَّى حَضَرَ مَعَهُ غَرِيمُهُ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهَا : مَا أَعْرِفُ لَكَ مِنْ وَدِيعَةٍ ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَتَنَاوَلِ السَّلْسَلَةَ ، فَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ لِلنَّيْكَرِ : قُمْ أَنْتَ أَيْضًا فَتَنَاوَلْهَا ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْجَوْهَرَةِ : إِلْزَمْ عُكَّازَتِي هَذِهِ حَتَّى أَتَنَاوَلَ السَّلْسَلَةَ . فَأَخَذَهَا وَقَامَ الرَّجُلُ وَقَالَ : اَللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ الَّتِي يَدَّعِيهَا عَلَيَّ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ فَقَرِّبْ مِنِّي السَّلْسَلَةَ . فَدَّ يَدَهُ وَتَنَاوَلَهَا ، فَشَكَ الْقِسْمُ وَتَعَجَّبُوا ، فَأَصْبَحُوا وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تِلْكَ السَّلْسَلَةَ .

وقال الكسائي في خبر السَّلْسَلَةِ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ أَنْ يَنْصُبَ سَلْسَلَةً مِنْ حَدِيدٍ وَيَعْلَقَ فِيهَا جِرسًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ؛ وَسَاقَ فِي خَبَرِهَا نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ فِي أَمْرِ الْمُحَقِّقِ وَالْمُبْطَلِ .

(١) كَذَا فِي التَّلْغِي . وَفِي الْأَصُولِ : « حَتَّى حَضَرُوا إِلَى السَّلْسَلَةِ » .

قال : وجاء خَصَمَان فَاَدْعَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ أَنَّهُ أَوْدَعَهُ جَوْهَرًا ؛ فاعترف به وقال : أعدتُهُ إِلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ الْمُدْعَى وَتَنَاوَلَ السِّلْسِلَةَ فَدَنَتْ مِنْهُ حَتَّى تَنَاوَلَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْمُدْعَى عَلَيْهِ : تَنَاوَلْهَا . وَكَانَ قَدْ أَخَذَ الْوَدِيعَةَ بِفَعْلِهَا فِي قَنَازَةٍ مَجْذُوفَةٍ ، فَنَاوَلَهَا لِلْمُدْعَى وقال : الزَّمْ عَصَايَ هَذِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى السِّلْسِلَةِ فَدَنَتْ مِنْهُ حَتَّى كَادَ يَتَنَاوَلَهَا ؛ ثُمَّ آرْتَفَعَتْ وَتَدَلَّتْ إِلَيْهِ مَرَارًا ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا ، فَقَالَ دَاوُدُ لِلْمُدْعَى : لَعَلَّ هَذَا قَدْ سَلَّمَ وَدِيعَتُكَ لِأَهْلِكَ . فَرَجَعَ وَسَأَلَ أَهْلَهُ ، فَقَالُوا : مَا دَفَعَ إِلَيْنَا شَيْئًا . فَعَادَ وَأَعْلَمَ دَاوُدُ ، فَأَخَذَ دَاوُدُ الْقَنَازَةَ وَشَقَّهَا . فَطَاعَتُ الْوَدِيعَةُ مِنْهَا ؛ وَآرْتَفَعَتْ السِّلْسِلَةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قال الثعلبي : وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إذا أشتبته عليه أمر الخصمين قال : ما أحوجكما إلى سلسلة بنى إسرائيل؟ كانت تأخذ بعنق الظالم فتجتره إلى الحق جراً . والله أعلم بالصواب .

ومنها : القوة في العبادة وشدة الاجتهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾<sup>(١)</sup> ، أى القوة في العبادة ﴿ إِنَّهُ آوَابٌ ﴾ أى تَوَابٌ مطيع مسبح .

وكان داود يقوم الليل ، ويصوم يوماً ويُفِطِر يوماً ، وما مرّت ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلي ، ولا يوم من الأيام إلا وفيه منهم صائم .

ومنها : قوة المملكة . قال الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> أى قَوَيْنَاهُ ، وقرأ الحسن : ( وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ) بالتشديد . قال ابن عباس : كان أشد ملوك الأرض سلطاناً ؛ كان يحرس محرابه كلّ ليلة ثلاثاً وثلاثين ألف رجل . وقال السدي : كان يجرسه في كل يوم وليلة أربعة آلاف .

(١) سورة ص آية ١٧

(٢) سورة ص آية ٢٠

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلا من بني إسرائيل استعدي<sup>(١)</sup> على رجل من عظمائهم عند داود، فقال المستعدي: إن هذا قد غصبني بقرى. فسأل داود الرجل بحجده، وسأل الآخر البيّنة فلم تكن له بيّنة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما. فقاما من عنده، فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا [ولست أعجل حتى أتبين<sup>(٢)</sup>] فأوحى الله تعالى إليه مرة ثانية أن يقتله [فقال: هذه رؤيا، فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله<sup>(٣)</sup>] أو تأتيه العقوبة من الله. فأرسل داود إلى الرجل فقال: إن الله تعالى قد أوحى إلى أن أقتلك. فقال: تقتلني بغير بيّنة ولا تثبت؟. فقال نعم، والله لأنفذت أمر الله فيك. فلما عرف الرجل أنه قاتله قال: لا تعجل حتى أخبرك. إني والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكنني [كنت<sup>(٤)</sup>] اغتلت<sup>(٣)</sup> والد هذا فقتلته. فأمر به داود فقتل، فأشدت هيئته عند بني إسرائيل وأشدت ملكه.

ويقال: كان لداود إذا جلس للحكم عن يمينه ألف رجل من الأنبياء، وعن يساره ألف رجل من الأخبار.

ومنها: شدة البطش. فروى أنه ما فتر ولا آنحاز من عدوله قط، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن داود عليه السلام: "كان يصوم يوما ويفطر يوما"<sup>(٤)</sup>.

(١) في نسخة التعلي المخطوطة والمطبوعة: « بقرى ».

(٢) الكلمة عن التعلي.

(٣) في نسخة التعلي المطبوعة: « ولد ».

(٤) هذا الحديث ورد في الأصلين في هذا الموضع ولا محل له في الكلام هنا، وقد خات منه نسخنا التعلي المخطوطة والمطبوعة، وكان الأولى أن يذكره أثبا. كلامه على داود في قوة العبادة وشدة الاجتهاد.

ومنها : إلهة الحديد له . قال الله تعالى : ﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ<sup>(١)</sup>﴾ . قالوا : وكان سبب ذلك أن داود — عليه السلام — لما ملك أمر بني إسرائيل ، كان من عادته أن يخرج للناس متنكرا ، فإذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم إليه وسأله ، فيقول له : ما تقول في داود واليكم هذا ؟ أى رجل هو ؟ فيثنون عليه ويقولون خيرا ؛ فبينما هو ذات يوم إذ قبض الله له ملكا في صورة آدمي ، فتقدم داود إليه ، فسأله على عادته ، فقال له : نعم الرجل هو لولا خصلة فيه . فراع داود ذلك ، فقال : ماهى يا عبد الله ؟ قال : إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال . قال : فتنبه داود لذلك ، وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال ، فالآن الله له الحديد ، فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول ، فكان يصرفه بيده كيف شاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد .

وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح . وقيل : إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف ، فبأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ<sup>(٢)</sup>﴾ الآية . وقوله : ﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ أى دروعا كوامل واسعات ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ ، أى لا تجعل المسامير دقاقا فتتفلق ، ولا غلاظا فتكسر الحلق . فكان يفعل ذلك حتى جمع منه مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود وهو يعمل الدروع ، فعجب من ذلك ولم يدر ما هو ؟ فأراد أن يسأله ، فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع ، فقام وصبها على نفسه وقال : نعم القميص هذا للرجل المحارب . فعلم لقمان ما يراد به ، فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله . والله أعلم .

### ذكر خبر داود عليه السلام حين أبْتُلِيَ بِالْخَطِيئَةِ

قال الثعلبي - رحمه الله - : اختلف العلماء في سبب أمتحان الله تعالى نبيه داود - عليه السلام - فقيل : إنه تمتنى يوماً من الأيام على ربه تعالى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه نحو الذي كان يمتحنهم به ، ويعطيه من الفضل نحو الذي أعطاهم . قال : ورَوَى السُّدِّيُّ والكلبيُّ ومُقاتِل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : كان داود - عليه السلام - قَسَمَ الدهرَ ثلاثة أيام : يوماً يَقْضِي فيه بين الناس ، ويوما لعبادة ربه ، ويوما يَخْلُو فيه بنسائه وأولاده وأشغاله ، وكان يَجِدُ فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - فقال : يا ربِّ إني الخير كلَّه ذهب به آبائي الذين كانوا من قبلي . فأوحى الله تعالى إليه : أنهم ابتُلُوا ببلايا لم تُبْتَل بها فصبروا عليها ؛ أبتُلِي إبراهيم بالثرود وبذبح ابنه ؛ وأبتُلِي إسحاق بالدَّجج وبذهاب بصره ، وأبتُلِي يعقوب بالحُزن على يوسف ، وإنك لم تُبْتَل بشيء من ذلك . فقال داود عليه السلام : ربِّ فأبْتَلْنِي بمثل ما أبتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم . فأوحى الله تعالى إليه : إنك مُبْتَلِي في شهر كذا في يوم كذا فأَحْتَرِس . فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل داود محرابه وأغلق بابه ، وجعل يَصَلِّي ويقرأ الزبور ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان ، تمثَّل له في صورة حمامة من ذهب ، فيها من كل لونٍ حَسَن ؛ فوقعت بين رجله ، فمدَّ يده ليأخذها . وفي بعض الروايات : « ليدفعها إلى ابن له صغير » ، فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها ؛ فامتدَّ إليها ليأخذها ، فتنحَّت ، فتبعها فطارت حتى وقعت [ في كُوَّة <sup>(٢)</sup> ] ، فذهب ليأخذها

(١) كذا في الثعلبي . وفي الأصلين : « أقسام » .

(٢) التكملة عن الثعلبي .



فطارَت من الكُؤة ؛ فنظر داود عليه السلام أين تقع فيبعثُ إليها من يصيدها ؛ فأبصرَ امرأةً في بستانٍ على شطِّ بركةٍ لها تغتسل ، هذا قول الكلبي . وقال السدي : رآها تغتسل على سطح لها . وقال الكسائي : سقط الطائر على شجرة إلى جانب الحوض الذي تغتسل فيه نساءُ بني إسرائيل . قالوا : فرأى داودُ امرأةً من أجمل النساء خلقاً ، فعجب من حسنِها ، وخانت منها التفاتةً ، فأبصرت ظلّه ، فنفضت شعرها فتغطى بدنُها ، فزاده ذلك إعجاباً بها ؛ فسأل عنها ، فقيل هي بثّاعي بنتُ سالف ، امرأةُ أوريا بن حنانا ، وزوجها في غزاةٍ بالبلقاء<sup>(٢)</sup> بعث مع يوب<sup>(٣)</sup> ابن صُروية ابن أخت داود ، فكتب داود إلى ابن أخته : أن أبعث أوريا إلى موضع كذا وكذا ، وقدمه قبل التابوت ؛ وكل من قدّم على التابوت لا يحلّ له أن يرجع وراءه [ حتى يفتح الله على يديه<sup>(٤)</sup> ] أو يستشهد ، فبعثه أيوب . وقدمه ، ففتح له ، فكتب إلى داود بذلك ؛ فكتب إليه أيضاً : أن أبعثه إلى عدو كذا وكذا . فبعثه ، ففتح له ؛ فكتب إلى داود بذلك ، فكتب إليه أيضاً : أن أبعثه إلى عدو كذا أشد منه بأساً . فبعثه ؛ فقتل في المرة الثالثة . فلمّا أنقضت عدّة المرأة تزوّجها داود — عليه السلام — وهي أم سليمان عليه السلام .

وقال آخرون : كان سببُ امتحانه أن نفسه حدّثته أنه يطيق قطع يوم بغير

مقارفة سوء .

(١) كذا في قصص الأنبياء للعلبي المخطوطة ، وفي المطبوعة « سابع بنت شائع » . وفي الكتاب

المقدس (ج ١ ص ١٥٧) : « بثّاعي بنت أيعام » . وفي الأصول : « ميشايع بنت سابع » .

(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى . قصبتها عمان .

(٣) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٣) . وفي الأصول : « أيوب بن صوريا » .

وانظر الحاشية رقم ٣ ص ٧١ من هذا الجزء :

(٤) التكملة عن قصص الأنبياء للعلبي .

وقد رَوَى الثعلبي في ذلك بسند <sup>(١)</sup> [سعيد بن] مطر عن الحسن قال : إن داود — عليه السلام — جزاً الدهر أربعة أجزاء : يوماً للنساء ، ويوما للعبادة ، ويوما للقضاء بين الناس ، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُسبِّحونهم ويُسبحونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا ؟ فأخبر داود في نفسه أنه سيُطبق ذلك . فلما كان يوم عبادته غلق أبوابه ، وأمر ألا يدخل عليه أحد ، وأكب على قراءة الزبور ، فبينما هو يقرأ إذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، فطارَت فوقعت غير بعيد ، ولم تؤيسه من نفسها ، فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها ، فلما رأت ظلّه في الأرض جلّت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك إعجابا بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه : أن سر إلى مكان كذا وكذا — مكان إذا سار إليه قُتل ولم يرجع — ففعل ، فأصيب فخطبها داود وتزوجها .

١٣٠  
١١

وقال بعضهم في سبب ذلك ما رواه أبو إسحاق بسنده عن قتادة عن الحسن قال : قال داود — عليه السلام — لبني إسرائيل حين ملك : والله لأعبدن بينكم . ولم يستثن ؛ فأبتلى .

وقال أبو بكر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة ، فأعجب بعمله وقال : هل في الأرض أحد يعمل عملي ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله عز وجل يقول : أُعْجِبْتَ بعبادتك والعجب

(١) التكملة عن الثعلبي .

(٢) كذا في قصص الأنبياء للثعلبي . وفي الأصل : « بني إسرائيل » .

يا كل العبادة ، فإن أُعْجِبْتَ ثانياً وَكَلْتُكَ إلى نفسك . فقال : يا ربِّ كَلِّني إلى نفسى سنة . قال : إنها لكثيرة . قال : شهرا . قال : إنه لكثير . قال : فأسبوعا . قال : إنه لكثير . قال : فيوما . قال : إنه لكثير . قال : فساعة . قال : فشأنك بها . فوكل الأحراس وليس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه ، فبينما هو فى نسكه وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه ؛ وكان من أمر المرأة ما كان .

قالوا : فلمّا دخل داود عليه السلام بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله عز وجل ملكين فى صورة إنسيين ، يطلبان أن يدخلوا عليه ، فوجداه فى يوم عبادته ، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه ؛ فتسوّرا المحراب عليه ، فماشعر وهو يصلى إلّا وهما بين يديه جالسان ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَظْنَا بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشِطُّ <sup>(١)</sup> ﴾ أى تجرّ ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ \* ﴾ <sup>(٢)</sup> أى وسط الطريق ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ كنى بالنعاج عن النساء ؛ والعرب تفعل ذلك . ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ . قال ابن عباس : أعطنيها . وقال ابن جبير عنه : تحوّل لى عنها . وقال أبو العالية : ضمّها إلى حتى أكفلها . وقال ابن كيسان : إجعلها كفى ، أى نصيبى . ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ <sup>(٣)</sup> ﴾ ، أى غلبنى . وقرأ عبيد بن عمير : وعازنى ، من المعازة ، وهى المغالبة . قال داود : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴾

(١) سورة ص آية ٢١

(٢) سورة ص آية ٢٢

(٣) سورة ص آية ٢٣

أى الشركاء <sup>(١)</sup> لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ .  
 وَرَوَى السُّدِّيُّ أَنَّ أَحَدَهُمَا لَمَّا قَالَ : <sup>(٢)</sup> « إِنَّ هَذَا أَحَى » الآية ، قال داود — عليه  
 السلام — للآخر : ما نقول ؟ قال : إن لى تسعا وتسعين نعمة ولائى هذا نعمة  
 واحدة ، وأنا أريد أن أخذها منه فأكمل نعاى مائة وهو كاره . قال داود : وهو  
 كاره ؟ قال نعم . قال : إِذَا لَا نَدْعُكَ وَذَلِكَ ، وَإِنْ رُمْتَ ذَلِكَ ضَرْبَنَا مِنْكَ هَذَا  
 وهذا ، يعنى طَرْفَ الأنف وأصل الجبهة . فقال : يا داود ، أنت أحقُّ أن يُضْرَبَ  
 منك هذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأورِيَاءَ إلا امرأة واحدة ،  
 فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قُتِلَ وتزوجت امرأته . فنظر داود — عليه السلام —  
 فلم يرَ أحداً ، فعرف ما قد وقع فيه ؛ فذلك قوله تعالى : <sup>(٣)</sup> « وَظَنَّ دَاوُدُ » أى أيقن  
<sup>(٤)</sup> « أَنَّمَا فَتْنَاهُ » أى ابتليناه . قال سعيد بن جبیر : إنما كانت فتنة داود النظر . قال  
 الثعلبي : ولم يتعمد النظر إلى المرأة ، ولكنه أعاد النظر إليها فصارت عليه .

قال : فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان الله تعالى داود  
 عليه السلام . وقد روى عن علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — قال :  
 « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصص معتنقدا صحته جلدته حدين لعظيم  
 ما ارتكب وجليل ما احتجب من الوزر والإثم ، يرمى من قد رفع الله محله وأنبأه من  
 خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين » ! .

وقال القائلون بتزيه المرسلين فى هذه القصة : إن ذنب داود — عليه السلام —  
 إنما كان أنه تمنى أن تكون له امرأة أورِيَاءَ حلالاً له ، وحدث نفسه بذلك ، فاتفق

(١) سورة ص آية ٢٤

(٢) وذلك مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى  
 وعليك الأخيرة » .

(٣) احتجب الشيء : احتمله خلفه . ويريد هنا اكتسب الإثم .

غَزَوْ أَوْرِيَاءَ وَتَقَدَّمَهُ فِي الْحَرْبِ وَهَلَكَ . فَلَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَوَجَّعْ لَهُ  
كَمَا [كَانَ] يَجْزَعْ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ جُنْدِهِ إِذَا هَلَكَ ، [وَوَافَقَ قَتْلَهُ مُرَادَهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَ أَمْرَأَتَهُ  
فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذُنُوبَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ صَغُرَتْ] <sup>(١)</sup> فَهِيَ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

وقال بعضهم : ذنب داود أن أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه  
عليها ، فلما غاب في غزواته خطبها داود ، فترجعت منه لجلالته ، فأعتم لذلك أورياء  
غماً شديداً ، فعاتبه الله تعالى على ذلك ، حيث لم يترك هذه الواحدة لحاطبها  
الأول ، وقد كانت عنده تسع وتسعون امرأة .

قالوا : فلما علم داود أنه أبطل سجد فمكث أربعين ليلةً ساجداً باكياً حتى نبت  
الزرع من دموعه ، وأكلت الأرض من جبينه ، وهو يقول في سجوده : رَبِّ دَاوُدَ  
زَلَّ دَاوُدُ زَلَّةً أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، رَبِّ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعُفَ دَاوُدُ وَتَغْفِرُ  
ذَنْبَهُ جَعَلْتَ ذَنْبَهُ حَدِيثًا فِي الْخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ . بخاء جبريل — عليه السلام —  
بعد أربعين ليلةً فقال : يَا دَاوُدَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَكَ الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ .  
فقال داود : عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ  
لَا يَمِيلُ ، فَكَيْفَ بَفُلَانٍ إِذَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ : يَا رَبِّ ، دُمِيَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ ؟  
فقال جبريل : مَا سَأَلْتُ رَبَّكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَئِنْ شِئْتَ لِأَفْعَلَنَّ . قَالَ نَعَمْ . فَعَرَجَ  
جَبْرِيلُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَسَجَدَ دَاوُدُ فَمَكَّثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ جَبْرِيلُ فَقَالَ :  
قَدْ سَأَلْتُ يَا دَاوُدَ رَبَّكَ عَنِ الَّذِي أُرْسَلْتَنِي فِيهِ فَقَالَ : قُلْ لِدَاوُدَ : إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَبْ لِي دَمَكُ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ ، فَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ يَا رَبِّ ،  
فَيَقُولُ : فَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتَ وَمَا أَشْتَمَيْتَ عَوَضًا .

١٣١  
١١

(١) التَّكَلُّمَةُ عَنِ التَّلْبِي .

وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ بِسِنْدٍ رَفِيعَةٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ،  
 قَالُوا جَمِيعًا : إِنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ فَقَضَى  
 عَلَى نَفْسِهِ تَحَوُّلاً عَنْ صُورَتِهِمَا ، فَعَرَجَا وَهَمَّ يَقُولَانِ : قَضَى الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ .  
 وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّهُ عُثِيَ بِهِ ، نَغَرَ سَاجِداً أَرْبَعِينَ يَوْماً لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَرْفَعُ  
 رَأْسَهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ أَوْ لَوْثٍ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ثُمَّ يَعُودُ سَاجِداً ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ  
 إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا بَدَّ مِنْهَا ثُمَّ يَعُودُ ، فَسَجَدَ تَمَامَ أَرْبَعِينَ يَوْماً لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ  
 وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ حَوْلَ رَأْسِهِ ، وَهُوَ يَنَادِي رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -  
 وَيَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ ، وَيَدْعُو بِدَعَاءٍ طَوِيلٍ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ ، فِي آخِرِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ :  
 سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ .

١٠ قال : فَأَتَاهُ نِدَاءٌ : يَا دَاوُدُ ، أَجَائِعُ أَنْتَ فَتُطْعَمَ ، أَظْمَآنُ أَنْتَ فَتُسْقَى ، أَمْظَلُومٌ أَنْتَ فَتُنْصَرَ ، وَلَمْ يَجِبْهُ فِي ذِكْرِ خَطِيئَتِهِ شَيْءٌ . فَصَاحَ صَيْحَةً هَاجَ مِنْهَا مَا حَوْلَهُ ؛  
 ثُمَّ نَادَى : يَا رَبِّ الذَّنْبُ الَّذِي أَصَبْتُهُ . فَنُودِيَ : يَا دَاوُدُ ، اِرْفَعْ رَأْسَكَ فَقَدْ غُفِرَتْ  
 لَكَ . فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَفَعَهُ .

١٥ قال وَهَبٌ : إِنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَتَاهُ نِدَاءٌ : إِنِّي قَدْ غُفِرْتُ لَكَ .  
 قال : يَا رَبِّ ، كَيْفَ وَأَنْتَ لَا تَنْظِمُ أَحَدًا؟ قال : إِذْهَبْ إِلَى قَبْرِ أَوْرِيَاءَ ، فَنَادِهِ وَأَنَا  
 أَسْمِعُهُ نِدَاءَكَ ، فَتَحَلَّلْ مِنْهُ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَبْرَهُ وَقَدْ لَبِسَ الْمُسُوحَ ، فَخَلَسَ  
 ثُمَّ نَادَى : يَا أَوْرِيَاءُ . فَقَالَ : لَيْتَكَ ، مَنْ هَذَا الَّذِي قَطَعَ عَلَيَّ لَذَّتِي وَأَيُّظَنِي؟ قال :  
 أَنَا دَاوُدُ . قال : مَا جَاءَ بِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ مِمَّا كَانَ مِنِّي  
 إِلَيْكَ . قال : وَمَا كَانَ مِنْكَ إِلَيَّ؟ قال : عَرَضْتُكَ لِلْقَتْلِ . قال : عَرَضْتَنِي لِلْجَنَّةِ ،

فأنت في حلٍّ . فأوحى الله تعالى إليه : يا داود، ألم تعلم أني حَكَمْتُ عدلٌ لا أقضى بالغيب والتغريب ! <sup>(١)</sup> ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته ! .

قال : فرجع إليه فناداه ؛ فأجابه فقال : من هذا الذي قَطَعَ عليّ لذتي ؟ قال : أنا داود . قال : يا نبي الله ، أليس قد عفوتُ عنك ! قال : نعم ، ولكن إنما فعلتُ ذلك لمكان امرأتك ففترّجتها ، فسكت ولم يجبه ، وعادته فلم يجبه ، فقام عند قبره <sup>(٢)</sup> وحنّا التراب على رأسه ثم نادى : الويلُ لداود ثم الويلُ لداود إذا نُصِبَت الموازين <sup>(٣)</sup> القِسْطُ [ليوم القيامة] ، سبحان خالقِ النور . الويلُ لداود ثم الويلُ الطويل له حين يُؤْخَذُ بذَنْبِهِ فيُدْفَعُ إلى المظلوم ، سبحان خالقِ النور . الويلُ لداود ثم الويلُ الطويل له حين يُسَحَّبُ على وجهه مع الخاطئين إلى النار ، سبحان خالقِ النور . الويلُ لداود ثم الويلُ الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار ، سبحان خالقِ النور .

قال : فأناه نداء من السماء : يا داود ، قد غفرتُ لك ذنبك ، ورحمتُ بكاءك ، وأستجبتُ دعاءك ، وأقلتُ عثرتك . قال : يارب ، كيف لي أن تعفو عني وصاحبي لم يعف عني ؟ قال : يا داود ، أعطيه يوم القيامة ما لم ترّ عيناه ، ولم تسمع أذناه ، فأقول له : رَضِيتَ عبدى ؟ يقول : يا رب ، من أين لي هذا ولم يبلغه عملي ؟ فأقول له : هذا عَوَاضٌ من عبدى داود ، فأستوهبُك منه فيهبك لي . قال : يارب ، <sup>(٤)</sup> الآن قد عرفتُ أنك قد غفرتَ لي . فذلك قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ <sup>(٥)</sup> \* ففَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴿ ، أى ذلك الذنب ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> أى وإن له بعد المغفرة عندنا يوم القيامة حُسْنَ مرجع .

(١) كذا في نسخة التعليق المخطوطة . وفي المطبوعة : « إلا بالحق » . وفي الأصول : « بالتعنت » .

(٢) كذا في التعليق . وفي الأصول : « وجعل التراب » .

(٣) التكملة عن نسخة التعليق المطبوعة . (٤) أى من أجل عبدى داود .

(٥) سورة ص آية ٢٤ (٦) سورة ص آية ٢٥

قال الثعلبيّ ورفعه إلى وهب بن مُنبه قال : إن داود — عليه السلام — لما  
 تاب الله تعالى عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنةً لا ترقأ له دمعَةٌ ليلاً ولا نهياراً ،  
 وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة ، فقسّم الدهرَ بعد الخطيئة على أربعة  
 أيام ، فجعل يوماً للقضاء بين بني إسرائيل ، ويوماً لنسائه ، ويوماً يسيحُ في الفياض  
 والجبال والساحل ، ويوماً يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب ، فيجتمع إليه  
 الرهبان ، فينوح معهم على نفسه ، ويساعدونه على ذلك . فإذا كان يومُ سياحته  
 يخرج في الفياض ، فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي وتبكي معه الشجر والرمال والطيور  
 والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الساحل فيبكي وتبكي  
 معه الحيتان ودواب البحر والسباع وطيور المساء ، فإذا أمسى رجع ، فإذا كان يوم  
 نوحه نادى مُنادٍ : إن اليوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده . قال : فيدخل  
 الدار التي فيها المحاريب ، فتبسط له فرش من مُسوح حشوها ليف فيجلس عليها ،  
 ويجيء الرهبان وهم أربعة آلاف ، عليهم البرانس وفي أيديهم العصي ، فيجلسون  
 في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالنوح والبكاء ، ويرفع الرهبان معه أصواتهم ،  
 فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ، ويقع داود مثل الفرخ يضطرب ، فيجىء  
 ابنه سليمان فيحمله ، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ، ثم يمسح بها وجهه  
 ويقول : يارب أغفر ما ترى . قال : فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله .  
 وقال ثابت : ما شرب داود شراباً بعد المغفرة إلّا ونصفه ممزوج بدموع عينيه .  
 وعن الأوزاعي قال : بلغنا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :  
 ” خدت الدموع في وجه داود — عليه السلام — خديد المساء في الأرض “ .



### ذكر ميلاد سليمان بن داود عليهما السلام

قال الكسائي: كان لداود - عليه السلام - عِدَّةٌ من الولد، فسأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرث مُلْكَهُ ، فرزقه الله تعالى سليمان . فتودى إيليس عند ما حَمَلَتْ به أمه : ياملعون ، قد حُمِلَ في هذه الليلة برجل يكون طولُ حزنك على يديه ، ويكون أولادُك له خُدَّامًا . ففزع من ذلك وجمع الشياطين وأخبرهم بأمر المولود وما سمعه وقال : إنه لا يكون إلّا من داود، فإنه خير أهل الأرض . قال : فلما وضعته أمه أتت الملائكةُ إلى داود وقالوا : أقز الله عينك به . فبادر داود إلى منزله فرأى أعلام الملائكة منصوبةً ، فخر داود شكراً لله تعالى، وقرب قُرْبَانًا عظيمًا . ثم جاءه إيليس وقال : يا داود، أقز الله عينك بولدك، غير أنه يقتلك ويُسلبك مُلْكَكَ ، فأقتله صغيراً وإلا قتلك كبيراً ، فغضب منه واعدنه ، فأنصرف وقد خاب أمه .

قال : ونشأ سليمان ، فكان داود إذا تلا الزبور حفظ ما يتلوهُ لوقته ، وحفظ التوراة، وكان يحكم بحضرة أبيه .

### ذكر خبر أنشالوم بن داود

قال الكسائي: كان من خبر « أنشالوم »<sup>(١)</sup> أنه لما كان من أمر فتنة داود - عليه السلام - ما قدمناه ، تكلم بعضُ بني إسرائيل في ذلك وجاءوا إلى « أنشالوم » وهو ابن بنت طالوت ، وقالوا : إن أباك قد كبر وعجز عن سياستنا ، وقد وقع

(١) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٥) . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٧٠ من القسم الأول) « أنشا » وفي قصص الأنبياء للعلبي : « شالون » وقيل « إيشا » . وفي قصص الأنبياء للكسائي : « أنشالوم » . وفي الأصل : « إيشالوم » .

في هذه الخطيئة، وأنت أكبر أولاده، والرأى أن ندعو الناس إليك وتقوم مقامه، فتبع رأيهم وتولى الملك. تخاف داود على نفسه من سفهاء بني إسرائيل، ففارق منزله وأعتزل القوم برجلين من أصحابه. ثم جاء رجل من بني إسرائيل اسمه <sup>(١)</sup>أحيئوفل إلى أبشالوم وقال: إنه لا يستقيم أمرك إلا بعد وفاة أبيك، والرأى أن تعاجله وتقتله مادام في الخطيئة، فهم بذلك ثم صرفه الله عنه. فلما غفر الله تعالى لداود ورجع إلى قومه أعتزل أبنيه «أبشالوم» في طائفة من بني إسرائيل. فلما ولد سليمان أرسل داود ابن أخته له يقال له: «يؤاب» <sup>(٢)</sup>إلى أبنيه «أبشالوم» وقال: سر إليه فإنه أعتزني خوفا على نفسه، وما كنت بالذى أقتل ولدى وقد تاب الله تعالى على ورزقني هذا الولد المبارك، فإن ظفرت به فأنتني به مكرما، وإياك أن تقتله، فإنك إن قتلتَه قتلته به. فسار إليه في نفر من أصحابه، فالتقوا وأقتلوا قتالا شديدا، فانهزم أبشالوم ومن معه. فبينما هو في هزيمته إذ مر بشجرة فعلق برأسه بها، وخرج الفرس من تحته، فأدركه يؤاب فحمله الحرج على قتله فقتله وتركه معلقا في الشجرة، ورجع إلى داود فأخبره الخبر، فغضب وقال: إني قاتلك به لا محالة عاجلا أو آجلا.

قال الثعلبي: فلما حضرت داود الوفاة أمر سليمان أن يقتله، فقتله بعد فراغه من دفن أبيه.

- (١) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٣٠). وفي الأصول: «نوفل».
- (٢) كذا في الأصول والكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٤). وفي الثعلبي: «ابن أخ» وهو خطأ.
- (٣) ورد هذا الاسم في الأصول وقصص الأنبياء للكسائي هكذا: «نوال». وفي قصص الأنبياء للثعلبي المطبوعة: «نواب». والنصوب عن الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٢٥) والنسخة المخطوطة من قصص الأنبياء للثعلبي. وهو «يؤاب بن صروية».
- (٤) الحرج: الضيق.

ذكر خبر الزرع الذي رعته الغنم وما حكم فيه سليمان عليه السلام

- قال الكسائي : وبيننا داود — عليه السلام — في يوم قضاائه وسليمان بين يديه ، إذ تقدم إليه قوم فقالوا : يا نبي الله ، إنا قوم حرثنا أرضا لنا وزرعناها وسقيناها حتى بلغت الحصاد ، بخاء هؤلاء وأرسلوا أغنامهم فيها بالليل ، فرعتها جميعا حتى لم يبق منها شيء . فقال داود لأصحاب الغنم : ما تقولون؟ قالوا : صدقوا . فقال لأصحاب الزرع : كم قيمة زرعكم؟ قالوا : كذا وكذا . وقال لأرباب الغنم : كم قيمة أغنامكم؟ فذكروا قيمتها ، فتقاربت القيم ، فقال : ادفعوا أغنامكم إليهم بقيمة زرعهم . فقال سليمان : يا أبت إن أذنت لي تكلمت . قال : يا نبي تكلم بما عندك . فقال سليمان لأرباب الغنم : ادفعوا أغنامكم إلى هؤلاء ينتفعوا بأصوافها وألبانها ونتائجها ، وخذوا أنتم أرضهم فأحرثوها وآزرعوها وآسقوها حتى يقوم الزرع على سوقه ، فإذا بلغ الحصاد فسلموا إليهم أرضهم بزرعها وخذوا أغنامكم ، فرضوا جميعا بذلك . قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا <sup>(١)</sup> 》 .

- قال : ولما نظر مشايخ بني إسرائيل إلى جلوس سليمان عن يمين أبيه مع صغر سنه حسدوه على ذلك . فأوحى الله إلى داود أن يقيم سليمان خطيبا لسمعهم من الحكمة ما ألهمه الله ليعلموا فضله عليهم . فجمع داود الناس حتى العباد والرهبان وأهل السياحة إلى محرابه ، وكانت سن سليمان يومئذ اثنتي عشرة سنة ، فأخرجه داود إليهم وألبسه لباس النبيين من الصوف الأبيض وقال : هذا أبني قد أخرجته إليكم خطيبا ليؤدب عليكم مما علمه الله تعالى . فجلس على منبر أبيه وحمد الله تعالى ووحدّه ، ووصف عجائب خلقه وصنعه ، فسجدوا شكرا لله ، ونظروا إليه بعد ذلك

(١) سورة الأنبياء آية ٧٩

بالعين الرفيعة وأجلوه، وأعطى سليمان في حياة أبيه من العلم ما فسر لبني إسرائيل  
خطبة آدم ووصية شيث ورفع إدريس وغير ذلك .

### ذكر خبر الذين اعتدوا في السبت

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ <sup>(١)</sup> ۝ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ <sup>(٢)</sup> ۝ الْآيَةُ ۝

قال الكسائي : وكان في زمن داود — عليه السلام — قوم من بني إسرائيل  
من أبناء الذين كانوا مع موسى ؛ وكانوا ينزلون على ساحل البحر بقرية يقال لها :  
« أيلة » <sup>(٣)</sup> وكان الله قد حرم على بني إسرائيل أن يشتغلوا يوم السبت ، وأوجب عليهم فيه  
العبادة ؛ لأن موسى — عليه السلام — أمرهم بالعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا :  
لا ينبغي لنا أن نشغل بعبادة الرب إلا في اليوم الذي فرغ فيه من الخلق ، وهو  
يوم السبت . فلمّا اختاروه شدد الله عليهم فيه ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ  
السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ <sup>(٤)</sup> ۝ وكان موسى يأمر قومه بتعظيمه ؛ فكانوا كذلك  
مدة ، وكان على ساحل البحر إلى جانب أيلة حجران أبيضان ، وكانت الحيتان تخرج  
إلى أصلهما ليلة السبت ويوم السبت ، لأنها كانت لا تصاد ، فإذا أقبلت ليلة الأحد

(١) سورة البقرة آية ٦٥

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٣

(٣) أيلة : فرضة شهيرة في أدوم واقعة على شاطئ الخليج الشرقي من البحر الأحمر ، مر بها الاسرائيليون ،  
وكانت ذات شأن في زمن سليمان . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٤) سورة النحل آية ١٢٤

خرجتُ منهما إلى البحر، فيتعذر عليهم صيدها فيه إلا بمشقة؛ فذلك قوله تعالى :  
 ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ <sup>(١)</sup> ۖ جَعَلَ فُسَّاقٍ  
 أَهْلَ » أيلة » يقول بعضهم لبعض : إنما حرم الله تعالى الأصطيادَ على آبائنا  
 وأجدادنا لا علينا ، ونحن لا ذنب لنا ، وهذه الحيتان تكثر يوم السبت وليلتها ،  
 فمن المحال تركها ؛ فأصطادوها وطبخوها وشوؤوا منها ، فشتم المؤمنون راحتها  
 في يوم السبت ، فخرجوا إلى الفساق ووعظوهم وحذروهم ، فلم يكثرثوا لذلك ولم  
 ينتهوا عنه ، فاجتمع المؤمنون على أبواب القرية بالسلاح ومنعوه من دخولها ،  
 فأشد ذلك على الفساق وشق عليهم أن يمتنعوا من الأصطياد في يوم السبت لكثرة  
 الحيتان فيه دون غيره من الأيام ، فقالوا : إن هذه [القرية] <sup>(٢)</sup> مشتركة بيننا [وبينكم]  
 ولا يحل لكم أن تمنعونا منها ، فإذا أن تصبروا على أفعالنا أو تقاسمونا القرية فننفرد  
 عنكم . فراضوا على ذلك وقاسموا القرية ، وبنوا بينهم حيطاناً عالية وباباً يدخلون  
 منه غير باهم ، وأنفردت كل طائفة ، واشتغل الفساق باللهو واللعب والأصطياد ،  
 وحفروا أنهاراً صغاراً من البحر إلى أبواب دورهم ، فكانت الحيتان تأتياها  
 في يوم السبت ، فإذا غربت الشمس همت الحيتان بالرجوع إلى البحر ، فيسُدون  
 أفواه تلك الأنهار مما يلي البحر ، ويصيدون تلك الحيتان . هذا والمؤمنون  
 يخوفونهم عذاب الله فلا يرجعون . فلمّا طال ذلك وتكثر منهم قال بعض المؤمنين  
 لبعض : إلى كم ننصح هؤلاء ولا يزيدون إلا تمادياً وعتوّاً ! قال الله تعالى :  
 ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا <sup>(٣)</sup> ۖ ۝

(١) سورة الأعراف آية ١٦٣

(٢) الكلمة عن الكسائي .

(٣) سورة الأعراف آية ١٦٤

١٣٤  
١١

قال : وأستغنى الفساق وكثرت أموالهم ، وأشتروا الضياع وأنهمكوا على الفسق .  
فبلغ ذلك داود — عليه السلام — فلعنهم ودعا عليهم . فبينما هم في منازلهم في شر ما هم فيه إذ زلزلت قريتهم زلزلة عظيمة ، ففزع المؤمنون وخرجوا من بيوتهم ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ . فالذين لعنوا على لسان داود هم هؤلاء الذين اعتدوا في السبت ، والذين لعنوا على لسان عيسى الذين سألوه نزول المائدة ، فلما نزلت عليهم كفروا .

قال : فمسخ الله هؤلاء الذين اعتدوا في السبت قردة ، ومسح أصحاب المائدة خنازير — وسندكر إن شاء الله خبر أصحاب المائدة في موضعه من أخبار عيسى عليه السلام — قال : فكان أحدهم يأتي حميمه من المؤمنين وعيناه تدرفان دما فيقول له : أنت فلان؟ فيشير برأسه ، أى نعم . فيقول لهم المؤمنون : قد أنذرناكم عذاب ربكم وعقوبته فلم تتعظوا ، فتزل بكم ما نزل .

قال الثعلبي قال قتادة : صارت الشبان قردة ، والشيخ خنازير ، فما نجا إلا الذين نهبوا وهلك سائرهم . قال : ثم برز المسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ، وكذلك لم يلبث مسخ فوق ثلاثة أيام ، ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ؛ ثم بعث الله تعالى عليهم ريحا ومطرا فقتلهم في البحر ، فإذا كان يوم القيامة أعادهم الله إلى صورهم الأولى البشرية ، فسدخلهم النار . والله أعلم .

(١) سورة الأعراف آية ١٦٥ .  
(٢) سورة المائدة آية ٨٧ .

## ذكر استخلاف داودَ ابنه سليمانَ عليهما السلام

وخبِر الصحيفة وأبتداء أمر الخاتم

- قال الكسائي — رحمه الله — : ولما أتى على سليمان بضْعُ وعشرون سنة نزل جبريل على داود بصحيفة ، وأمره عن الله تعالى أن يجمع أولاده ويقرأ عليهم ما في الصحيفة من المسائل ، فمن أجاب عمّا فيها فهو الخليفة من بعده . فأحضر داود أولاده ، وكان سليمان أصغرهم سنّاً ، وقرأ عليهم ما في الصحيفة ، فأقروا بالعجز عن معرفتها ، وذلك بحضور مشيخة بنى إسرائيل ، فقال داود — عليه السلام — لسليمان — عليه السلام — : أجب عن هذه المسائل . فقال : أرجو أن يهديني الله تعالى إلى جوابها . فقال : يا سليمان ، ما الشيء ؟ قال : المؤمن . قال : فما بعض الشيء ؟ قال : الفجر . قال : فما لا شيء ؟ قال : الكافر . قال : فما كلّ شيء ؟ قال : الماء . قال : فما أكبر شيء ؟ قال : الشّرك . قال : فما أقلّ شيء ؟ قال : اليقين . قال : فما أمر شيء ؟ قال : الفقر بعد الغنى . قال : فما أحلى شيء ؟ قال : المال والولد . قال : فما أقبح شيء ؟ قال : الكفر بعد الإيمان . قال : فما أحسن شيء ؟ قال : الرّوح في الجسد . قال : فما أوحش شيء ؟ قال : الجسد بلا رُوح . قال : فما أقرب شيء ؟ قال : لآخرة <sup>(١)</sup> [من الدنيا] . قال : فما أبعد شيء ؟ قال : الدنيا من الآخرة . قال : فما أشتر شيء ؟ قال : المرأة السوء . قال : فما خير شيء ؟ قال : المرأة الصالحة .

- قال : وكان داود يصدّقه عَقِبَ كل مسألة ، ثم آلتفت إلى بنى إسرائيل فقال : ما أنكرتم من قول أبي ؟ قالوا : ما أخطأ في شيء متّعك الله به ، وبارك لنا ولك فيه . قال : أترضون أن يكون خليفتي عليكم ؟ قالوا نعم . هذا ما أورده الكسائي رحمه الله .

(١) الزيادة عن قصص الأنبياء للكسائي .

وقد ذكر الثعلبي في هذه القصة زيادات نذكرها . قال أبو إسحاق الثعلبي  
— رحمه الله تعالى — قال أبو هريرة — رضى الله عنه — : نزل كتاب من السماء  
مختوم بخاتم من الذهب على داود فيه ثلاث عشرة مسألة<sup>(١)</sup> ، فأوحى الله تعالى إليه أن  
أسأل عنها ابنك سليمان ، فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك . قال : وإن داود  
— عليه السلام — دعا سبعين قسيساً وسبعين حبراً ، ولم يذكر أولاده . قال :  
وأجلس سليمان بين أيديهم وقال له : يا بُنَيَّ ، إن الله أنزل من السماء كتاباً فيه  
مسائل ، وأمرت أن أسالك عنها ، فإن أخرجتها فأنت الخليفة من بعدى . قال  
سليمان : أسأل يا نبي الله عما بدا لك ، وما توفيقى إلا بالله .

قال داود : أخبرنى يا بُنَيَّ ، ما أقرب الأشياء ؟ وما أبعد الأشياء ؟ وما آنس  
الأشياء ؟ وما أوحش الأشياء ؟ وما أحسن الأشياء ؟ وما أقبح الأشياء ؟ وما أقل  
الأشياء ؟ وما أكثر الأشياء ؟ وما القائمات ؟ وما المختلفان ؟ وما المتباغضان ؟  
وما الأمر الذى إن ركه الرجل حمداً آخره ؟ وما الأمر الذى إن ركه الرجل ذم  
آخره ؟ .

قال سليمان : أما أقرب الأشياء فالآخرة . وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا .  
وأما آنس الأشياء فبفسد فيه روح . وأما أوحش الأشياء فالجسد بلا روح . وأما  
أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر<sup>(٢)</sup> . وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان .  
وأما أقل الأشياء فاليقين . وأما أكثر الأشياء فالشكر . وأما القائمات : فالسماء

(١) كذا فى الأصول وقصص الأنبياء للثعلبي . غير أن الثعلبي قد ذكر فى كتابه من المسائل أربع عشرة  
مسألة ، ومن الأجوبة أربعة عشر جواباً ، فزاد فى المسائل قوله : وما الساعيان ، وزاد فى الأجوبة  
قوله : وأما الساعيان فالشمس والقمر .

(٢) هذه عبارة الثعلبي فى النسخة المخطوطة والمطبوعة . وفى الأصول : « فالروح فى الجسد » وهو  
خطأ من الناسخ .



والأرض . وأما المختلفان : فالليل والنهار . وأما المتباغضان : فالموت والحياة .  
وأما الأمر الذي اذا ركبته الرجل حمّد آخره فالحلم . وأما الأمر الذي اذا ركبته الرجل  
ذمّ آخره فالحدة عند الغضب .

- قال : ففكّوا الخاتم ، فإذا جواب المسائل سواءً على ما نزل من السماء . فقال  
القيسّيون والأخبار : لا نرضى حتى نسأله عن مسألة ، فإن هو أخرجها فهو الخليفة .  
قال : سلوه . قال سليمان : سلوني وما توفيق إلا بالله . قالوا : ما الشيء الذي إذا  
صلح صلح كل شيء من الإنسان ، وإذا فسد فسد كل شيء منه ؟ قال : هو  
القلب . فقام داود وصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إن الله  
أمرني أن أستخلف عليكم سليمان . قال : فضجّت بنو إسرائيل وقالوا : غلام  
حدثٌ يُستخلف علينا وفينا من هو أعلم وأفضل منه ! فبلغ ذلك داود ، فدعا رءوس  
أسباط بني إسرائيل وقال : إنه بلغتني مقاتلكم ، فأروني عصيتكم ، فأى عصا أثمرت  
فإن صاحبها وليّ هذا الأمر [بعدي] ، فقالوا : قد رَضِينَا . فجاءوا بعصيتهم ؛ فقال  
لهم داود : ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه ؛ فكتبوا . ثم جاء سليمان بعصاه  
فكتب عليها اسمه ؛ ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسكّر بالأقفال ، وحرسه  
رءوس أسباط بني إسرائيل . فلما أصبح صلب بهم الغداة ؛ ثم أقبل وفتح الباب  
وأخرج عصيتهم كما هي ، وعصا سليمان قد أثمرت وأورقت . قال : فسألموا ذلك  
لداود ، فأخذ ابنه سليمان ثم سار به في بني إسرائيل فقال : هذا خليفتي فيكم من  
بعدي .

- قال وهب بن منبه : لما استخلف داود ابنه وعظه فقال : يا بني ، إياك  
والهزل ؛ فإن نفعه قليل ويهيئ العداوة بين الإخوان . وإياك والغضب ؛ فإن  
الغضب يستخف صاحبه . عليك بتقوى الله وطاعته ؛ فإنهما يغلبان كل شيء . وإياك

وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء؛ فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برّاء. وأقطع طمعك عن الناس؛ فإنه هو الغنى. وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر. وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل. وعود نفسك ولسانك الصدق؛ وألزم الإحسان؛ فإن استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل. وصل صلاة مودّع، ولا تجالس السفهاء، ولا تردّ على عالم ولا تُماره في الدين. وإذا غضبت فألصق نفسك بالأرض وتحولّ من مكانك. وأرج رحمة الله فإنها واسعة وسعت كل شيء.

قالوا: ثم إن سليمان بعد أن استخلف أخفى أمره وتزوج امرأة واستتر عن الناس، وأقبل على العلم والعبادة. ثم إن امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأُمّي، ما أكل خصالك وأطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلا أنك في مئونة أبي، فلو أنك دخلت السوق فتعزّضت لرزق الله لرجوت ألا يخيبك الله. قال سليمان: إني والله ما عملت عملاً ولا أحسنه؛ ثم دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء، فرجع فأخبرها. فقالت له: يكون غدا إن شاء الله.

فلما كان في اليوم الثاني مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر وإذا هو بصياد، فقال له: هل لك أن أعينك وتُعطيني شيئا؟ قال نعم، فأعانه. فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين، فأخذهما وحمّد الله تعالى، ثم إنه شق بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه وصره في ثوبه، وحمّد الله تعالى، وجاء بالسمكتين إلى منزله، ففريحت امرأته بذلك، فأخرج الخاتم<sup>(٢)</sup> [ولبسه في إصبعه]؛ فعكفت عليه

(١) كذا في نسختي الثعلبي المخطوطة والمطبوعة. وفي الأصول: «أبيك».

(٢) زيادة عن نسخة الثعلبي المطبوعة.

الطير والريح، ووقع عليه بهاء الملك؛ ولم يلبث أبوه أن مات . [ فلما ملك حمل المرأة وأبويها إلى اصطخر<sup>(١)</sup> ] .

وقد قيل في أمر الخاتم غير ذلك — على ما أورده الكسائي — وسنذكره إن شاء الله تعالى بعد هذا في أخبار سليمان عليه السلام .

### ذكر وفاة داود عليه السلام

- قال الكسائي : كان داود — عليه السلام — شديد الغيرة على النساء، ويُغلق الأبواب عليهن إذا خرج، ويحمل المفاتيح معه . ف قيل : إنه رجع يوما ففتح باب نسائه، فرأى رجلا في داره ذا مهابة . فقال له داود — وغضب — : من أنت ؟ ومن أدخلك داري ؟ قال : أدخلني الدار من هو أولى بها منك، أنا الذي لا أهاب الملوك . ولا يمنعني دونهم الحجاب والجنود، وأفترق بين الجمع، أنا ملك الموت . فارتعد داود وقال : دعني أدخل إلى أهلي لأودعهم . قال : لا سبيل إلى ذلك يا داود . فبكى وقال : من لبني إسرائيل من بعدى ؟ قال : أبناك سليمان . قال : الآن طابت نفسي، إمض لما أمرت به، فقبض رُوحه — عليه السلام — وغسله سليمان وإخوته، وكفنه بأكفان نزلت عليه من الجنة، وحمله إلى قبره،

١٥ (١) زيادة عن نسخة التعليق المخطوطة . و اصطخر : مدينة بفارس قرب مدينة برسبوليس (مدينة الفرس) التي كانت عاصمة تلك البلاد قديما . وهي واقعة في الشمال الشرق من شيراز ، على ٣٥ ميلا منها في الطريق إلى أصفهان ؛ دخلها اسکندر المقدوني و حرق قصر ملوك الفرس فيها سنة ٣٣١ قبل الميلاد . وأسماها الآن « تشهيل منار » أي ذات الأربعين عمودا . ( راجع معجم الخريطة التاريخية للمالك الإسلامية للرحوم أمين واصف ) .

٢٠ (٢) كذا في الكسائي . وفي الأصول : « في نهاية الجمال » .

وُدُفِنَ دُونَ غَارِ إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — قَالَ : وَعَكِيفَتِ الطَّيْرُ عَلَى قَبْرِه  
أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

قَالَ الثَّعْلَبِيُّ فِي خَبَرِ وَفَاةِ دَاوُدَ : إِنَّ دَاوُدَ كَانَتْ لَهُ وَصِيفَةٌ تُغْلَقُ الْأَبْوَابَ كُلَّ  
لَيْلَةٍ وَتَأْتِيهِ بِالْمَفَاتِيحِ ثُمَّ تَنَامُ ، وَيُقْبَلُ دَاوُدُ عَلَى وَرْدِهِ فِي الْعِبَادَةِ . فَأَغْلَقَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ  
الْأَبْوَابَ وَجَاءَتْ بِالْمَفَاتِيحِ ثُمَّ ذَهَبَتْ لَتَنَامُ ، فَرَأَتْ رَجُلًا قَائِمًا فِي وَسْطِ الدَّارِ  
فَقَالَتْ : مَا أَدْخَلَكَ هَذِهِ الدَّارَ ! فَإِنْ صَاحِبُهَا رَجُلٌ غَيُورٌ ، نَخِذْ حِذْرَكَ . فَقَالَ :  
أَنَا الَّذِي أَدْخَلَ عَلَى الْمَلُوكِ بَغِيرَ إِذْنٍ . فَسَمِعَهُ دَاوُدُ ، وَكَانَ فِي الْمَحْرَابِ يَصَلِّي ،  
فَفَزِعَ وَأَضْطَرَبَ وَقَالَ : عَلَىَّ بِهِ ، فَأَتَاهُ . فَقَالَ : مَا أَدْخَلَكَ هَذِهِ الدَّارَ فِي هَذَا  
الْوَقْتِ بَغِيرَ إِذْنٍ ؟ ! فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَدْخَلَ عَلَى الْمَلُوكِ بَغِيرَ إِذْنٍ . قَالَ :  
فَأَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَجِئْتَ دَاعِيًا أَمْ نَاعِيًا ؟ قَالَ : بَلْ نَاعِيًا .  
قَالَ : فَهَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَذَنْتَنِي لِأَسْتَعِدَّ لِلْوُت ؟ قَالَ : كَمْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ  
يَا دَاوُدَ فَلَمْ تَنْتَبِهْ . قَالَ : وَمَنْ كَانَتْ رُسُلُكَ ؟ قَالَ : يَا دَاوُدَ ، أَيْنَ أَبُوكَ إِيْشَى ؟  
وَأَيْنَ أُمُّكَ ؟ وَأَيْنَ أَخُوكَ ؟ وَأَيْنَ قَهْرْمَانُكَ فُلَانُ ؟ قَالَ : مَاتُوا كُلُّهُمْ . قَالَ : أَمَا  
عَلِمْتَ أَنَّهُمْ رُسُلِي ، وَأَنَّ النُّوبَةَ تَبْلُغُكَ ! ثُمَّ قَبَضَهُ .

قَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ : كَانَ عُمُرُ دَاوُدَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَمُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُ آدَمَ فِيمَا وَهَبَ لَهُ مِنْ عَمْرِهِ .<sup>(١)</sup>

(١) هُنَا يَنْتَهِي السَّفَرُ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ مِنَ النُّسخَتَيْنِ الْمَأْخُوذَتَيْنِ بِالنُّصُورِ الشَّمْسِيِّ  
الْمَحْفُوظَتَيْنِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْعَيْ ٥٤٩ وَ ٥٩٢ مَعَارِفَ عَامَةً . وَصُورَةٌ مَا جَاءَ فِي آخِرِ هَذَا  
السَّفَرِ مِنَ النُّسخَةِ الْأُولَى : « كُلُّ السَّفَرِ الْحَادِي عَشَرَ عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ نُورِ الدِّينِ الْعَامِلِي غُفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ  
فِي تَاسِعِ عَشْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٩٦٦ هـ » . وَصُورَةٌ مَا وَرَدَ فِي النُّسخَةِ الثَّانِيَةِ : « كُلُّ السَّفَرِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ  
نَهَايَةِ الْأَرْبِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ لِلنُّوْبَرِيِّ وَذَلِكَ فِي مَسْتَهْلِ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ ٩٦٦ هـ عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ الشَّيْخِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْجَبْرِتِيِّ الْحَنْفِيِّ ، غُفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ آمِينَ » .

$$\frac{1}{12}$$

### ذكر نبوة سليمان بن داود عليهما السلام ومملكه

- قال الكسائي - رحمه الله - : ولما قام سليمان - عليه السلام - من عزاء أبيه داود وتفترق الطير عن قبره ، دخل محراب أبيه ، فهبط عليه جبريل - عليه السلام - وقال له : إن الله تعالى يخصك بالسلام ويقول لك : المملك أحب إليك أو العلم ؟ . فخر سليمان ساجدا لله تعالى وقال : العلم أحب إلي من المملك ، لأنه أنفع الأشياء . فأوحى الله تعالى إليه : إنك تواضعت وأخترت العلم على المملك ، فقد وهبت لك العلم والمملك ، وأضفت إلى ذلك كمال العقل وزينة الخلق ، ونزعت عنك العجب ، وسأطوى لك الدنيا بأسرها حتى تطاها بجيشك وتشاهد عجائبها . فخر سليمان ساجداً لربه ، ورفع رأسه فإذا الرياح الثمانية قد وقفت بين يديه وقالت له : إن الله سخرنا لك ، فاركبنا إذا شئت إلى أى موضع شئت . وأقبلت الوحوش والسباع فوقفت بين يديه وقالت : إن الله أمرنا بالطاعة لك . وأقبلت الطير وقالت : قد أمرنا أن نطأك بأجنحتنا ولا نخالفك فى أمر . وفوض الله - عز وجل - إلى سليمان أمر الدنيا شرقها وغربها .

### ذكر حشر الطير لسليمان بن داود عليهما السلام وكلامها له

- قال الكسائي : ولما آتاه الله النبوة والمملك أحب أن يستنطق الطير ، فحشرت إليه ، فكان جبريل يحشر طير المشرق والمغرب من البر ، وميكائيل يحشر طير الهواء والجبال . فنظر سليمان إلى عجائب خلقها ، وجعل يسأل كل واحد منها عن مسكنه
- (١) ابتداء الجزء الثانى عشر من تجزئة الأصل . وقد افتتحه المؤلف بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٢) فى الكسائي : « الشح » .
- (٣) قصص الأنبياء للكسائي : « الأرض » .

ومعاشه فيخبره ، وكان بين يديه سبعة ألوية من ألوية الأنبياء ، يمسكها سبعة من الملائكة .

قال : ولما حُشِرَ الطيرُ له جاءته فَوْجًا فَوْجًا ؛ فسأمت عليه « الخطافة »<sup>(١)</sup> بثلاث لغات وقالت : يا نبي الله ، أنا ممن آخترني نوح وحملني في السفينة ، ومنى تناسل كل خطافة في الدنيا ، ودعا لي آدم وقال : إِنَّكَ تُدْرِكِينَ مِنْ أَوْلَادِي مَنْ خَلَقْتُهُ مِثْلُ خَلْقِي ، تُحْشَرُ إِلَيْهِ الْوَحُوشُ وَالطُّيُورُ وَالْمَرْدَةُ ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئِهِ مِنِّي السَّلَامَ . وقالت له : يا نبي الله ، إن معي سُورَةٌ تَعْجَبُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورِهَا ، مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ كَرَامَةً لَهُ يَوْمَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَهَا مِنِّي ؟ قال نعم . فقرأت سورة ﴿ الْحَمْدُ ﴾ حتى بلغت ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ومدت صوتها بآمين وسجدت ، وسجد معها سليمان عليه السلام .

ثم تقدّم « النّسر » وهو يومئذ في صورة عظيمة فقال : السلام عليك يا ملك الدنيا ، ما رأيت مُلْكًا أعظم من مُلْكِكَ ، وإني صَحِبْتُ آدَمَ وساعدته على كثرة حزنه ، وأنا أول من علم بهبوطه إلى الأرض ، وكنت معه إلى أن تاب الله عليه وقال : إنه يكون من ذريتي من يحشر له الطير ، فإذا رأيته فأقرئه مِنِّي السَّلَامَ ؛ وقد أدت إليك وديعته ، فأصطنعني يا نبي الله ، فإني عليم بمعادن الأرض وجبالها ، ومعى آية عظيمة لا يفتُر لسانى عنها ، وهى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup> . ثم سجد وسجد معه سليمان ؛ فلما رفع رأسه جعله سليمان ملكا على سائر الطيور .

(١) في الكسائي : « بثلاث لغات باللغات التي سلمت بها على آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام » .

(٢) كذا في نسخة ١ وفي نسخة ب « مفاوز » .

(٣) سورة النساء آية ٨٧

ثم تقدّمت « العُقَاب »<sup>(١)</sup> فوقفت بين يديه وسلّمت عليه وقالت : يا نبيّ الله ، إن الله حين خلقني كنتُ أعظم خلقاً من هذا ، غير أن حُزني على هابيل يوم قتله قابيلُ صيّرنى الى ما ترى ، ولقد توخّشت الأرض والجبال يوم قُتِل . ومعى آية أعطانيها ربى ، وهى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾<sup>(٢)</sup> . ثم قالت : سلّطنى على من شئت ، فإنى قوية سمّية .

ثم تقدّمت « العنقاء » وهى يومئذ شديدة البياض ، وصدرها كالذهب الأحمر ، ووجهها كوجه الإنسان ، ولها ذوائب كذوائب النساء ، ورجلان صفراوان ، ولها تحت أجنحتها يدان ، فى كل يد ثلاثون إصبعا ، فوقفت بين يديه وسلّمت وقالت : إن الله فضلك على كثير من المملوك حين أبرزنى اليك فى صورتى هذه ، فرنى بما شئت ، فوالله ما نطقْتُ لأحد إلا لصفوة الله آدم ، فإنى وقفت بين يديه وتعجب من حسن صورتى ، وقال : ما أشبهك بطيور الجنان ! فمنذ كم خلقتك ربك ؟ قالت : منذ ألفى عام . ثم تبخّرت بين يديه فقال : أيها الطائر ، إنك مُعْجَبٌ بخلقك ، والعُجْب يهلك صاحبه ، لقد فاز المفلحون وخسر المبطلون .

وللعنقاء خبر عجيب نذكره — إن شاء الله — فى آخر خبر الطير على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

ثم تقدّم « الغراب » فسلم وقال : يا نبيّ الله ، لقد فضلك الله على كثير من ولد آدم ، وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ، وإنى كنت أبيض

(١) العقاب : طائر من العنق مؤنثة ، وقيل : العقاب يقع على الذكر والأنثى إلا أن ية ولوا : هذا عقاب ذكر .

(٢) سورة الأعلى آيتى ١٤ و ١٥

قبل ذلك ، فصرت كما ترى ، لما سمعتمهم يقولون : اتخذ الرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا . ولقد دعا إلى أبوك آدم ونوح بطول العمر ؛ وسمعت أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء ، وهى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ <sup>(١)</sup> 》 .

٥ ثم تقدمت « الحمامة » فسألت عليه وقالت : يا نبي الله ، أنا الحمامة التي اختراني أبوك آدم لنفسه إلفا وأنيسا ، وكنت آنسُ به وبتسبيحه ؛ وكان اذا ذكر الجنة يصبح صيحة عظيمة ويقول : أتراني أرجع إليها ؟ وإن لم أرجع إليها كنت من الخاسرين . وأعلم يا نبي الله أنه قد علمنى كلمات حفظتها عنه ، وهى : الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين . وقد أقبلت إليك طائعة لأمرك ، فمرنى بما شئت . ١٠

ثم تقدم « الهدهد » فسلم عليه وسجد بين يديه وقال : ما أحببت أحدا كما أحببتك ، لأنى رأيت الدنيا ضاحكة لك ، وقد أعطاك الله ملكا عظيما ، فأتخذنى رسولا أتك بالأخبار ، وأدلك على مواضع الماء . فقال له : أراك أكيس الطيور ، وأرى نفاخ بنى إسرائيل تصطادك ، ولا تغنى عنك كياستك شيئا . قال الهدهد : يا نبي الله ، الحيلة لا تنفع مع القضاء والقدر ، وإن الله يضيف إلى عقل المخلوق سبعين ضعفا ثم ينقذ فيه حكمه وقضاه . قال : صدقت . ثم سجد بين يديه مرارا . ١٥

ثم تقدم إليه « الديك » وهو آخر من تقدم ، فوقف بين يديه وهو فى نهاية الحسن ، وضرب بجناحيه ، وصاح صيحة أسمع الملائكة والطيور وجميع من حضر



وقال في صياحه : يا غافلين اذكروا الله . ثم قال : يا نبي الله ، إني كنت مع أبيك آدم وكنت أوقفه أوقات الصلوات ، ومع نوح في الفلك ، ومع مع أبيك إبراهيم وكنت أستمعه يقول : « اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزّز من تشاء ، وتُنزّل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » . وأعلم يا نبي الله أني ما صحت صيحة إلا أفزعت بها الجن والشياطين .  
 . ففرح سليمان به وأمره أن يكون معه حيثما كان . ووقف كل طير بين يديه ، وفرغ من حشر الطيور وعرفها بأسمائها ومنطقها ، وكانوا يعبدون الله بالليل والنهار ، وكذلك الوحوش والسباع ، حتى عرّف كل واحد منهم بأسمه وصفته ونعتة .<sup>(١)</sup>

### ذكر خبر العنقاء في القضاء والقدر

١٠

قال أبو إسحاق الثعالبي — رحمه الله تعالى — بسند رفعه إلى جعفر بن محمد الصادق قال : عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها : إنك تأتين كذا ، وتفعلين كذا ، فقالت له : والله ربّ السماء والأرض ، إنا لنحرص على الهدى ، ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره . قال سليمان : صدقت ، لاحيلة في القضاء . فقالت العنقاء : لست أومن بهذا . قال لها سليمان : أفلا أخبرك بأعجب العجب ؟ قالت بلى . قال : إنه ولد الليلة غلام في المغرب ، وجارية في المشرق ، هذا ابن ملك

١٥

(١) هذه عبارة الكسائي في النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٦٦ ٣٤ أدب ، وعبارة الأصول : « قال : ولما فرغ من حشر الطير وعرفها بأسمائها ولغاتها وكانوا يأتونه بالليل والنهار ، وكذلك الوحوش والسباع حتى عرفها بأسمائها والله أعلم » .

وهذه بنت ملك ، يجتمعان في أمنع المواضع وأهولها على سيفاح بقدر الله تعالى فيهما . قالت العنقاء : يا نبي الله ، وقد ولدا ؟ قال : نعم الليلة . قالت : فهل أخبرت بهما ؟ من هما وما أسميهما وأسم أبويهما ؟ قال : بلى ، اسمهما كذا وكذا ، وأسم أبويهما كذا وكذا . قالت : يا نبي الله ، فإني أفترق بينهما وأبطل القدر . قال : فإنك لا تقدرين على ذلك . قالت بلى . فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة . ومرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظاما ، ووجهها وجه إنسان ، ويدها وأصابعها كذلك ؛ فخلقت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا وأبصرت كل دار فيها ، وأبصرت الحارية في مهدها قد آحتوشتها الظنور والحوول ، فاختلست المهد والحارية وطارت ، ومرت حتى آتته بها إلى جبل شاهق في السماء ، أصله في جوف البحر ، وعليه شجرة عالية في السماء ، لا ينالها طائر إلا بجهد ، لها ألف غصن ، كل غصن كأعظم شجرة في الأرض ، كثيرة الورق ، فآتخذت لها فيه وكرا عجيبا واسعا وطيبا ، وأرضعتها وآحضتتها تحت جناحها ، وصارت تأتيها بأنواع الأطعمة والأشربة ، وتكنها من الحر والبرد ، وتؤنسها بالليل ، ولا تخبر أحدا بشأنها ، وتغدو إلى سليمان وتروح إلى وكراها . وعلم سليمان بذلك ولم يبهدها ، وبلغ الغلام مبلغ الرجال ، وكان ملكا من ملوك الدنيا ، وكان يلهو بالصيد ويحبّه ويطلبه حتى نال منه عظيما . فقال يوما لأصحابه : كل صيد البر وفلواته ومغازاته قد تمكنت من صيده ، فلوركت البحر لأنال من صيده فإنه كثير الصيد كثير العجائب ! . فقال وزير من وزرائه : نعم ما رأيت ، وهو أكثر ما خلق الله صيدا . فأمره بجهازه ، وهيا السفن وجعل يختار من كل شيء يملكه ، وأخذ من الوزراء والندماء والمُسِيرين والحواري والغلمان والطباخين والخبازين والبزاة والصقور وغير ذلك مما يريد ويشتيه من الملاهي

- والشراب ، وركب ومّر في البحر يتصيد ويتلذذ لا يعرف شيئا غير ذلك ، حتى سار مسيرة شهر ، فأرسل الله تعالى على سفينة ريحاً عاصفا خفيفة ساقتها حتى وصلت بها الى جبل العنقاء الذي فيه الجارية ، وذلك مسيرة خمسين سنة في خمسين ليلة ، ثم ركبت سفينة بإذن الله تعالى ، وأصبح الغلام فرأى سفينة راكدة ، فأخرج رأسه من السفينة ، فرأى الجبل وهو في لون الزعفران [صفرة<sup>(١)</sup>] ، وطوله لا يُدرى أين منتهاه ولا عرضه ، ورأى الشجرة فإذا هي كثيرة الأغصان والورق ، ورقها عرض آذان الفيلة ليس لها ثمر ، بيضاء الساق ، فقال : إني أرى عجبا ، أرى جبلا شاهقا لم أر مثله ، وأرى شجرة حسنة قد أعجبنى منظرها . فترك سفينة نحو الجبل ، فسمعت الجارية التي في عُش العنقاء صوت الماء وكلام الناس ، ولم تكن سمعت قبل ذلك شيئا من ذلك ؛ فأخرجت رأسها من العُش ، فتطلعت فرأى الملك صورتها في الماء ، ورأى عجبا من جمالها وكثرة شعرها وذوائبها ؛ فرفع رأسه إلى الشجرة فرأى الجارية ، فأبصر أمرا عظيما فأخذه القلق ، فناداها : مَنْ أَنْتِ ؟ فأفهمها الله تعالى لغته وقالت : لا أدري ما تقول ولا مَنْ أَنْتِ إلا أني أراك يشبه وجهك وجهي وكلامك كلامي ، وإني لا أعرف شيئا غير العنقاء ، وهي أمي التي ربّتي وتسميني بنتها . فقال لها الغلام : وأين العنقاء أمك ؟ قالت : في نوبتها . قال : وما نوبتها ؟ قالت : تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ، ثم تروح وتجيئني وتحدثني بما فعل سليمان وبما حكم وقضى ، وإنه لملك عظيم ، على ما تصف أمي العنقاء ، وإنها تخبرني أنه يشبهني إلا أنها تخبر أنه أحسن وجها وأتم مني .

٢٠

(١) الزيادة عن قصص الأنبياء للكسائي .

- قال : فاندعر الغلام وفزع ، ثم قال : قد عرفته ، هو الذى قتل أبى وسبى ذريته ، وإنى لمن طلقائه ومن يؤدى إليه الخراج ، ورسله الطير والرياح ، ثم بكى الغلام . فقالت الجارية : وما يبكيك ؟ قال : أبكى على وحدثك فى مثل هذا الموضع الذى ليس به أنيس ولا أحد ، وإن مثلك فى الدنيا عدد الشجر والمدر ، وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء واللذة الحسنة مع الأزواج يتعاقون ويتنعمون ، ويتوالدون أولادا مثل خلقك وخلقى ، أرأيت إن هاجت الريح وأزعجتك من وكرك من يسكنك أن تقمى فى البحر ، فإن وقعت فى البحر فمن ذا الذى يُخرجك . قال : ففرعت من قوله وقالت : وكيف لى أن يكون معى إنسى مثلك يحدثنى مثل حديثك ، ويحفظنى من خوف ما ذكرت . فقال لها الغلام : أولا تعلمين أن الله الذى آتخذ سليمان نبيا وسخر له الطير والرياح هو الذى رحمك وساقنى إليك إلفا وصاحبا وأنيسا ، وأنى من أبناء الملوك . قالت الجارية : وكيف تصير إلى وأصير إليك ، وهذه العنقاء تنام وتحضننى إلى صدرها بين جناحيها ؟ قال الغلام : تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه إذا أنصرفت إليك ، فإذا قالت لك : ماتحشئن وما شأنك ، فأخبريها بحديثك ، ثم أنظري إلى ما يكون ردها عليك فتخبرينى به . فراح العنقاء فوجدتها حزينة كئيبة . فقالت لها : يا بُنية ، ما شأنك ؟ قالت : الوحدة والوحشة ، وإنى بلحزة على نفسى لذلك . فقالت لها : يا بُنية لا تخافى ولا تحزنى ، فإنى أستاذن سليمان أن آتبه يوما وأتخلف عنه يوما . فلمّا أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها : لا تُردى هذا ، ولكن سأنحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه وأخرج ما فى جوفه وأقيره وأطيئه وأدخل أنا فى جوفه ، وألقيه على قرقور سفيتى هذه ، فإذا جاءك العنقاء فقولى لها : إنى
- (١) القرقور : ضرب من السفن كبار ؛ ولكن سياق كلام المؤلف يدل على أنه أراد به رأس السفينة .

أرى عجبا، خَلْقَةً مُلَقَّاةً على هذه السفينة، فلو أختطفتيها وحملتيا إلى وكرى هذا،  
فأنظر وأستأنس بها، كان أحبَّ إلىَّ من كينونتكَ عندى نهارا وإمساكِكَ عني خبر  
سليمان . فرجعت العنقاء فوجدتها في مثل حالها، وشغل سليمان عنها، فلم تصل إليه  
في استئذانها إياه بالمُقام يوما في منزلها . فقالت لها : إن نبيَّ الله شُغِلَ عني اليوم  
بالْحُكْمِ بين الآدميين فلم أَصِلْ إليه . قالت لها : فإنني لا أريد أن نتخلفي عنه نهارا  
لمسكان أخبار سليمان، وإني أرى في البحر عجبا، شيئا مرتفعا ما هو؟ قالت العنقاء :  
هذه سفينة قوم سيّارة ركبوا البحر . قالت : فما هذا الذي أرى مُلقًى على رأس  
هذه السفينة؟ قالت : كأنه مَيِّتَةٌ رَمَوْهَا . قالت : فاحملها إلى لأستأنس بها وأنظرَ إليها .  
فانقضّت العنقاء فأختطفَت الفرس والغلام في بطنها فحملتها إلى عُشِّها . فقالت :  
يا أقماء، ما أحسن هذا ! وضحكت ، ففرحت العنقاء بذلك وقالت : يا بَيْتَةَ ، لو علمتِ  
لقد كنتِ آتيكِ بمثل هذا منذ حين . ثم طارت العنقاء إلى نَوْبَتها إلى سليمان،  
ونخرج الغلام من جوف الفرس فلاعها ومسمها ولا مسمها وأقتضها فأحبلها ، وفرح  
كل واحد منهما بصاحبه وأستأنس به .

وجاء الخبر إلى سليمان باجتماعهما من قِبَلِ الرِّيحِ، ووافت العنقاء، وكان مجلس  
سليمان يومئذ مجلس الطير؛ فدعا بعُرَفَاءِ الطير وأمرهم ألاَّ يَدْعُوا طائرا إلا حشروه ،  
ففعلوا؛ ثم أمر عُرَفَاءَ الجَنِّ فحشروا الجَنِّ من ساكني البحار والجزائر والهواء والفَلَوَاتِ  
والأَمْصَارِ ، ففعلوا وحشروهم ، وأحضروا الإنس وكل دابة ، وأَشْنَدَ الخوف  
وقالوا : نَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ لِنَبِيِّ اللَّهِ أَمْرًا قَدْ أَهَمَّهُ . فأول سَهمٍ خرج في تقديم الطير  
سَهمُ الحِدَاةِ ، وكانت الطير لا تتقدم إلا بسهم ، فتقدمت الحِدَاةُ وأستعدت على  
زوجها، وكان قد جحدها ولدها، فقالت : يا نبيَّ الله ، إنه سَفَدَنِي ، حتى أحتضنت  
بيضى وأخرجتُ ولدى جحدي . فأمر سليمان بولدها فأَتَى به ، فوجد الشبه واحدا ،

فألحقه بالذكر وقال لها : لا تمكّنيه من السّفاد أبداً حتى تُشهدى على ذلك الطير ليكلاً يحدك بعدها أبداً . فإذا سفدها ذكرها صاحت وقالت : يا طيور سفدنى أشهدى ، يا معشر الطير أشهدى .

- ثم خرج سهم العنقاء فتقدّمت ، فقال لها سليمان : ما قولك في القدر؟ قالت : يا نبيّ الله ، إن لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وآتى الخير . قال لها : وأين شرطك الذى بينى وبينك أنك تفترقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام ؟ قالت : قد فعلتُ . قال سليمان : الله أكبر ! فأتيني بها الساعة والخلقُ شهوداً لعلم تصديق ذلك ، وأمر عريف الطير ألا يفارقها حتى يوافي بها . فمرت العنقاء ، وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها ، فيبادر الغلام فيدخل جوف فرسه ، فقالت كالفرزة : إن لك لشأناً إذ رجعتِ نهارة . قالت : لعمري إن لي لشأناً ، إن سليمان قد أمرني بإحضارك الساعة لأمرٍ جرى بينى وبينه في أمرك ، فأنا أرجو نصرتي اليوم فيك . قالت : فكيف تحمّليني ؟ قالت : على ظهري . قالت : وهل أستقرّ على ظهرك وأنا أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزلّ وأسقط فأهلك ! قالت : فنى منقارى . قالت : وهل أصبر في منقارك ! قالت : فكيف أصنع ؟ لا بدّ من إحضارك إلى سايمان ، وهذا عريف الطير معي ، وقد دعا بكفيل البومة . قالت : أدخل جوف هذا الفرس ، ثم تحمّلين الفرس على ظهرك أوفى منقارك ، فلا أرى شيئاً ولا أسقط ولا أفزع . قالت : أصبت . فدخلت في جوف الفرس واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس بها فيه في منقارها ، وطارت حتى وقعت بين يدي سليمان ، فقالت : يا نبيّ الله ، هي الآن في جوف الفرس ، فأين الغلام ! فتبسّم سليمان — عليه السلام — طويلاً وقال لها : أتؤمنين
- (١) كذا في التعلي . وفي الأصل : « يا كفور شهرتخ » .

- بَقَدَّرَ اللهُ تعالى وقضائه ! إنه لا حيلة لأحد في دفع قضاء الله تعالى وقدره وعلمه  
السابق الكائن من خير وشر . قالت العنقاء : أومن بالله وأقول : إن المشيئة للعباد  
والقوة ، فمن شاء فليعمل خيرا ومن شاء فليعمل شرا . قال سليمان : كذبت ما جعل  
الله من المشيئة إلى العباد شيئا ، ولكن مَنْ شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ،  
ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ، فلا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة .  
ولا بفعل ولا بعلم ، وإن الغلام الذي قد وُلِدَ بالمغرب والجارية التي وُلِدَتْ  
بالمشرق قد آجتمعا الآن في مكان واحد على سَفَاح ، وقد حَمَلَتْ منه الجارية ولدا .  
قالت العنقاء : لا تَقُلْ يا نبيَّ الله هذا ، فإن الجارية معي في جوف فرسي هذا .  
قال سليمان : الله أكبر ! أين البومة المتكفلة بالعنقاء ؟ قالت : هأنا . قال سليمان :  
على مثل قول العنقاء أنت ؟ قالت نعم . قال سليمان : يا قَدَّرَ اللهُ السابق قبل الخلق  
أنخرجهما على قضاء الله وقدره . قال : فَأَنُرجهما جميعا من جوف الفرس .

فأما العنقاء فتاهت وفزعَت فطارت في السماء وأخذت نحو المغرب ، وأختفت  
في بحر من بحار المغرب وآمنت بالقدر وحلفت لا ينظر الطير في وجهها أبدا أَسْتَحْيَاءَ  
منها .

- وأما البومة فلزمت الآجام والجبال وقالت : أمّا بالنهار فلا خروج ولا سبيل  
إلى المعاش . فهي إذا خرجت نهارا وتجنّتها الطير واجتمعت عليها وقالت لها :  
يا قَدَّرَ اللهُ ، فهي تخضع لهذا .

هذا ما كان من شأن العنقاء في القضاء والقدر . فلنرجع إلى أخبار سليمان  
عليه السلام .

- (١) كذا في نسخة التعلي المطبوعة . وفي الأصول والنسخة المخطوطة من التعلي :  
« للروحانيين » .  
(٢) في قصص الأنبياء للعلبي : « ألا تنظر في وجه طير » .

### ذكر خبر خاتم سليمان عليه السلام

قال الكسائي: وأوحى الله تعالى إلى جبريل — عليه السلام — أنه قد سبق في علمي أني أملك سليمان الدنيا ، ليعلم الجن والإنس أني لم أخلق خلقاً هو أفضل من ذرية آدم ؛ وأمره أن يأخذ خاتم الخلافة من الجنة ويأتيه به . فجاء جبريل إلى سليمان ومعه الخاتم وهو يضيء كالنوكب الدرّي ، ورأى تحت كالمسك ، وعليه كتابة<sup>(١)</sup> بغير قلم ، وهى : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فأعطاه لسليمان وقال له : هنيئاً لك يا ابن داود بهذه الهدية ، وكان في يوم الجمعة لسبع وعشرين خلت من المحرم . فلما صار الخاتم في كف سليمان لم يتمكن من النظر إليه حتى قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وكذلك كل من كان ينظر إليه<sup>(٢)</sup> .

قال وقيل : إن الخاتم أنزل من تحت العرش من نور برهان الله ، وقيل لسليمان : لا تنزع من كفك إلا بأمانة ، وجعل الله عزه فيه ، فتختم سليمان به وصعد على كرسيه وأستقبل الناس بوجهه ورفع إليه الخاتم وهو يلمع ، وقال : هذا الخاتم جمع فيه عزّي وسلطاني وفضلاني به ربّي على العالمين ، وسلطاني على كل شيطان مرید . ثم سجد شكراً لله تعالى وسجد معه الناس . ثم نزل عليه بعد نزول الخاتم : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فكان لا يقرأها على شيء إلا خضع وذلّ ، فتلاها على بنى إسرائيل فلم يسمعها أحد إلا أمتلاً فرحاً . ثم أمر بعد ذلك بأخذ البيض والسيوف ، فكان عنده اثنا عشر ألف درع من نسج داود<sup>جزوب</sup> .

معين التاريخ  
لأهل التاريخ

(١) راجع الكسائي في هذا الموضوع ففيه تفصيل عما هنا .

(٢) عبارة الكسائي : « ثلاث بقين من شهر رمضان » .

(٣) هذه عبارة الكسائي . وفي الأصول : « فلما صار الخاتم في كفه لم يتمكن من النظر إليه حتى

قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .



وقيل : إن داود لم يعمل أكثر من سبع أدرع ، ثم قال سليمان :  
يا بني إسرائيل ، إني أمرت بجاهدة أعداء الله ؛ ثم جمع الخيول وشرع في الاستعداد  
للحرب .

### ذكر خبر حشر الجن لسليمان بن داود عليهما السلام

- قال الكسائي : وأمر الله — عز وجل — جبريل — عليه السلام — أن  
يحشر الجن ، فحشر جناحه الأيمن على شرق الأرض ، والأيسر على غربها ، ونادى :  
أيها الجن والشياطين ، أجيئوا سليمان بن داود بإذن الله ، فخرجت من سائر  
الأماكن وهي تقول : لَبَّيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ . فحشروها إلى سليمان طائعة ذليلة  
تسوقها الملائكة ، وهي يومئذ أربعمائة وعشرون فرقة ، كل فرقة تدين بدين غير دين  
الأخرى ، فوقفت بأجمعها بين يدي سليمان ، فنظر إلى عجائب صورها وسجد لله شكراً ،  
ثم قام على قدميه وانخاض في إصبعه ، فلما نظرت إليه الجن خرت ساجدة ثم رفعت  
رؤوسها وقالت : يا ابن داود ، قد حشرنا إليك وأمرنا بالطاعة لك ، نختم على  
أكافهم بخاتمهم وجندهم وصفد مَرَدَّتْهم بالحديد ولم يتخلف منهم إلا صخر الجنى  
تغيب في جزيرة ، وسند ذكر خبره إن شاء الله تعالى . قال : وبقي إبليس بغير أعوان  
وفترق سليمان الشياطين في الأعمال المختلفة . من الحديد والنحاس وقطع الصخور  
والأشجار وعمارة القرى والمدن والحصون ، وأمرهم بعمل القدور والجفان ؛  
قال الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ  
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . قيل : كان يأكل من كل جفنة ألف إنسان . وشغل

(١) في الكسائي : « الجنود » .

(٢) سورة سبأ آية ١٣

طائفة منهم بغوص البحار واستخراج الأصداف والجواهر منها ، وأمر بعضهم بحفر الآبار وشق الأنهار والقنوات ، وبعضهم بإخراج الكنوز والمعادن ، وغير ذلك من الأعمال .

ثم حُشِر له بعد ذلك الهوامُّ من الحيات والعقارب وغيرها من الحشرات وُسِّخِرَتْ له . فسأل كلا منها عن اسمها [وضرَّها ونفعها] <sup>(١)</sup> وما أكلها ومشربها ومسكنها ومقدار أعمارها وعادتها وغير ذلك من أحوالها ، فأخبرته ، ثم صرفهم وأمرهم ونهاهم . والله أعلم .

### ذكر خبر مطابخه عليه السلام

قال الكسائي : وأمر سليمان أن تُصنَعَ الأُطعمة للخلق الذين معه ، حتى كان طبَّاخوه ينادون في عسكره : مَنْ أراد طعاماً فليأت حتى نصنعه له كما يريد ، فإن سليمان نَصَبْنَا لذلك . وكانت موائده منصوبة ، كل مائدة طول ميل وأطول ، ومعه عِدَّة من الطباخين ، مع كل طبَّاح شيطان يُعِينُهُ ، ورتب في كل مخبز ألف خباز ، وفي كل مطبخ ألف طبَّاح .

قال ويقال : إنه كان يُدَبِّج في مطبخه في كل يوم من الإبل والبقر والغنم زيادة على ثلاثين ألف رأس ، ويستعمل في مطابخه كل يوم كذا وكذا كُتْراً من الملح ، وكانت موائده منصوبة لعامة الناس فقيرهم وغنيهم ؛ وكان يُلقَى للطير في كل يوم من الحبوب سبعون ألف كُتْر — والكر عشرة أجربة — والجريب ثلاثون قفيزاً <sup>(٢)</sup> — وكانت تظل البلاد بأجنحتها .

(١) زيادة عن الكسائي .

(٢) القفيز : مكيال ثمانية مكايك . والمكوك صاع ونصف . ويقدر الصاع بالكيل المصرى بقدرين وثلاث .

٥

١٠

١٥

٢٠

- ذكر خبر الرزق الذى سأل سليمان الله تعالى أن يجريه على يديه  
قال الكسائي: ولما نظر سليمان — عليه السلام — إلى عظم ما آتاه الله  
— عز وجل — من الملك، سأل الله تعالى أن يجعل أرزاق المخلوقات على يديه .  
فأوحى الله تعالى إليه : إنك لا تطيق ذلك . قال : يا رب فيوما واحدا ؛ فأوحى  
الله إليه : إنك لا تطيق ذلك . قال : يا رب فساعة واحدة ؛ فأوحى الله إليه :  
إني قد أعطيتك ذلك ، فاستعد الآن لأرزاق خلقى وأجمع لهم . فأخذ في الاستعداد  
حتى جمع ما يُنصف على حمل مائة ألف بغل وبعير ، وسار يريد ساحل البحر ، حتى  
أتاه ووضع ما جمعه هناك ، ونادى مناديه في سكّان البحر احضروا لقبض أرزاقكم .  
فاجتمع الحيتان والضفادع ودواب البحر على صور مختلفة ، وإذا بحوت قد أخرج  
رأسه وقال : اشبعني يا بن داود ، وهو على مثال الجبل . فقال سليمان : دونك  
الطعام ، فأكل جميع ذلك ، ثم قال : زدني يا نبي الله ، والله ما أصابني الجوع منذ  
خلفني ربي كما أصابني اليوم حين جُعِلَ رزقي على يدك . فعجب سليمان منه وقال :  
هل في البحر مثلك ؟ فقال : إني لفى زمرة من الحيتان فيها سبعون ألف زمرة ،  
كل زمرة مثل عدد الرمل ؛ وفي البحر حيتان لو دخلت أنا في جوف أحدها  
ما كنت إلا تكردلة في أرض قلاة . فبكى سليمان عند ذلك وقال : رب أقلني عثرتي .  
فأقاله الله تعالى ، ثم أوحى إليه : أن يقف يا بن داود حتى ترى جنودى ، فإن ما رأيت  
قليل . فوقف وإذا بالبحر قد اضطرب اضطرابا عظيما وخرج منه شيء أعظم من  
الجبل يشق البحر شقا وهو يقول : سبحان من تكفل بأرزاق العباد ، ثم نادى :  
يا بن داود ، لولا اليد الباسطة عليك لكنت أضعف الخلائق ، وإنك لم تقدر أن  
تُسبغ حوتا واحدا ولا نال كل طعمه ، فكيف تقدر أن تكفل بأرزاق الخلائق !  
ثم مرّ ذلك الحوت ، فنظر سليمان إلى خلق عظيم ، وقال : إلهي ، هل خلقت خلقا

أَكْبَرُ مَنْ هَذَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : إِنَّ فِي الْبَحْرِ مَنْ يَحْتَاجُ أَنْ يَأْكُلَ سَبْعِينَ أَلْفًا  
مِثْلَ هَذَا وَلَا يُشْبِعُهُ ، وَلَا يُشْبِعُهُ إِلَّا نَعْمَتِي وَلَطْفِي . فَعَلِمَ سَلِيمَانُ أَنَّ الَّذِي أُعْطِيَهِ  
لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ . وَاللَّهُ الْوَاسِعُ الْمُنْتَفِضِلُّ .

### ذكر خبر بناء بيت المقدس وأبتداء أمره

- ٥ قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — في سبب بناء بيت المقدس :
- إن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم — عليه السلام — حتى جعلهم في الكثرة  
غاية لا يُحْصَوْنَ . فلما كان زمن داود — عليه السلام — لبث فيهم مدةً مديدةً  
بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرةً ، فأعجب داودُ بكثرتهم فأراد أن يعلم  
عدد بني إسرائيل فأمر بعدهم ، وبعث لذلك عُرَفَاءَ وَنُقَبَاءَ ، وأمرهم أن يرفعوا إليه  
ما بلغ من عدتهم ، فكانوا يُعَدُّونَ زماناً من الدهر حتى عجزوا وأيسوا أن يحيط  
١٠ علمهم بعدد بني إسرائيل . فأوحى الله تعالى إلى داود : إني وعدت أباك إبراهيم  
يوم أمرته بذبح ابنه فصديقاً وأتمر بأمرى أن أبارك له في ذريته حتى يصيروا أكثر  
من عدد نجوم السماء ، حتى لا يحصيهم العادون . وإني قد أقسمتُ أن أبتليهم ببليةٍ يقل  
منها عددهم ، ويذهب عنك إعجابك بكثرتهم . وخيره بين أن يتلهم بالجوع والقهط  
ثلاث سنين ، وبين أن يسلط عليهم عدوهم ثلاثة أشهر ، وبين أن يسلط عليهم  
١٥ الطاعون ثلاثة أيام . فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى إليه وخيره  
فيه . فقالوا : أنت أعلم بما هو أيسر لنا ، وأنت نبينا فأَنْظِرْ لنا غيرَ الجوع فلا صبرَ لنا  
عليه ، وتسليطَ العدو أمر فاضح . فإن كان ولا بد فالموت ، لأنه بيده لا بيد غيره .  
فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت ، فأغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا  
٢٠ إلى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراي والأهلين ، وأمرهم داود أن

يَصْجُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ لَعَلَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُمْ . فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ فَأَهْلِكَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ لَا يُدْرَى عَدْدُهُمْ ، وَلَمْ يَفْرُغُوا مِنْ دَفْنِهِمْ إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ شَهْرَيْنِ .

٨  
١٢

- فلما أصبحوا في اليوم الثاني نخر داود ساجداً يبتهل إلى الله تعالى ، فأستجاب الله تعالى منه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت . ورأى داود الملائكة سائلين سيوفهم فأغمدوها وهم يرقون في سُلَمٍ من ذهب من الصخرة إلى السماء . فقال داود لبني إسرائيل : إن الله قد منّ عليكم ورحمكم بخدّوا له شكراً . قالوا : وكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم أن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذكر الله تعالى . فأخذ داود في بنائه . فلما أرادوا أن يتدنوا البناء جاء رجلٌ صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم في بنيانهم ، فقال لبني إسرائيل : إن لي فيه موضعاً أنا محتاج إليه ، فلا يحلّ لكم أن تحجبوني عن حقّي . قالوا له : يا هذا ، ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد حقٌّ مثل حقك ، فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه . فقال : أنا أعرف حقّي وأنتم لا تعرفون حقكم . قالوا له : إنا أن نرضى وتطيب أنفساً وإلا أخذناه كرها . قال لهم : أوتجدون ذلك في حكم الله تعالى وحكم داود ؟ ! قال : فرفعوا خبره إلى داود فقال : أرضوه . فقالوا : نعم نأخذه منه يا نبيّ الله بثمنه . قال : خذوه بمائة شاة . فقال الرجل : زدني يا نبيّ الله ، فقال : بمائة بقرة . قال : زدني يا نبيّ الله ، قال فبمائة بعير . قال : زدني يا نبيّ الله ، فإنا تشتريه لله تعالى . فقال داود : أما إذ قلتَ هذا فأحتكم أعطك . قال : تشتريه مني بحائط مثله زيتوناً ونخلًا وعنباً ؟ قال نعم . قال : أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل . قال : سأل ما شئت أعطك ، وإن شئت أؤجرك نفسي . قال : أو تفعل ذلك يا نبيّ الله ؟

قال : نعم إذا شئت . قال : أنت أكرم على الله تعالى من ذلك ، ولكن تبني حوله  
جداراً ثم تملؤه ذهباً وإن شئت وريفاً . قال داود : هو هين . فالتفت الرجل إلى  
بنى إسرائيل وقال : هذا هو التائب والمخلص . ثم قال لداود : لأن يغفر الله تعالى  
لي ذنباً واحداً أحب إلي من كل ما وهبت لي ، ولكن كنت أختبركم . فأخذوا  
في بناء بيت المقدس ، وذلك فيما قيل لإحدى عشرة سنة مضت من خلافة داود .  
وكان داود ينقل لهم الحجارة على عاتقه ، وكذلك خيأ<sup>(١)</sup> بنى إسرائيل حتى رفعوه قائمة .  
فأوحى الله تعالى إليه : إن هذا بيت مقدس ، وأنت سفاك للدماء ، ولست بانيه ،  
ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى إتمامه  
على يديه ويكون له صيته وذكره .

قال : فصلوا فيه زماناً إلى أن توفى الله نبيه داود وأستخلف سليمان وأمره  
بإتمام بناء بيت المقدس . فجمع سليمان الإنس والجن والشياطين وقسم عليهم  
الأعمال ، فخص كل طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام  
والمها الأبيض الصافي من معادنه ؛ وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح ، وجعلها  
أثنى عشر ربضاً<sup>(٢)</sup> ، وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط . فلما فرغ من المدينة  
أبتدأ في بناء المسجد ، فوجه الشياطين فرقاً ، وفريقاً منهم يستخرجون الذهب  
والفضة من معادنها ، وفريقاً يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدرّ ويقلعون  
الجواهر والحجارة من أماكنها ، وفريقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب  
من أماكنها ؛ فأتى من ذلك بشيء لا يحصى إلا الله تعالى . ثم أحضر الصنائع

(١) في نسخة التعلي المطبوعة : «أخبار» .

(٢) المها : البلور .

(٣) الربض (بالتحريك) هنا : الناحية .

وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنظيفها ألواحاً، وإصلاح تلك الجواهر وتثقيبها؛ فكانوا يُعاجلونَها فتصوّت صوتاً شديداً لصلابتها . فكره سليمان تلك الأصوات، فدعا الجن فقال لهم : هل لكم حيلةٌ في نحت هذه الجواهر من غير تصويت ؟ فقالوا : يا نبي الله، ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علماً من صخر. فأستدعاه . وكان من أمره في حضوره إليه والتلطف في تحصيل حجر السامور ما ذكره — إن شاء الله تعالى — في أخبار صخر .

قالوا : فلما أتى بحجر السامور، وهو حجر الماس، استعمله في أدوات الصّناع، فسهّل عليهم نحت الحجارة .

قالوا : فبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمّده بأساطين المَهَّاء الصافي، وفصّصه بألواح الجواهر الثمينة، وفصّص سقفه وحيطانه بالآلآء والياقوت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفَيروزَج، فلم يكن يومئذ بيت في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد؛ وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

قالوا : فلما فرغ من بنائه جمع أخبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله تعالى، وأن كل شيء فيه خالص لله تعالى . وأتخذ ذلك اليوم عيداً، فلم يُتخذ في الأرض قط أعظم منه ولا من الأطعمة التي عُمِلت فيه . قيل : إنه ذبح من الخراف خمسين ألفاً، ومن البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة، ومن الغنم أربعمائة ألف شاة .

قالوا : ومن أعاجيب ما آتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطين حيطانه بالخضرة وصقله؛ فكان إذا دخله الورع البار آستبان خياله في ذلك الحائط أبيض؛

وإذا دخله الفاجر استبان خياله في الحائط أسود . فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة . ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا آيوس ، فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم تضره ، ومن مسها من غيرهم احترقت يده .

قالوا : ولما فرغ من بناء بيت المقدس قُرب قُرباناً على الصخرة ، ثم قال :  
 ٥ اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منّا منك على ، وجعلتني خليفتك في أرضك ، وأكرمتني به من قبل أن أكون شيئاً ، فلك الحمد . اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خصلاً : ألا يدخله أحدٌ فيصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولا يدخله مستتيب إلا ثبت عليه ، ولا خائف إلا أتمته ، ولا سقيم إلا شفيته ، ولا مجذب إلا أخصبته وأغنيته . وإذا أجبت دعوتي فأجعل علامتها أن تقبل قُرباني . قال : فترلت نارٌ من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القُربان وصعد به الى السماء .

وقال سعيد بن المسيب : لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه ، فعالجها سليمان فلم تفتح حتى قال في دعائه : بصـلوات أبي داود إلا ما فُتحت الأبواب ، ففتحت . وفرغ له سليمان — عليه السلام — عشرة آلاف من قراء بنى إسرائيل ، خمسة آلاف بالليل ، وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا والله عز وجل يُعبد فيها فيه .

وحكى الكسائي في خبر بناء بيت المقدس قال : فأوحى الله تعالى إلى سليمان — عليه السلام — أن تبنى بيت المقدس وترفع قواعده كما رفع إبراهيم قواعده البيت العتيق ، وأن تبنيه على صخرة المعراج . فأمر سليمان الجان أن تقطع الصخور . وتنقل الرخام والأحجار والعمد وآلات العمارة إليه ، ثم أمر بالبناء على الأساس



الذي كان داود وضعه . فلما كمل البناء أنهار وأنهدم ، فأمر أن يُحْفَرُ أساسُه حتى يبلغ الماء ، وعقِدَ البناء بالحجارة المنحوتة بعِضِها على بعض ، فغلب الماء على البناء فما آنعقد الأساس . فأمر أن تُصَنَعَ قِلاَلُ النحاس والرصاص ، وختمها بخاتمها ، وجعلها تحت الأساس . ثم أمر بالبناء فوقها فبنيت وارتفع البناء ، وعَمِلَ فيه عشرة آلاف عمود من الرخام الملقون ، يلي كل عمود سارية من الذهب ، وسارية من الفضة ، ومحاريب الذهب والفضة ، وكل البناء والزخرفة في أربعين يوماً .

قال : وكان يَعْمَلُ فيه في كل يوم ألف عِفْرَتٍ من الجن وألف شيطان وألف من الإنس . وفرغ منه يوم عرفة ، وأخذ له قناديل من الذهب بسلاسل الفضة .

قال الثعلبي : فكان يَبْنِي المَقْدِسَ على ما بناه سليمان إلى أن غزاه بُخْتَنَصَّرُ ، ١٠  
فخَرَّبَ المدينةَ وهدمها ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانها من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر ، فحمل ذلك معه إلى دار مملكته من أرض العراق . قال : ثم لم يزل خراباً إلى أن بُنِيَ في الإسلام .

قال الكسائي : ثم أمر الله سليمانَ بجهاد العدو ، فرغب في جمع الخيل ، فأهديت ١٥  
إليه من جهة ملوك الأطراف الحيول المسومة ، فأجتمع له ما يُنْفَى عن سبعين ألف فرس بسروج الذهب والفضة بأجلة الديباج . وسار صوب بلاد الشام . وكان إذا خرج للغزو لا يستصحب شيطاناً ولا جنيّاً بل العباد من بني إسرائيل . والله المعين .

### ذكر خبر وادى النمل وما قيل فيه

قال : ولمّا سار سليمان لقصد الغزوة في طريقه بوادى النمل . قال الشعبي :

إنه مرّ بوادى السدير (١) (واد من الطائف) فأتى وادى النمل (٢) . قال الكسائي : فنظر

إليهم وإذا هم يزيدون على مائة ألف كُردوس مثل السحاب ، وهم زُرُق العيون ،

ولهم أيّد وأرجل . فقال سليمان : إني أرى سخابة في الأرض لا أعلم ما هي .

فحملت إليه الريح قول النملة كما أخبر الله تعالى عنها : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي

النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ \* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ۖ ﴾ (٤) . قال : ونزل الناس معه ، فقال : أتدرون

ما هذا السواد ؟ هذه أمة من الأمم يقال لها النمل ، وأخبرهم بقول النملة ، وسجد

وسجدوا شكراً لله تعالى . ودخلت النمل مساكنها زمرةً بعد زمرة ، والنملة تناديهم :

الْوَحَا الْوَحَا فَقَدْ وَافَتَكُمْ الْخَيْلُ . فصاح بها سليمان وأراها الخاتم بفأته خاضعة ،

فوقفت بين يديه وهي أكبر من الذئب ، فسجدت بين يديه ثم قالت :

يا نبي الله ، ما سجدت قبلك إلا لأبيك إبراهيم ، وهأنا بين يديك مُرْنِي بِأَمْرِكَ .

فقال : ما الذي تكلمت به قبل وصولي إليك ؟ قالت : يا نبي الله ، إني رأيتك

في مَوْجِكَ وعسكرك ، فناديت النمل أن يدخلوا مساكنهم لئلا يحطمهم جُنْدُكَ ،

وأنا كمثل غيري من الملوك أريد الإصلاح لقومي . فقال لها : كم عددكم ؟

(١) في التفسير الكبير المسمى بالبحر المحييط لأبي حيان (ج ٧ ص ٦٠) : « وادى السدر

من الطائف » .

(٢) وادى النمل : بين بيت جيرون وعسقلان كما ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٣) كردوس : فرقة .

(٤) سورة النمل آية ١٨

(٥) الوحا الوحا (بمَدٍّ ويَقْصُر) أى أسرعوا أسرعوا .

وما تأكلون وما تشربون؟ قالت: يا نبي الله، لو أمرت الحق والشياطين أن يحشرونا إليك لعجزوا، وليس على وجه الأرض وادٍ ولا جبلٌ ولا غابةٌ إلا وفي أكافها مثل سلطانك كراديس من النمل. ولو تفزق كُردوس واحد في الأرض لمّا وسعته. ولقد خلقنا قبل أباك آدم، وإنا لنا كل رزق ربا ونشكره. فأمرها أن تعرض النمل عليه. فنادتهم، فمّثروا به زمرة بعد زمرة، وسألموا عليه بلغاتهم وهو ينظر إليهم. فقالت ملكة النمل: يا نبي الله، منّا ما يأوى الجبال، ومنّا ما يأوى قُرب المياه والأشجار والزرع، وفي الهواء وهي الطيّارة، فإذا نبتت أجنحتها هلكت وأختطفها الطير. والنملة لا تموت حتى يخرج من ظهرها كراديس من النمل. وليس على ظهر الأرض أحرص من النملة؛ وإنها لتجمع في صيفها ما يملأ بيتها وهي مع ذلك تظن أنها لا تتسّع. وتسبيحها تسأل ربّها أن يوسع الرزق على خلقه. قال الثعلبيّ قال الضحّاك: اسم النملة [التي كلمت سليمان] «طاخية» وقيل: «حرمي». والله أعلم.

### ذكر خبر البعوض وما قيل فيه

قال الكسائي: ولما نظر سليمان إلى كثرة النمل قال: إلهي هل خلقت أكثر من النمل؟ فأوحى الله إليه: نعم وسترى ذلك. ثم أمر الله تعالى ملك البعوض أن يحشرها لسليمان، فحشرها من شرق الأرض وغربها. فأقبلت كراديس البعوض

(١) زيادة عن الثعلبيّ.

(٢) كذا في نسخة الثعلبي المخطوطة والجزء الخامس من تفسيره المسمى «الكشف والبيان في تفسير

القرآن» المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٧٩٧ تفسير. وفي شرح القاموس مادة «طنخ» بالخاء

المعجمة والنسخة المطبوعة من الثعلبيّ: «طاخية» وقال صاحب شرح القاموس نقلا عن النهاية: اسمها

«عجلوف». وفي الأصول: «طاخية» بالجم المعجمة.

(٣) كذا في الثعلبي المخطوطة والمطبوعة. وفي شرح القاموس نقلا عن أعلام السبيل: «حرمي».

وفي الأصول: «جرما».

كالسحاب يتبع بعضها بعضاً حتى وقف منهم كُردُوس على سليمان ، وأقبل ملكهم وقال : يا نبي الله ، مالك وللضعفاء من خلق ربك ألهيتهم عن التسبيح ! .  
يا ابن داود ، إنا في هذه الأرض قبل أهلك آدم بالفئ عام ما عيرضنا على آدمي غيرك ، نأكل من رزق ربنا ، ولا نفتر عن ذكره صباحاً ولا مساء . قال : أخبروني كم أتم ؟ وأين ماواكم ؟ ومن أين ترزقون ؟ قال ملكهم : يا نبي الله ، تحت يدي سبعون سخابة ، كل سخابة تملأ المشرق والمغرب ، لكل زمرة موضع معلوم ، تأكل كل واحدة رزقها ، ولولا خوف المعاد لأكلنا ما في الدنيا . ثم سجدوا وأنصرفوا . وكان سليمان إذا أراد أن يدرك قوماً بعث إليهم البعوض فيأكل جميع ما في مدينتهم .

### ذكر خبر الخليل وما قيل فيها

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ \* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾<sup>(١)</sup> . قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي في "كتاب البرهان في علوم القرآن" في تفسيره هذه الآية : الصافن من الخيل الذي يجمع بين يديه . وقال الفراء : الصافن هو القائم . وقال مجاهد : صُفُون الفرس إذا رفع إحدى رجليه حتى يكون على طرف الحافر . قال ابن زيد : الخيل أخرجها الشيطان لسليمان من مرج من مروج البحر . والصَّفْنُ أن يقوم الفرس على ثلاث ويرفع رجلاً واحدة ، يكون طرف الحافر على الأرض . قال : وكانت لها أجنحة . قال : والجِيَادُ السَّراع . وذكر أنها كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة . قال وقوله : "إني أحببت

(١) سورة ص آية ٣١ وما بعدها .

(٢) الحوفي (بفتح الحاء المهملة وسكون الواو) نسبة إلى الحوفي : ناحية عمان .

- حبّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب“، إنه لها عن الصلاة حتى فاتته .  
 قال قتادة والسديّ : الخير : الخيل . ورؤى عن عليّ - رضي الله عنه - أنه  
 سئل عن الصلاة الوسطى فقال : هي العصر ، وهي التي تُتَن بها سليمان . ”حتّى  
 توارت بالحجاب“ ، يعني الشمس حتى تغيب في مغيبها . وقوله : ”رُدُّوها عليّ“  
 أي الخيل التي عُرِضَتْ عليّ فشغلتنى عن الصلاة . ”فطفق مسبحا بالسوق والأعناق“ ،  
 أي جعل يمسح فيها السوق وهو جمع ساق . قال بعضهم : عقرها وضرب  
 أعناقها ؛ قاله قتادة والحسن والسديّ . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - :  
 جعل يمسح أعناقها وعراقيبها بيده حبّا لها . وقيل : كشف عن عراقيبها  
 وضرب أعناقها وقال : لا تشغليني عن عبادة ربّي مرة أخرى . قال أبو إسحاق :  
 يجوز أن يكون الله أباح له ذلك لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب أعظم منه .  
 والله أعلم .

- وقال النعاليّ - رحمه الله - في قصّة الخيل قال الكلبيّ : غزا سليمان أهل  
 نصيبين ، فأصاب منهم ألف فرس . وقال مقاتل : ورث سليمان من أبيه داود  
 ألف فرس ، كان داود أصابها من العمالة .
- قالوا : فصلّى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيّه ، فُعْرض عليه منها  
 تسعمائة<sup>(١)</sup> فرس ؛ فتنبّه لصلاة العصر ، فإذا الشمس قد غابت وفاتته الصلاة ولم يعلم  
 بذلك ؛ فاغتم وقال : رُدُّوها عليّ ، فُرِدَّت عليه ، فعرقبها بالسيف ، وقربها إلى الله  
 - عز وجل - وبقي منها مائة فرس . فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي  
 من نسل تلك المائة . وقال كعب : كانت الأفراس أربعة عشر فرساً ، فأمر بضرب  
 أعناقها وسُوقها بالسيف وقتلها ؛ فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً ؛ لأنه ظلم  
 (١) كذا في النعاليّ وكتب التفسير . وفي الأصول : « أربعة » وهو لا يتفق مع السياق .

الحيل بقتلها . قال الثعلبي وقال قوم : ” فطفيق مسحاً بالسوق والأعناق ” حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بِمِيسَمِ<sup>(١)</sup> الصَّدَقَةِ . ورؤى عن علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — أن الله تعالى أمر الملائكة الموكلين بالشمس فردوها ، وصلى سليمان العصر في وقتها .

ذكر خبر بساط سليمان عليه السلام

قال الكسائي : وكان سليمان إذا ركب الريح تقدم أمامه بساطه البعوض ثم الزناير وكل ما يطير في الهواء ، ثم الشياطين . وكان إذا أراد أن يركب الريح دعا الرياح الثمانية : الشمال والجنوب والصبأ والدبور والصرصر والعقيم والكرس والراكي<sup>(٢)</sup> ، فيبسط بعضها على بعض ، ثم يبسط بساطه على هذه الرياح ، وكان من السندس الأخضر ، أخضر البطن أحمر الظهر ، أهده الله تعالى إليه من الجنة ، لا يعلم طولَه وعرضَه إلا الله تعالى . وقيل : كان طولُه ثلاثمائة وسبعين فرسخاً في عرض عشرة آلاف ذراع . وكان سليمان إذا ركب جعل اللون الأخضر مما يلي الأرض ، فإذا رفع الناس رؤوسهم إليه يرونه على لون السماء . وكان يجلس على كرسيه وعن يمينه ويساره التضاة والعلماء والأخبار من بنى إسرائيل على كراسي معدة لهم ، وهو جالس في وسط البساط وزمام الريح بيده ، ويتغذى على مسيرة شهر ويتعشى على مسيرة شهر ، قال الله تعالى : ﴿ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال : وكان سليمان إذا ركب الرياح على بساطه يرى كل شيء عليه من الجن والإنس والشياطين والهوام وغيرهم ، والطير تُظَلِّه ، ولا يقف على مدينة إلا فتحها .

(١) الميسم (بكسر الميم وفتح السين المهملة) : حديدة تكوى بها إبل الصدقة وغيرها لتعرف وتميز عن غيرها من الإبل المملوكة .

(٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « الكريس والداي » .

(٣) سورة سبا آية ١٢

## ذكر خبر صخر الجنى

- قال : وجمع سليمان — عليه السلام — عفاريت الجنّ والشیاطین وأمرهم بإحضار صخر الجنى ، فقالوا : یا نبی الله ، إن الله قد أعطاه قوة جماعية منّا ، ویصعب علينا حمله إليك ، وما لنا إلا أمر واحد وهو أنه یأتی فی كل شهر الى عین فی جزيرة فیشررب ماءها . والرأى أن ننزفه منها ونعلاها نجرا ، فإذا جاء وشربه وسكر ذهبته قوته فنحمله ونأتیک به . ثم خرجوا ففعلوا ذلك ، وأختفوا فی تلك الجزيرة . فجاء صخر لیشررب فاشتّم رائحة النجر وقال : أيتها النجرة إنك لطیبة غیر أنك تسلبین العقل وتجعلین الحليم جاهلا ، وأمرک كلّه ندامةً ، وأنصرف ولم یشررب . ثم عاد فی اليوم الثانى وقد أجهده العطش فقال : ما من قضاء یأتی من الله إلا كان مبرماً ، ثم نزل على العین فشرب حتى امتلأ ، ثم قام لیخرج فسقط ، فتبادرت العفاريتُ إليه ومعهم طایع خاتم سليمان ، فلما رآه ذلّ وخضع ، فحملوه حتى وقفوه بین یدئى سليمان وهو یخرج من فيه لهب النيران ، ومن منخريه الدخان . فلما عین الخاتم ضعفت قوته ونحرّ ساجداً على وجهه ، ثم رفع رأسه وقال : یا نبی الله ، سیزول هذا الملك عنك ولا یبقى إلا ذكره . قال : صدقت . ثم قال له : یا نبی الله ، ما الذى أحوجك إلى وأنا بالبعد منك لا أختلط بالآدمیین ؟ فقال له سليمان : إن الناس قد اشتكوا من وقع الحديد وصوته على الحجر . فقال : عليك بوكر العقاب وعشه وبيضه ، فليس شیء من الطيور أبصر منه ، فأتی به . فوضعه فی البریة وغطاه بجام من القواریر شدید الصفاء فوضعه على عش العقاب . فجاء العقاب فلم یرعشه ، فطار فی الهواء حتى نظر إلى عشه فی تلك البریة ، فأنقضّ علیه وضرب الجام برجله لیكسره فلم یقدِر على ذلك ، فطار وتعلّق فی الهواء وغاب یومه وليلته ، ثم أقبل صبيحة اليوم الثانى وفى متقاره قطعة من حجر السامور ، فأنقضّ على الجام بذلك الحجر

$$\frac{12}{12}$$

فضر به به ، فانشق الجلام نصفين ولم يُسمع له صوت ، وأخذ العقاب عُشه وبيضه وترك حجر السامور هناك ، فأخذه صخر وهو في صفاء المرأة وحرّ النار . فدعا سليمان بالعقاب وسأله عن حجر السامور من أين احتمله ، فأخبره أنه من جبلٍ شامخ . فبعث سليمان الجن والشياطين فحملوا منه ما قَدَرُوا ، فكان يقطع به الأحجار والصخور والجزع من غير أن يُسمع له وقع .

قال : ثم قال صخر : يا نبي الله ، أتحب أن أتخذ لك مدينةً ؟ قال نعم ؛ فأتخذها . فعجب سليمان من ذلك ، وأمره أن يتخذ له مدينةً دون تلك المدينة حتى يحملها معه على بساطه حيثما ذهب . فقال : يا نبي الله ، لك كلما أردت السفر مدينةً على أيّ لون شئت . فبنى له مدينة في طول عسكره وعرضه ، وجعل لكل سبط من الأسباط قصرًا في طول ألف ذراع وعرضه مثل ذلك ، وفي كل قصر بيوت وعُرف ، ثم بنى بعد ذلك مجلسًا من القوارير في طول ألف ذراع ، وعرضه مثل ذلك ، يجلس فيه العلماء والقضاة . وبنى لسليمان قصرًا عجيبًا في طول خمسة آلاف ذراع ، وعرضه مثلها ، وزخرفه بالوان القوارير ورصعه بأنواع الجواهر ، وجعل فيه جميع الصور والتماثيل وأتقن صنعته . وكان مما صنع صخر لسليمان الكرسي .

ذكر صفة كرسي سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره ١٥

قالوا : وكان مما عمله صخر الجن لسليمان — عليه السلام — الكرسي ، وكان سليمان أمره باتخاذ له ليجلس عليه للقضاء ، وأمره بأن يعمل به يدعًا مهولًا بحيث إنه إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب .

قال : فعمل له الكرسي وكان من أنياب الفيلة وفصصه بالياقوت والياقوت ، والزبرجد وأنواع الجواهر ، وحفه بأربع نخلات من ذهب ، شماريخها من الياقوت ٢٠



الأحمر والزَّبرجد الأخضر ، على رأس نخلتين طاووسان من ذهب ، وعلى رأس النخلتين الآخرين نسران من ذهب ، بعضها يقابل بعضا ، وجعل مقابل جنبَي الكرسي أسدين من ذهب ، على رأس كل أسد منهما عمود من الزُّمرد الأخضر ، وعقد على النخلات أشجار كروم من الذهب ، عناقيدها من الياقوت الأحمر .

٥

قالوا : وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دَوْرَانِ الرِّيح المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ، ويسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ، وكذلك كان يفعل في كل درجة يصعد فيها سليمان . فإذا استوى سليمان بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعا على رأس سليمان ، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسور والطاووسان ، والأسدان مائلان برءوسهما إلى سليمان ، ينضمحن عليه من أجوافها المسك والعنبر ، ثم تناولهما حمامة من ذهب جائئة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة ، فيفتحها سليمان — عليه السلام — ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء . فإذا دعا بالبينات [و] تقدمت الشهود لإقامة الشهادات دار الكرسي بما فيه من جميع ما حوله دَوْرَانِ الرِّيح المسرعة .

١٥

قال أبو إسحاق الشَّعْبِي قال معاوية لو هب بن مُنَبِّه : ما الذي كان يُدِير ذلك الكرسي ؟ قال : بلبلتان من ذهب . قال : فإذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ، وينشر النسور والطاووسان أجنحتها فتفرع منها الشهود ويدخلهم الرعب الشديد ، فلا يشهدون إلا بالحق .

٢٠

(١) في بعض النسخ للعلبي المخطوطة : « تين عظيم » .

قال : فلما توفي الله سليمان — عليه السلام — وجاء مُخْتَصِرٌ إلى بيت المقدس أخذ الكرسيَّ وحمله إلى أنطاكية<sup>(١)</sup>، وأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا معرفة بأحواله . فلما وضع قدمه على الدرجة رفع الأسد يده اليمنى فضربه ضربة شديدة دقّه ورماه ، فحمل مُخْتَصِرٌ ، فلم يزل يعرج منها ويتوجّع إلى أن مات . وبقى الكرسيَّ بأنطاكية حتى غزاهم ملك من ملوك الشام يقال له كداس بن سدارس فهزم خليفة مُخْتَصِرٌ وردّ الكرسي إلى بيت المقدس ، فلم يستطع أحد من الملوك الصعود إليه . فوُضع تحت الصخرة فغاب فلم يعرف له خبر ولا يُدرى أين هو . والله أعلم بالصواب .

### ذكر خبر بلقيس وأبتداء أمرها

قال الكسائي قال كعب : هي بلقيس بنت ذى شرج<sup>(٢)</sup> ، وهي متولدة من الإنس والجن . وأُمّها عميرة بنت ملك الجن . وكان لاتصال ذى شرج والد بلقيس بعميرة بنت ملك الجن سبب عجيب نذكره على ما حكاه الكسائي ، قال : أهلك الله تعالى مساكن سبأ بسيل العريم ، على ما نذكر ذلك في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، وهو يلي أخبار ملوك قحطان ، وذلك في الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس

(١) كانت في القديم حاضرة سوريا ، وهي واقعة على منعطف من نهر العاصي ، وقد فاقت قديماً غيرها من المدائن في الثروة والعلوم والتجارة ، وكان لأهلها امتيازات مدنية خصوصية حتى أنها كانت الثالثة بين مدن مقاطعات الرومان العظيمة . وقد اشتهرت بحسن موقعها وطيب هوائها ، وكانت مخفوفة بغياض السرو الكثيفة ومجاري المياه العذبة . ( راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست ) .

(٢) كذا في كتاب الإكليل للهمداني ( ج ٨ ص ٣٠ طبع بغداد ) ونسخة ب في بعض المواضع مضبوطة بالقلم بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة . وفي نسخة أ ، ج : « ذو أشرح » . وفي تاريخ الطبري ( ص ٥٧٦ من القسم الأول ) : « هي فيما يقول أهل الأنساب : بلقمة بنت البشر ، ويقول بعضهم : ابنة أبي شرح ، ويقول بعضهم : أبنة ذى شرح بن ذى جدن بن أبي شرح بن الحارث بن قيس... الخ » . وفي الكسائي : « ذو شرح » بالسين المهملة .

- (١) في السفر الثالث عشر من هذه النسخة . قال : فلما أنقروضوا وأبادهم الفناء توارثها بعدهم جماعة من الملوك ليس هذا موضع ذكرهم ، حتى انتهى الملك إلى رجل فظ غليظ يقال له شراحى الحميرى . وكان من عادته مع قومه أنه أفترض على أهل مملكته في كل أسبوع أن يأتوه بجارية من بناتهم فيفتضها ثم يردّها إلى أهلها . وكان ذو شرح وزيره وهو من أبناء ملوك حمير من ولد سبأ ، وكان لدى شرح ألف قصر وألف فرس عتيق وألف سيف يمان ، وكان يرجع إلى حسن وجمال وعقل ، وكان مولعاً بالصيد ، فكانت الجن تنصّور له في صورة الطي ، فإذا صادهم وهم بذبحهم كلّموه وقالوا له : لا تعجل فإننا إنما جئنا للنظر إلى محاسن وجهك . وكانت الجن تؤذى أهل اليمن ، فأقسم ذو شرح أن يقتل ملك الجن ويتزوج بآبنته . قال : وكان اسم ملك الجن عمير ، وكان حسن الوجه ، وآبنته عميرة . فتر ذو شرح ذات يوم في واد من بلاد اليمن كثير الأشجار فنزل به ، حتى جنته الليل ، وكان في جمع قليل من أصحابه ، وكان الوادى الذى نزل به من مساكن الجن . فلما مضى بعض الليل سمع همهمة الجن ، فقام ونادى : يامعشر الجن ، قد نزلت بكم الليلة على أن تُضيفوني فإنى جائر لكم ، فأسمعونى من أشعاركم . قال : فأنشدته الجن من أشعارها ، وجاءته عميرة بنت عمير ملك الجن على أحسن صورة . فلما نظر إليها ذهّل عقله من حسنها ، وغابت عن عينه فشغف بحبها فقال : يامعشر الجن ، إن أتم زوّجتموها منى وإلا كنت حرباً لكم ما عشت أبداً . فنأدوه : ياذا شرح ، إنك آدمى فكيف تقا تل الجن ومسكنهم الهواء وظلمات الأرض ! مهلاً أيها الآدمى لا تعرّض نفسك إلى ما لا تقدر عليه وأرجع ، فإن قُدر لك أمر فسوف تناله . فلما سمع ذلك أيس

(١) يقع هذا في نحو الجزء السابع عشر من أجزاء هذه الطبعة .

(٢) فرس عتيق ، أى رافع .

من الترويح وأخذ في مستأنف أمره في مؤالفة الجن ، فكان يُهاديهم بما يصلح لهم  
 من الهدايا ، فصافاه عُمر ملك الجن وأخاه وألقاه حتى صار عنده كالأخ . فلما رأى  
 ذلك ذو شُرح وأنه قد تمكّن من ملك الجن قال له : هل لك أن تزوجني أبتك  
 عميرة ليكون لي في ذلك شرف إلى الممات ! فرغب فيه عُمر ملك الجن لحسنه وجماله  
 وشرفه وماله ، فزوجه أبتة بحضرة سادات الجن . وأنصرف ذو شُرح إلى مدينة  
 سبأ وأهدى هدايا كثيرة إلى ملك الجن وسادات قومه ، ثم زُفت إليه فوطئها  
 فحملت منه .

### ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب ملكها

قال : وولدت عميرة بنت ملك الجن بلقيس بنت ذى شُرح على أحسن ما تكون  
 من الصُور ، ثم ماتت أمها بعد ذلك بقليل ، فربّتها الجن . فلما بلغت مبلغ النساء قالت  
 لأبيها : إني كرهت المَقام عند الجن فأحملني إلى بلاد الإنس فإنهم أحب إلي .  
 فقال لها : إن للإنس مأكلاً ظالماً وذكر لها سنته في بلاد قومه ، وأنه يفتض الأبقار  
 ثم يردّهم إلى أهلهم . قالت : لا تخش ذلك عليّ وأنقلني ، وسترى ما يكون مني . فبنى  
 لها قصرًا خارج مدينة سبأ من أعظم ما يكون من الأبنية ، وأتخذ لها عريشًا من  
 العاج والابنوس والذهب والفضة ، ونقلها إلى القصر وأتخذ لها أواني الجواهر .  
 فأقامت بلقيس في قصرها زمنًا طويلًا ، وانتشر خبرها إلى ملك سبأ ، فركب  
 في موكبه حتى وقف على باب القصر ورأى حُسْنَ بنائه ، فرجع وأرسل بجارية من  
 جواريه إلى بلقيس ، فدخلت عليها ونظرت إليها وإلى ما في قصرها من التحف  
 العظيمة وما عندها من جوارى الإنس والجن ، فعادت إلى الملك وأخبرته بما هي  
 عليه من الجمال وأنها أبنة وزيره . فأحضره وأنكر عليه وقال : كيف آتخذت

- مثل هذا القصر ولك مثل هذه البنت وأنت وزيرى ولم تعلمنى ولا أستاذننى  
 فى بنائه ! . فقال : أيها الملك ، أما القصر فإنى أنفقت عليه المال الذى ورثته  
 من أبى . وأما البنت فإنها ابنة عميرة بنت ملك الجن ، ورغبت فى السكن فى بلاد  
 الإنسان ، فحملتها الى هذا المكان ، فهذه قصتها . فقال : صدقت فزوجنيها ولا بد  
 من ذلك . فقال : أحتاج فى ذلك إلى إذنها . قال : استأذنها . بجاء إليها وقال :  
 يا بُنَيَّة ، قد وقعت فيما كنت أخشاه عليك ، وذكر لها مقالة الملك . فقالت :  
 زوجنى منه ولا تخف ، فإنه لا يصل إلى . فزوجها منه بحضور أكابر أهل المملكة .  
 ولما تم الترويح كتب الملك كتابا إليها يقول : إنى قد عشقتُ أسمك قبل أن  
 أنظر إليك ، فإذا قرأت هذه الرقعة فعجلى بحضورك إلى . فكتبت إليه : إنى  
 لمشتاقا إلى وجهك أشوق منك إلى ، غير أن قصرى هذا هو من بناء الجن ، وفيه  
 عجائب كثيرة ، وقد جمعت فيه مالا يصلح إلا لمثلك . فإن رأيت أن تتحول إلى قصرى  
 فأفعل . فلما ورد جوابها عليه ركب لوقته فى حشمه وجنوده وسادات قومه .  
 فبلغ بلقيس فقالت لأبيها : امض إلى الملك وقُلْ له : إن أبنتى من بنات الجن  
 ولم تنظر قط الى مثل هذه الجنود ، ففرق هؤلاء وأدخل إليها منفردا . فقال ذلك  
 للملك ، ففرق جنوده وأتى إليها بمفرده ، ودخل القصر وله سبعة أبواب . وكانت  
 بلقيس قد جعلت عند كل باب جارية من بنات الجن من أحسن ما تكون من  
 النساء ، وفى أيديهن أطباق الذهب فيها الدناير والدرهم والطيب ، وأمرتهن أن  
 ينثرن ذلك على الملك . فلما دخل توهم أن كل واحدة منهن أمرته وهم بالتزول  
 عليها ، فتقول : أنا خادمتها وهى أمامك ، حتى انتهى إلى آخر الأبواب ، فتقدمت  
 إليه جارية وأصعدته إلى العرش ، فنظر الى القصر وما فيه من الآلات والزينة ،  
 فرأى ما لم يخطر بباله . ثم أقبلت بلقيس والجوارى بين يديها ينثرن على الملك من

١٥  
١٣

- أنواع النثار وعلى رأسها تاج، فصعدت على عرشها. فلما رآها الملك قُتن بها وكاد يذهل عقله. وأخذت في محادثته وملاعبته، ثم أمرت بالطعام فأحضّر بين يديه. فامتنع من الأكل وقال: ما أريد أن أغفل عن وجهك. فأمرت بإحضار الشراب فأُتي به في آلات الجوهر النفيس. وأخذ في الشرب، فلم تزل به حتى أسكرته وغاب عن عقله ووقع على قفاه لا يعقل من أمره شيئاً. فذبحته بلقيس، ثم دعت بأبيها وأعلمته بما فعلت. ففرح وكتب إلى خزان الملك عن الملك: إني قد أحبيتُ التزول بهذا القصر فأجمعوا ما في الخزائن من الأموال وأنفذوه إلى عندي. فجمعوا الأموال وأنفذوها إلى القصر. ثم أمرت بعد ذلك باتخاذ الأطعمة فصنعت ودعت سادات ملوك اليمن. فلما جلسوا قدّمت إليهم الأطعمة فأكلوا، ثم قدّم إليهم الشراب فشربوا. فلما أخذ منهم أشرفت بلقيس عليهم وقالت: إن الملك يأمركم أن توجهوا إليه بنسائكم وبناتكم. فغضبوا وقالوا: أما يكفيه أنه فضح بنات العرب حتى طمع فينا نحن! فقالت لهم: لا تغضبوا حتى أرجع إليه وأعرفه غضبكم. ثم أمرت أن يعاد عليهم الشراب ثانياً فشربوا ساعة، فعادت إليهم وقالت: قد أخبرت الملك بغضبكم ومقاتلكم فقال: لا بدّ من ذلك. فأزداد القوم غضباً وصاحوا. فقالت: على رسلكم حتى أراجعه وأسأله. ومضت وعادت فقالت: إني عدت إلى الملك فوجدته قد نام، فما رأيكم في أمر أفعله وأريحكم مما أتم فيه من شره على أن تملكوني على أنفسكم؟ قالوا نعم. فخلّفهم على ذلك وأخذت عليهم العهود والمواثيق، وغابت ساعة وعادت ومعها رأس الملك فألقته إليهم، ففرحوا بذلك واستبشروا وملكوها عليهم. فملكت بضع عشرة سنة حتى بعث الله سليمان نبياً.

(١) في الكسائي: «وأوتوني بها» وهي أفصح لغة.

## ذكر خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها

قال : وكان سبب اتصال خبرها بسليمان عليه السلام أنه بينما هو يسير على يساطه ، وكان الهدهد دليله على الماء لأنه يراه من عدة فراسخ ، فارتفع في الهواء لطلب الماء ، فنظر الى هدده قد أقبل من ناحية اليمن ، فالتقيا . فقال له الهدهد السليمانى : من أين أنت ؟ قال : من اليمن . وسأله الآخر فقال : أنا من الشام من طيور الملك سليمان . قال : ومن سليمان ؟ قال : نبي الله ملك الجن والإنس والطيور وجميع المخلوقات . قال : إن هذا ملك عظيم . قال : وهل فى اليمن ملك ؟ قال : نعم ، ملكة يقال لها « بلقيس » تحت يدها عشرة آلاف قائد ، تحت يد كل قائد كذا وكذا ألفا من العساكر .

- ١ . وحكى التعلبي أنه قال لما أخبره بملك سليمان : إن لصاحبكم ملكاً عظيماً ، ولكن ليس ملك بلقيس دونه ، فإنها ملكة اليمن وتحت يدها اثنا عشر ألف قبيل مع كل قبيل مائة ألف مقاتل — والقبيل هو القائد باعة أهل اليمن — فهل أنت منطلق معى حتى تراها ؟ قال نعم . فأنطلق الهدهدان حتى أتيا بلاد اليمن وصارا إلى قصرها ؛ فنظر إليها [ الهدهد السليمانى ] وإلى قصرها ومملكها . وحضر وقت الصلاة لسليمان فلم يجد الهدهد ، فقال ما أخبر الله به عنه : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتَنِي رَسُولًا مُبِينًا ﴾ (١) أى بحجة بينة . ثم دعا العقاب وقال : أنت عريف الطير ، فتعترف لى خبر الهدهد . فطار فى الشرق والغرب ، وإذا هو بالهدهد قد أقبل من جهة اليمن ، فجاء به إلى سليمان . فاستخبره عن سبب غيبته فقال : « أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ

يقين . إني وجدتُ امرأةً تملكهم وأوتيت من كلِّ شَيْءٍ ولها عَرْشٌ عظيمٌ .  
وذكَرَ صِفَةَ عَرْشِهَا وما فيه من أصنافِ الجواهر وغيرها ثم قال : « وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا  
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وخرَّ ساجدًا لله ، ثم رفع رأسه وقال : « أَلَا يَسْجُدُوا  
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . قال سليمان : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ  
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » ! . ثم سأله عن الماء فقال : هو تحت قائمة كرسيك .

فأمر سليمان بتحويل البساط ، فحُولَ ونقر الهدهد بمنقاره نخرج الماء ، فشرب الناس  
وصَلُّوا . ثم قال للهدهد : « اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ  
مَاذَا يَرْجِعُونَ » وأقبل سليمان على آصف بن برخيا وقال : أَكْتُبْ إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ

١٦  
١٢

كِتَابًا لَطِيفًا . فدعا بصحيفة من فِضَّة وكتب : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنه من  
سليمان . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ » . وختم الكتاب وبعثه مع الهدهد في زُمرَةٍ من  
الطير ، فأقبلوا نحو اليمن وأنقضوا على قصرها ، ودخل الهدهد إلى قُبَّتِهَا مِنْ كُوَّةٍ مِنْ  
كُوَى الْقُبَّةِ وَهِيَ نَائِمَةٌ ، وَقَدْ وَضَعَتْ خَاتَمَ مُلْكِهَا عَلَى صَدْرِهَا ، فَوَضَعَ الْكِتَابَ  
عَلَى نَحْرِهَا وَطَارَ . فلما أَسْتَيْقِظَتْ أَخَذَتْ الْكِتَابَ وَجَمَعَتْ قَوْمَهَا ثُمَّ قَالَتْ : « إِنِّي  
أُلْقِيتُ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ » وَفَتَحَتْهُ وَقَالَتْ : إنه من سليمان ، وقرأته عليهم وعلمت أنه  
من قِبَلِ رَجُلٍ عَظِيمٍ . وَجَمَعَتْ أَكْبَرَ قَوْمِهَا وَأَهْلَ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ الَّذِينَ فِي مَمْلَكَتِهَا  
و « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ » . قالوا  
نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ » . فعلمت عند  
ذلك أنهم قد أخطأوا الرأى في عَزَمِهِمْ عَلَى الْحَرْبِ وَ « قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا  
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ  
فَنَاطِرَةٌ يَمُرُّونَ بِهَا الْمُرْسَلُونَ » .

(١) خبء الأرض : نباتها . وخبء السماء : مطرها . (٢) الكوة : الخرق في الحائط .



قال : وأردت أن تختبر حال سليمان عليه السلام فقالت : إن طلب الدنيا أرضيناه بالمال وصرفنا أذاه عنا، وإن كان من الأنبياء ولم ترغبه الدنيا لم يكن لنا أمرٌ إلا الطاعة له ، فمضوا على رأيها، فأمرت بآخذ الهدايا . فعاد الهدهد إلى سليمان وأخبره بما كان من أمرها مع قومها . فأمر سليمان أن يُفرش مِبدانه يَلين الذهب والفضة، وأن يُبنى حول الميدان حائطٌ من الفضة سُرفاته من الذهب ، على كل سُرفةٍ تاجٌ من الذهب مرصع بالجوهر، وأمر الجن أن يأتوا بأولادهم من الذكور والإناث، وأمر بإحضار كل فرس عجيب الخلق .

قال الثعلبي : إن سليمان عليه السلام سأل الجن عن أحسن دوابٍ رأوها في البحر . قالوا : رأينا دوابً في بحر كذا وكذا منمّرة منقطة مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعرافٌ ونواصٍ . قال : على بها الساعة ، فأتوه بها . قال : شدوها عن يمين الميدان ويساره، ففعلوا . قالوا : وأمر سليمان الشياطين أن يظهروا من التهويلات ما لم يُظهروه قبل ذلك اليوم .

قال الكسائي : وكانت بلقيس قد أعدت مائة لينةٍ من الذهب، ومائة لينةٍ من الفضة ، ومائة غلامٍ أمرد ، لكل غلامٍ ضفائرٌ كضفائر النساء ، ومائة وصيفةٍ مضموماتٍ الشعر .

قال الثعلبي : وأختلفوا في عددهم ، فقال الكلبي : عشرة غلمانٍ وعشر جوارٍ . وقال مقاتل : مائةٌ وصيفةٍ ومائةٌ وصيفة . وقال مجاهد : مائتا غلامٍ ومائتا جارية . وقال وهب : خمسمائة غلامٍ وخمسمائة جارية . وألبست الغلمان ثياب الوصائف ، وألبست الوصائف ثياب الغلمان .

وقال الثعلبي : قال وهبٌ وغيره من أهل الكتب : عمّدت بلقيس إلى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام ، فألبست الجوارى لباس الغلمان ، وألبست الغلمان

لباس الجوارى ، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب ، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب ، وفي آذانهم أقراطاً وشُفُوفاً<sup>(١)</sup> من ذهب مرصّعات بألوان الجواهر ، وحملت الجوارى على خمسمائة رَمَكَةٍ<sup>(٢)</sup> ، والغلمان على خمسمائة بِرْدُونٍ ، على كل فرس لحام من ذهب مرصّع بالجواهر ، وغواشيها من الديباج الملقون ، وبعثت إليه خمسمائة لَبْنَةٍ من ذهب ، وخمسمائة لَبْنَةٍ من فضة .

قالوا : وعمدت الى تاج من ذهب مرصّع بالجواهر ، ومائة فرس من جياذ خيول اليمن ، عليها براقع الحرير وأجلة الديباج ، وبعثت بحقة من ذهب فيها دُرّة غير مثقوبة ، وجرع يمانى مثقوب معوج الثقب<sup>(٣)</sup> ، وقارورة [ وبعثت ذلك مع وزيرها ، وكتب جواب كتاب سليمان وقالت : قد بعثت إليك بمائتي وصيف ووصيفة على سن واحدة ، وأحب أن تميز ذكورهم من إناثهم من غير أن تكشف عنهم ، ودُرّة غير مثقوبة تأمر من يثق بها من غير أن تستعين بأحد من الإنس والجن والشياطين ، وجرع مثقوب تدخل فيه خيطا ، وقارورة تملؤها ماء ما نزل من السماء ولا ينبع من الأرض .

فلما جاء الرسول ونظر الى ميدان سليمان وحيطانه وما على شرفاتها من التيجان والخيول حول الميدان ، دخل على سليمان بالجوارى والغلمان والحقة والقارورة ، ولم يظهر الذهب والفضة والخيل لأنه استحقها بالنسبة إلى ما رآه .

(١) الاشناف جمع شنف ( بفتح الشين المعجمة وسكون النون ) وهو ما يعلق في أعلى الأذن .  
وأما ما يعلق في أسفلها فهو قرط ( بضم القاف وسكون الراء المهملة ) .

(٢) الرمكة : الفرس .

(٣) زيادة يقتضها الكلام الآتى .

وقال الثعلبيّ : إنه كان مما بعثته خمسمائة لبنية من ذهب ، وخمسمائة لبنية من فضة . قال : فلمّا دنا القوم من الميدان ونظروا الى مُلْك سليمان ورأوا الدوابّ تَرُوثُ على لَبَنِ الذهب والفضة رموا ما معهم من الهدايا . قال : وفي بعض الروايات أنّ سليمان لما أمر بفراش الميدان بلَبَنِ الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللَّبَنَاتِ التي معهم . فلمّا رأت الرسل موضع اللَّبَنَاتِ خالياً وكل الأرض مفروشة خافوا أن يُثَمِّمُوا بذلك ، وطرحوا ما معهم في ذلك المكان .

$$\frac{17}{12}$$

قال : ثم مرّوا على الشياطين ، فلمّا نظروا إليهم فرّعوا . فقيل لهم : جُوزُوا فلا بأس عليكم . وكانوا يمتزّون على كُرْدُوسٍ<sup>(١)</sup> كُرْدُوس من الجن والإنس والطير والسباع والوحش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام .

١٠

قال الكِسَائِيُّ : فُقِّدَ الكِتَابُ إلى سليمان ، فأخبر سليمان الرسول بما فيه قبل فتحه وقراءته ، وميّز الوصفاء من الوصائف ، وأمر دودة فتقبت الدرة وأدخلت الخيط في الحزّع ، وأمر أن تُساق الخيلُ حتى تعرق وتُمَلَأَ القارورة من عرقها ، وأقبل على وزير بلقيس وقال : ارجع إلى صاحبك بما جئت به من الهدية وقل لها : « أُمْتَدُونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ . ارجع إليهم فلنأتينهم بجُنُودٍ لا قبل لهم بها ولنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » . قال : فعاد الوزير إليها بما جاء به من الهدية وأخبرها بما كان من أمر سليمان . فقالت لقومها : هل علمتم الآن أنّ رأيي كان أصوب من رأيكم في ترك المحاربة ؟ ومن أين لنا طاقةٌ بحرب نبيّ !! ثم جمعت أموالها وكنوزها وأستصحبته ذلك معها .

١٥

(١) الكردوس : الكنبية من الخيالة .

٢٠

إِلَّا عَرْشَهَا فَإِنَّهَا تَرَكْتَهُ بِقَصْرِهَا وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ وَسَارَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَمَعَهَا  
مُلُوكُ الْيَمَنِ وَأَكْبَرُهَا وَسَادَاتُهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ .

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى : شَخَّصَتْ بِلَقِيسَ إِلَى سُلَيْمَانَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَيْلٍ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ قَيْلٍ مِنْهُمْ  
مِائَةُ أَلْفٍ . قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : وَكَانَ سُلَيْمَانُ رَجُلًا مَهِيْبًا ،  
لَا يُبْتَدَأُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ . فَخَرَجَ يَوْمًا بِخُلَاسٍ عَلَى سَرِيرٍ مُلْكِهِ  
فَرَأَى رَجُلًا قَرِيبًا مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : بِلَقِيسَ . قال : وَقَدْ نَزَلْتُ مِنْهَا هَذَا  
الْمَكَانَ ؟ قَالُوا نَعَمْ . قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَمَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ  
قَدْرُ فَرْسَخٍ .

قال : فَأَقْبَلَ حِينَئِذٍ سُلَيْمَانَ عَلَى جُنُودِهِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا  
قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قال عَفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ  
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ » قال : أُرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ . « قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ  
الْكِتَابِ — وَهُوَ أَصْفُ بْنُ بَرْخِيَا — أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » . قال :  
وَكَانَ عِنْدَهُ أَسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ . « فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي  
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » . ثم قال  
سُلَيْمَانُ : « نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ » . فَأَقْبَلَ  
عَفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّ رَجُلَيْهَا كَاظِمًا حَمَارٍ . قال له سُلَيْمَانُ : إِنْ  
كَانَ ذَلِكَ كَمَا قُلْتَ وَإِلَّا عَاقِبَتُكَ . قال : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أُرِيدُ أَنْ أَتَّخِذَ لَكَ صَرْحًا<sup>(٢)</sup>  
مِنْ قَوَارِيرَ ، وَأَجْرِي فِيهِ مَاءٌ ، وَأُنْزَلَ فِيهِ الْحِيتَانُ وَالسَّمَكُ ، فَلَا يَشْكُ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ

(١) الرَّحْجُ : الْفَارُ أَوْ مَا أَثِيرَ مِنْهُ .

(٢) الصَّرْحُ : الْقَصْرُ .

ماءٌ جارٍ ، فَاتَّخَذَهُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ شَكَرَهُ . فَقَالَ : يَا نَجِيَّ اللَّهِ ، أَعُفْ عَنِّي فَإِنِّي كَذَبْتُ عَلَى بَلْقَيْسَ فِي رَجُلَيْهَا ، فَعَفَا سُلَيْمَانُ عَنْهُ .

وَأَقْبَلَتْ بَلْقَيْسُ فَفَعَلَتْ تَنْظُرَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُمْ قِيَامٌ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمَّا قَارَبَتْ الصَّرْحَ الْمُرْدَّ إِذَا بِعَرْشِهَا ، فَتَعَجَّبَتْ . فَقِيلَ : أَهَكَذَا عَرْشُكَ ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهُ هُوَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَأَنَّهُ مِنْ قُدْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

قَالَ : فَلَمَّا أَقْبَلْتُ إِلَى الصَّرْحِ حَسِبْتُهُ لُجَّةً وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا . فَنَادَاهَا سُلَيْمَانُ : إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَزَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ . فَأَرْسَلْتُ ثَوْبَهَا عَلَى سَاقِيهَا حَيَاءً مِنْ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ « قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ثُمَّ أَسْلَمَ قَوْمُهَا .

- ١٠ قال النعيلي : اختلف العلماء في أمرها بعد إسلامها ، فقال أكثرهم : لما أسلمت لبقيس أراد سليمان أن يتزوجها . فلما هم بذلك كره ما رأى من كثرة شعر ساقها وقال : ما أقبح هذا ! . فسأل الإنس : يَمَّ يذهب هذا ؟ فقالوا : بالموسى . فقالت المرأة : لم يمسسني الحديد قط ، فكبره سليمان . فسأل الجن ، فقالوا : لا ندرى . فسأل الشياطين فكروا عليه ، فلما ألح عليهم قالوا : نحن نحتال عليه حتى يكون كالفضة البيضاء ، فاتخذوا لها النورة<sup>(١)</sup> والحمام . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ١٥ هو أول يوم أُتخذت فيه النورة . وقال الكسائي في سياقة خبره : ثم قالت لبقيس : يا نجيَّ الله ، أرى خاتمك متقوشاً ، فما الذي عليه ؟ قال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . قالت : ومن محمد ؟ قال : نبي يخرج في آخر الزمان ، فأمنت

١٨  
١٢

(١) النورة : حجر الكلس ثم غلب على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنخ وغيره ويستعمل لإزالة

الشعر .

بلقيس به . ثم قال لها بعد إيمانها : أتحبّين أن ترجعي إلى بلادك وما كنت فيه؟  
قالت : لا ، بل أكون معك من بعض نساءك ، فترجع بها سليمان عليه السلام .

هذا ما أورده الكسائي . وفيه زيادات نقلها أبو إسحاق الثعلبي قد ذكرناها  
في أثناء القصة ونهنا عليها ونسبناها إلى قائلها . وحكى الثعلبي أيضا في هذه القصة  
زيادات قد رأينا إثباتها ؛ فمن ذلك وصّف قصرها وعرشها .

### ذكر صفة القصر الذى بنته بلقيس وصفة عرشها

قال أبو إسحاق الثعلبي قال الشعبي : يُروى أن بلقيس لما ملكت أمرت  
خُجِّل إليها خمسمائة أسطوانة من الرّخام ، كلّ أسطوانة خمسون ذراعا ، وأمرت  
بها فنُصبت على تل قريب من مدينة صَنْعَاء ، وَخَطَّت بين كلّ أسطوانتين عشرة  
أذرع ، ثم جعلت على ذلك سَقْفًا مَبْسُوطًا بِالْأَوْحِ الرّخَامِ وَالْحِمَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ  
بِالرِّصَاصِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا لَوْحٌ وَاحِدٌ . ثُمَّ بَنَتْ فَوْقَ ذَلِكَ قَصْرًا مَرَبَعًا مِنْ آجُرٍّ  
وَجَعَلَتْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ قُبَّةً مِنْ ذَهَبٍ مُشْرِفَةً فِي الْهَوَاءِ ، وَفِي بَيْنِ ذَلِكَ  
مَجَالِسُ حِيطَانُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ مُرَصَّعَةً بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ الْمَلَوْنَةِ ، فَكَانَتْ الشَّمْسُ  
إِذَا طَلَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ أَتَتْهَا الذَّهَبُ وَالْجَوْهَرُ فَيَكَادُ يُعْشَى الْعَيُونَ وَتَحَارُّ فِيهِ  
الْأَبْصَارُ . وَجَعَلَتْ بَابَ ذَلِكَ الْقَصْرِ مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ بِدَرَجٍ مِنَ الرّخَامِ الْأَبْيَضِ  
وَالْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ ، وَفِي جَانِبِهِ شَجَرًا لُجَّاءًا وَبَوَابِهَا وَحَرَسُهَا وَخَدَمُهَا وَحَشَمُهَا عَلَى  
قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ .

قال : وأما صفة عرشها فكان مُقَدَّمُهُ مِنْ ذَهَبٍ مَفْصَّصٌ بِالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ  
وَالزُّمُرُودِ الْأَخْضَرِ ، وَمُؤَنَّرُهُ مِنْ فِضَّةٍ مَكَّالٍ بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ ، وَلَهُ أَرْبَعُ قَوَائِمَ :

قَائِمَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، وَقَائِمَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَصْفَرَ، وَقَائِمَةٌ مِنْ زُمُرُدٍ أَخْضَرَ، وَقَائِمَةٌ مِنْ دُرٍّ أَصْفَرَ، وَصَفَائِحُ السَّرِيرِ مِنْ ذَهَبٍ . وَعَلَيْهِ سَبْعَةُ بَيُوتٍ ، عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مُغْلَقٌ ، وَكَانَ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا فِي ثَمَانِينَ ذِرَاعًا، وَطَوَّلُهُ فِي الْهَوَاءِ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ . أَيْ سَرِيرٌ ضَخْمٌ .

### ذِكْرُ خَيْرِ وَادِي الْقِرْدَةِ

قال الكسائي : و بينا سليمان عليه السلام مع بلقيس ذات يوم إذ قال لها : أكلُ اليمن في طاعتك ؟ قالت : نعم ، إلّا وادٍ عن يمين سبأ ، فيه أشجار ومياه غلبت عليه القردة وأزاحوا عنه سُكَّانَهُ ، وهو وادٍ طويلٌ عريضٌ ، وهم في كثرة ، وإنهم على سُنَنِ الْيَهُودِ لا يتبايعون يوم السبت . فبعث سليمانُ الْعُقَابَ لِيَأْتِيَهُمْ بِخَبَرِهِمْ . فطار إلى الوادي وعاد إليه قبل أن يقوم من مقامه ذلك ، وأخبره بكثرتهم . فركب سليمانُ الرِّيحَ على يساطه في قُبَّةِ الْقَوَارِيرِ ، وسار في نفر من بني إسرائيل حتى نزل على شفير الوادي ، فعلم القردة أنه سليمان ، فبادروا إلى طاعته وأتوه ، وقالوا : يا نبي الله ، إنا من نَسْلِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ ، ونحن على دين موسى نعملُ بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ ، وسألوه أن يُقَرِّبَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَادِي ، فَأَقْرَبَهُمْ فِيهِ وَكَتَبَ لَهُمْ سِجِّلاً عَلَى لَوْحٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِ كِبِيرِهِمْ يَتَوَارَثُونَهُ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُمْ . هَكَذَا نَقَلَ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الَّذِينَ أَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مَسِيخٍ لَمْ يُعَقِّبُوا . وَفِي الصَّحِيحِ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسِيخٍ نَسْلاً .<sup>(١)</sup>

(١) مسيخ ، أى مسوخ .

## ذكر خبر الرجل الذى قُبِضَ بأرض الهند

- ١٩ قال الكسائى : كان سليمان عليه السلام قد سأل الله تعالى أن يرّيه مَلَكَ الموت فأراه إياه، وكان يعودده ويأتيه في كل خميس . فأتاه في بعض الأيام على صورة البشر، وجعل يطيل النظر إلى رجل في مجلس سليمان حتى اربب ذلك الرجل . فلما فارقه مَلَك الموت قال : يابى الله ، لقد فزّنى هذا الرجل الذى كان في مجلسك من نظره إلىّ ، فمن هو؟ قال : هو مَلَك الموت . قال : يابى الله أسألك أن تأمرَ الريح أن تحملنى إلى أرض الهند ، فأمرها سليمان فحملته من مجلسه ووضعت به بأرض الهند . ثم جاء مَلَك الموت إلى سليمان ، فقال له : قد كنت اليوم عندى وأنت تنظر إلى ذلك الرجل نظراً شافياً حتى خاف منك . قال : يابى الله ، إني كنت قد أمرت بقبض رُوحه في موضع من أرض الهند في هذا اليوم ، فلما رأيته عندك عجبت متى يصل إلى الهند ، فإذا الريح قد جاءت به ، فألقته في البقعة التى أمرت بقبض رُوحه فيها ، فقبضت رُوحه هناك . فعجب سليمان عليه السلام من ذلك .

## ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه اليه

- ١٥ قال الكسائى : كان سليمان عليه السلام كلما نزل بمنزل من البرارى بنيت الجن والشياطين له قصرًا بديعًا ، فإذا تحوّل عنه خربوه . وكان له قصر على ساحل البحر من بناء الجن ، فأمرهم أن يتركوه على حالته . فجاء سليمان إلى ذلك القصر ففتله ، وكان صخر الجنى معه وهو شديد الحرص على أن يسلبه الخاتم ؛ لأنه كان قد علم أن مُلكه فى خاتمته . وكان لسليمان جارية أسمها « الأمانة » فكان إذا أراد الدخول إلى الخلوة بنسائه يسلم الخاتم إليها ، فإذا آغسل أخذ خاتمته منها ، وكذلك إذا أراد الوضوء . فجاء سليمان في بعض الأيام ففتل ذلك القصر وأراد



الوضوء، فدفَعَ الخاتمَ الى الجارية . فجاء صخرٌ وقد أُلْقِيَ على نفسه صورة سليمان ، فقال للجارية : هاتِ الخاتمَ ، فناولته إياه وهي لا تعلم . فلَمَّا صار الخاتمُ في يد صخر لم يستقر في يده لأنه شيطان ، فرماه في البحر ، فجاء حوتٌ بإذن الله فابتَلَعَه . ومضى صخر وهو على صورة سليمان يجلس على كرسيه ومعه الناس وهم يظنون أنه سليمان ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ <sup>(١)</sup> ﴾ قيل : الجسد هو صخر الجنى .

- قال : وخرج سليمان من الخلاء وقد غير الله صورته إلى صورة صخر، فطلب الخاتمَ، فقالت الجارية : أعوذ بالله منك، قد دفعتُ الخاتمَ إلى سليمان . فعلم أن الله قد أوقع به البلية ، فخرج يريد القصر ويقول للناس : أنا سليمان ، والناس يهزءون بقوله ويقولون : لستَ سليمان أنت صخر الجنى . بفعل سليمان يدور على جميع الناس وهم على كلمة واحدة في إنكاره ، وجعل يدور في القرى ويقول : أنا سليمان والناس يَسْتَمُونَهُ حتى لَزِقَ بطنُه بظهره من الجوع ، فقال : إلهي إنك آبتليت كثيرا من الأنبياء ولم تحرمهم رزقك . إلهي إني تائب إليك من خطيئتي . فلم يزل سليمان كذلك أربعين يوما لم يَطْعَمْ شيئا ، ثم وجد قُرْصَةً يابسةً مُلَقَاةً ، فأخذها ولم يقدر على أكلها ليُبْسِها ، فأقبل الى ساحل البحر وقعد يُلْقِي القُرْصَةَ فَاسْتَلَبَتْهَا الأمواج من يده .
- فقال : إلهي رزقتني بعد أربعين يوماً قُرْصَةً يابسةً نزلتُ حتى أبلَّها فَاسْتَلَبَتْهَا الأمواج من يدي وأنت المتكفل بأرزاق العباد ، وأنا عبدك المذنب ، فارزقني فأنت الرزاق الكريم . ثم جعل يمشي على الساحل وهو يبكي ، فإذا هو بقوم يصطادون السمك ، فسألهم شيئا من الطعام فمنعوه وطردهوه وقالوا له : انصِرْف عنا ، فما رأينا أوحش من وجهك . قال : ما عليكم من وجهي إذا أطعمتموني؟! قالوا : وحقَّ سليمان

٢٠  
 ١٢

إِنَّ قُنَّا إِلَيْكَ لَنُوجِعَنَّكَ ضَرْبًا إِنْ لَمْ تَرْخَ عَنَّا . قَالَ : يَا قَوْمَ ، فَاَنَا وَاللَّهِ سَلِيمَانُ .  
 فَضْرِبَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : أَتَكْذِبُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ! فَبَكَى حَتَّى بَكَتِ الْمَلَائِكَةُ  
 لِبَكَائِهِ وَرَحِمَهُ أُولَئِكَ الْقَوْمُ وَنَاولُوهُ سَمَكَةً وَأَعْطَوْهُ سَكِينًا ، فَشَقَّ بَطْنُهَا لِيَصْلَحَهَا  
 وَيَسْوِيَهَا وَيَأْكُلَهَا ، فَخَرَجَ الْخَاتَمُ مِنْ بَطْنِهَا فَغَسَلَهُ وَجَعَلَهُ فِي إصْبَعِهِ ، وَعَادَ إِلَيْهِ حَسَنُهُ  
 وَجَمَالُهُ ، فَوَضَعَ السَّمَكَةَ وَسَارَ يَرِيدَ قَصْرَهُ ، فَبَعَلَ يَمْرُؤًا بِتِلْكَ الْقُرَى ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ قَدْ  
 أَنْكَرَهُ عَرَفَهُ وَتَبَجَّدَ لَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ صَخْرًا الْجَنِّيَّ فَهَرَبَ . وَعَادَ سَلِيمَانُ إِلَى قَصْرِهِ وَاجْتَمَعَ  
 لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَالسَّبَاعُ وَالْهَوَامُّ كَمَا كَانُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ . فَبَعَثَ الْعَفَارِيتَ  
 فِي طَلَبِ صَخْرَ فَاَتَوْهُ بِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يَنْقُرُوا لَهُ صَخْرَتَيْنِ وَصَفْقَدَهُ بِالْحَدِيدِ وَجَعَلَهُ بَيْنَهُمَا  
 وَأَطْبَقَهُمَا عَلَيْهِ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِهِ وَطَرَحَهُ فِي بُحِيرَةٍ طَبَرِيَّةٍ . فَيَقَالُ : إِنَّهُ فِيهَا إِلَى  
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الرِّيحَ أَنْ تَحْشُرَ لَهُ سَائِرَ الشَّيَاطِينِ فَحَشَرَتْ لَهُ ، فَصَفَّقَدَ  
 مَرَدَّتَهُم بِالْحَدِيدِ وَحَبَسَهُمْ . هَذَا مَا أوردته الكِسَائِيُّ فِي قِصَّةِ الْفِتْنَةِ ، وَهُوَ أَوْلَى  
 مَا أوردته وَأَشْبَهَ مَا نَقَلَ .

١٥

٢٠

وحكى الثعلبي رحمه الله في خبر الفتنة قال قال محمد بن إسحاق قال  
 بعض العلماء عن وهب بن منبه قال : سمع سليمان عليه السلام أن في جزيرة  
 من جزائر البحر رجلاً يقال له «صِيدُون» ملك عظيم الشأن لم يكن لأحد من الناس  
 عليه سبيل لمكانه في البحر . وقال غيره : إن هذه الجزيرة مسيرة شهر في مثله ،  
 وفيها عجائب كثيرة وأشجار وأنهار ، وفي وسطها مجلس على عمود من مرمر ملون ،  
 والمجلس من ذهب مفصل بأنواع الجواهر يُشرف على جميع الجزيرة . وقيل :  
 إنه كان ساحراً ، فكانت الجن تطيف به وتعمل له العجائب ، فدُلَّ سليمان  
 عليها فغزاه .

(١) كذا في الكسائي . وفي الأصول : « تَمَر » .

- تَرْجِعُ إِلَى سِياقِ الثَّعلُبِيِّ قَالَ : نَخْرُجُ سُلَيْمَانَ إِلَى الْجَزِيرَةِ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ حَتَّى نَزَلَ بِهَا بِجُنُودِهِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، فَقَتَلَ مَلِكَهَا وَسَيِّ مَافِيهَا ، وَأَصَابَ فِيمَا أَصَابَ بِنْتَ الْمَلِكِ وَأَسْمُهَا «جَرَادَةُ» لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهَا حَسَنًا وَجَمَالًا ، فَأَصْطَفَاهَا سُلَيْمَانُ لِنَفْسِهِ ، وَدَعَاَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَتْ عَلَى جَفَاءٍ مِنْهَا وَقَلَّةِ ثَقَّةٍ ، وَأَحْبَبَهَا سُلَيْمَانُ حَبًّا لَمْ يَحِبَّ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ ، وَكَانَتْ مَنَزَلَتُهَا عِنْدَهُ مَنَزَلَةً عَظِيمَةً ، وَكَانَ لَا يَذْهَبُ حَزْنُهَا وَلَا تَرْقَا<sup>(١)</sup> دَمْعُهَا عَلَى أَبِيهَا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ وَقَالَ لَهَا : وَيْحَكِ ! مَا هَذَا الْحَزْنُ الَّذِي لَا يَذْهَبُ ، وَالْدَمْعُ الَّذِي لَا يَرْقَا ! . قَالَتْ : إِنِّي أَذْكَرُهُ وَأَذْكَرُ مَلِكِي وَمَا كَانَ فِيهِ وَمَا أَصَابَهُ فَيَحْزُنُنِي ذَلِكَ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَقَدْ بَدَّلَكَ اللَّهُ مُلْكًا أَعْظَمَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَسُلْطَانًا أَعْظَمَ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَهَذَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . قَالَتْ : إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ إِذَا ذَكَرْتَهُ أَصَابَنِي مَا تَرَى مِنَ الْحَزَنِ . وَلَوْ أَنَّكَ أَمَرْتَ الشَّيَاطِينَ فَصَوَّرُوا لِي صُورَتَهُ فِي دَارِي أَرَاهَا بُكَرَةً وَعَشِيَّةً لِرَجُوتُ أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يَسْكُنَ عَنِّي بَعْضُ مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي . فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الشَّيَاطِينَ أَنْ يُمَثِّلُوا صُورَةَ أَبِيهَا فِي دَارِهَا حَتَّى لَا تَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَمَثَلُوهُ لَهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى أَبِيهَا بِعَيْنِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا رُوحَ فِيهِ . فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ حِينَ صَنَعُوهُ فَأَزْرَتْهُ وَقَصَصَتْهُ وَعَمَّمَتْهُ بِمِثْلِ ثِيَابِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُ .
- ١٥ ثُمَّ كَانَتْ إِذَا خَرَجَ سُلَيْمَانُ مِنْ دَارِهَا تَعْدُو عَلَى ذَلِكَ التَّمَثَالِ هِيَ وَلَا تُدْهِأُ فَيَسْجُدُنَ لَهُ كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ ، وَتَفْعَلُ ذَلِكَ بُكَرَةً وَعَشِيَّةً وَسُلَيْمَانُ لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وَبَلَغَ ذَلِكَ آصِفَ بْنَ بَرْخِيَا ، وَكَانَ صَدِيقًا ، وَكَانَ لَا يُرَدُّ مِنْ بَابِ سُلَيْمَانَ مَتَى أَرَادَ دُخُولَهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَأَنَاهُ فَقَالَ : يَا نَجَى اللَّهِ ، كَثُرَتْ سَنَى ، وَدَقَّ عَظْمِي ، وَنَفِدَ عَمْرِي ، وَقَدْ حَانَ مِنِّي الذَّهَابُ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقُومَ مَقَامًا قَبْلَ الْمَوْتِ أَذْكَرُ فِيهِ مِنْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ بِعِلْمِي ، وَأَعْلَمُ النَّاسَ
- ٢٠

(١) لَا تَرْقَا : أَيْ لَا تَجْفُفُ وَلَا تَنْقَطِعُ .

- ما يجهلون من كثير من أمورهم، فقال : افعل . فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا، فذكر من مضي من أنبياء الله وأثنى على كل منهم بما فيه، وذكروا ما فضلهم الله به حتى انتهى إلى سليمان، فقال : ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك، ثم انصرف .
- فوجد سليمان في نفسه من ذلك . فلما دخل سليمان داره أرسل إلى آصف بن برخيا فقال : ذكرت من مضي من أنبياء الله، وأثبتت عليهم خيرا في كل زمانهم، وفي كل حال من أمورهم، فلما ذكرتني جعلت تُثني عليّ بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فماذا أحدثت في آخر أمري ؟ قال : لأن غير الله يُعبد في دارك أربعين يوما في هوى امرأة . قال سليمان : في دارى ! قال : نعم في دارك .
- فاسترجع سليمان ثم دخل داره فكسر ذلك الصنم، وخافت تلك المرأة . ثم أمر سليمان بثياب الطهر فأتى بها، وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبقار ولا تَمَسُّها امرأة ذات دم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، فأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تابئا إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد تذللًا لله تعالى وتضرعا إليه، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل ذلك دأبه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره . وكان له وليدة يقال لها «الأمينة»، فكان إذا دخل لحاجته أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمها عندها حتى يتطهر، فوضعه يوما من الأيام عندها ثم دخل لقضاء حاجته، فأتاها صخر الجنى على صورة سليمان لا يُنكر منه شيء، فقال لها : يا أمينة، خاتمي، فناولته إياد، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الجن والإنس والطير . وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغير عن حليته وهيئته عند كل من يراه . فقال : يا أمينة . قالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود . قالت : كذبت لست ساميان، وقد جاء ساميان وأخذ خاتمته وهو جالس على سريرته في ملكه،

٢١  
١٢

فعرّف سليمان أنّ خطيئته قد أدركته ، فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيَحْثُونَ عليه التراب ويسبُّونه ويقولون : أنظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان . فلما رأى سليمان ذلك عمّد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر منه إلى السوق فيعطونه كلّ يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الأخرى فيأكلها . فمكث كذلك أربعين صباحا .  
عدّة ما كان ذلك الوثن في داره .

- قال : وأنكر آصف وعظماؤ بنى إسرائيل حكم عدوّ الله الشيطان في تلك المدة .  
فقال آصف : يامعشر بنى إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان بن داود ما رأيتم ؟ قالوا نعم . قال : أمهلوني حتى أدخل على نسائه وأسألهن هل أنكرن منه في خاصّة أمره ما أنكرناه في عاقبة أمر الناس . فدخل على نسائه فقال : ويحكّن !  
هل أنكرتن من أمر نبيّ الله سليمان ما أنكرناه ؟ فقان : أشدّ وأعظم ، ما يدع امرأة ممّا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة . فقال آصف : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن هذا هو البلاء المبين . ثم خرج إلى بنى إسرائيل فقال : ما في الخاصّة أعظم ممّا في العاقبة . فلما مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه ، فأبتلعت سمكة وأخذها بعض الصيادين ، وقد عمِل له سليمان صدر يومه حتى إذا كان آخر النهار أعطاه سمكته ، فأعطى السمكة التي آبتلت الخاتم ، وحمل سليمان سمكته فباع التي ليس فيها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمّد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها ، فأستقبله الخاتم من جوفها فأخذه ، فجعله في يده ووقع ساجدا لله تعالى ، وعكفت عليه الطير والوحش والجنّ . وأقبل إليه الناس ورجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين بإحضار صخر فأدخله في صخرة عظيمة ،  
ثم شدّ عليه أخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فُقْذِف في البحر .

- هذا حديث وهب . وقال السُّدِّيُّ في سبب الفتنة : كان سليمان مائة امرأة وكانت منهن امرأة يقال لها « جَرَادَةُ » وهي آثر نسائه وآمنهنَّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجته نزع خاتمته ولم يأتمن عليه غيرها . بخاءها يوما من الأيام فقالت له : إني أحبُّ بينه وبين فلان خصوصية ، وإني أحبُّ أن تقضىَ له إذا جاءك . قال نعم ، ولم يفعل ؛ فأبتلىَ بقوله وأعطاهَا خاتمته ودخل المذهب<sup>(١)</sup> ، فخرج الشيطان في صورته فقال لها : هاتني الخاتم ، فأعطته إيَّاه ، بخاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعده فسألهَا أن تُعطيَه الخاتم فقالت : ألم تأخذه؟ قال : لا ! وخرج من مكانه . ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما ، فأنكر الناس حكمه ، فأجتمع قراء بني إسرائيل وعلماءهم بخاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان قد ذهب عقله وأنكرنا حكمه ، فأبكي النساء عند ذلك . فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرءوها ، فطار الشيطان من بين أيديهم حتى وقع على شُرْفَةِ الخاتم معه حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم في البحر فأبتلعه الحوت . فأقبل سليمان في حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صيادين وهو جائع فأستطعمهم من صيدهم وقال : إني سليمان بن داود . فقام إليه بعضهم فضربه بعصاه فشجّه . فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبه الذي ضربه وقالوا : بئسما صنعتَ حيث ضربته . فقال : إنه زعم أنه سليمان بن داود!

٢٢  
١٢

(١) المذهب : المتوضأ .

(٢) كذا في الأصول . وعبارة الثعلبي : « واجتمع قراء بني إسرائيل وعلماءهم بخاءوا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكرن فقالوا : ونحن قد أنكرنا هذا فإن كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك ، فبكي النساء عند ذلك ... الخ » .

فأعطاه سمكتين . فقام إلى ساحل البحر فشق بطونهما وجعل يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه وابسه وردّ الله تعالى عليه ملكه وبهاءه ، وجاءت الطير فعكفت عليه ، فعرفه القوم فقاموا يعتذرون إليه مما صنعوا . فقال : ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألوكم على ما كان منكم ، هذا ما كان لا بد منه . وجاء حتى أتى ملكه ، فأخذ الشيطان بفعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأفل عليه بتقل وختمه .<sup>(١)</sup> ثم أمر به فالقى في البحر ، وهو فيه كذلك إلى يوم القيامة .

قال : وفي بعض الروايات أن سليمان لما أفتن سقط الخاتم من يده ، فأخذه سليمان فأعاده إلى يده ، فسقط من يده . فلما رآه لا يثبت في يده أيقن بالفتنة . وقال آصف لسليمان : إنك مفتون بذهبك والخاتم لا يماسك أربعة عشر يوماً ، ففرّ إلى الله تعالى تائباً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرتك حتى يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك . ففرّ سليمان هارباً إلى ربه ، وأخذ آصف الخاتم ووضعها في يده فثبت . وإن الجسد الذي قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ هو آصف كاتب سليمان ، وكان عنده علم من الكتاب . فأقام آصف في ملك سليمان يسير سيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوماً ، إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى ، وردّ الله تعالى عليه ملكه ، وقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت فيها .

قال أبو إسحاق : وقيل في سبب ذلك ما روي عن سعيد بن المسيّب أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام ، فأوحى الله تعالى إليه أن يا سليمان احتجب عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوماً من ظالم . وذكر

(١) هذه عبارة الثعالبي . وفي الأصول : « وهو حي » كذلك إلى الساعة »

حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما تقدم، وقال في آخره: قال علي: فذكرت ذلك للحسن فقال: ما كان الله ليسأله على نسائه<sup>(١)</sup>.

قال وقال بعض المفسرين: كان سبب فتنة سليمان أنه أمر ألا يتزوج امرأة إلا من بنى إسرائيل، فتزوج من غيرهم فعُوقب على ذلك.

وقيل: إن سليمان لما أصاب أبنة الملك صيدون أعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبت وأمتنعت، فخوفها فقالت: إن أكرهتني على الإسلام قتلْتُ نفسي. فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوج بها وهي شركة أربعين يوما، وكانت تعبد صنما لها في خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعُوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما.

قال وقال الشعبي في سبب ذلك: إن سليمان وُلد له ولد، فأجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخره، وما لنا إلا أن نقتل ولده أو نخبله. فعلم سليمان بذلك، فأمر السحاب أن يأخذ أبنه، وأمر الريح فحملته، وغدا أبنه في السحاب خوفاً من مضرة الشيطان. فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشيطان، ومات الولد فألقى ميتاً على كرسيه، فهو الجسد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾.

(١) في نسخة التعليق المطبوعة بعد هذه العبارة ما نصه: «ونعوذ بالله أن يسلم الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة. وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح. وهذا قول أصح الأقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب إلى التقوى... الخ».



### ذكر عزم سليمان عليه السلام أن يطوف على نسائه

قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام قد أُعطيَ من القوة ما إنه يأتي على خمسمائة حرة وسبعائة سُرِّيَّة . فقال في يوم : لأطوفنَّ على ألف امرأة وأجامعهنَّ كلهنَّ ، فتحمل كل واحدة منهنَّ بغلامين فارسَيْن يركبون الخيل ويغزون البلاد ، ولم يقل إن شاء الله . وطاف عليهنَّ فلم تحمل منهنَّ غير واحدة ، حملت بنصف إنسان ، قيل : إنه الجسد الذي أُلقيَ على كرسى سليمان . والله تعالى أعلم .

والذي ثبت من هذه القصة ما رويناه من صحيح البخاري بسندنا المتقدم إليه . قال البخاري حدثنا خالد بن محمد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” قال سليمان بن داود لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل ، ولم تحمل شيئا إلا واحدا ساقطا إحدى شقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله . قال شعيب وابن أبي الزناد تسعين وهو أصح<sup>(١)</sup> .

٢٣  
١٢

### ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام

قال الكسائي: أقامت بلقيس عند سليمان سبع سنين وسبعة أشهر ثم توفيت ، فدُفِنها بمدينة تدمر من أرض الشام تحت حائط ، ولم يعلم أحد بموضع قبرها إلى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان .

(١) راجع صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٢٦ طبع بلاق سنة ١٢٩٦ هـ) .

(٢) تدمر : مدينة قديمة معناها بالعبرانية « النخيل » وكانت عامرة ذات تجارة واسعة ، وهي

واقعة بطرف بادية الشام في الشمال الشرقي من دمشق ، تمر عليها القوافل بين الشام والعراق من القرن السادس قبل الميلاد . (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية) .

قال موسى بن نصير : بُعِثَتْ في أيام الوليد إلى مدينة تَدْمُرَ ومعى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، بخاء مطر عظيم فأنهار بعض حائط المدينة ، فأنكشفت عن تابوت طوله ستون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا مَتَّخَذٍ من حجر كالزَعْفَرَانِ مكتوب عليه : « هذا تابوتُ ياقيس الصالحة أسلمت لثلاث عشرة سنة خلت من مُلْك سليمان ، وترُوج بها يوم عاشوراء سنة أربع عشرة خلت من مُلكه ، وتوفيت يوم الاثنين من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين مضت من مُلكه ، وقد دُفنت ليلا في حائط مدينة تدمر ، ولم يطاع على دفنها إنس ولا جن ولا شيطان » . قال : فرفعنا غطاء التابوت وإذا هي غضة كأنها دُفنت ليلتها . فكتبنا بذلك إلى الوليد فأمر بتركه في مكانه ، وأن يُنَى عليه بالصخر والمرمر ، ففعلنا ذلك .

### ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الكسائي : مَلِك سليمان شرق الأرض وغربها وطاف أقطارها حتى انتهى إلى السَّيِّدِ<sup>(١)</sup> الذي هو بالقرب من جبل قاف<sup>(٢)</sup> ، فوقف هناك ثم قال للريح : هل

(١) هو السَّيِّدُ الذي بناه الاسكندر ذو القرنين وهو المعروف بسَدِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ . وقد أرسل الخليفة الواثق بالله سنة ٢٣١ هـ بعثة علمية برياسة سلام الترخمان مزودة بالمال والماء ، والزاد لتأنيبه بخره وحاله . وابن خردادبه هو أول من روى خبر هذه البعثة العلمية عن نفس رئيسها ثم استملاه من الكتاب الذي كان كتبه في هذا المعنى لخليفة الواثق بالله (راجع المسالك والمعالي طبع ليدن سنة ١٣٠٦ هـ ص ١٦٢ — ١٧٠) . وعن ابن خردادبه نقل جميع المؤلفين الذين جاءوا بعده مثل الادريسي وابن رسته وابن الفقيه الهمداني والمقدسي . أما سنة إرسال هذه البعثة فقد أخذنا من ابن تفرى بردى في النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٥٩) .

(٢) كان الاعتقاد السائد قديما أن هناك جبلا واحدا محيطا بأكثر بسيط المعمور ، وليس هو كلبجر محيطا بجميع كرة الأرض ، هو جبل قاف ، ولا يعرف في الجنوب إلا بهذه التسمية ، ويعرف في الشمال بجبل قاقونا . ولهم في مبدأ هذا الجبل ومنتهاه رأى تراه مبسوطة في الجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ص ٤٧) . وقد ذكر في كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ص ٢٢) باسم « قافونيا » بالفاء في رواية و ( بالقاف ) في رواية أخرى . وسمى كذلك باسم « اصطيْفون » أو « اصطيْقون » .

- جريت هاهنا قط؟ قالت : لا يا نبي الله ، وإنه آخر الدنيا وليس وراءه إلا علم الله تعالى . ثم أمر الريح فأحتملته حتى نظر إلى التَّينِ المُحْدِقِ بالعالم ، فسار أياها على طَرَفٍ من أطرافه فإذا هو بملك ، فقال : يا بن داود إن هذا التين محيط بالعالم الذى هو مسيرة خمسمائة عام . ثم أرتفع إلى مستقر الغمام ونظر إلى مجمع القطر ، ونزل من هناك إلى مسكن الليل والنهار فإذا هو بملك يقول : اللهم أعط كل مُنْفِقٍ خَلَقًا .
- وكل ممسك ثَلَقًا . ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلى الأرض المقدسة ، وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوما . وكان في طول سفرته هذه يرى شخصا بين يديه يسبق كل شيء ، فسأله من هو ؟ فأخبره أنه ملك الموت ، ف وقعت عليه الرعدة وتغير لونه وجعل ابنه رَحْبَعَمَ خَلِيقَتَهُ ، وأوصى الناس بالسمع والطاعة له . وأخذ
- ١٠ في الصوم والصلاة طول ليله ، فإذا أصبح خرج من محرابه إلى روضة هناك فيها نبات حسن يتسلى به . فخرج في بعض الأيام فرأى نباتا غريبا لم يكن قد رآه قبل ذلك اليوم . فقال : أيها النبات ما أنت ؟ قال : أنا الخرنوب الذى لا أنبت في موضع إلا خربته . فقال سليمان : فما تصنع هاهنا فليست من نبات الرياض بل من نبات البرارى ؟ قال : قد أمرت أن أنبت هاهنا . فعاد سليمان من الغد وهو
- ١٥ على حاله وقد زاد نباته . فقال له سليمان : ألم آمرك أن تلحق بموضعك من البرارى ! . قال الخرنوب : يا نبي الله ، إن هذا الموضع سيخرب عن قريب ، فسكت سليمان . فلما ضعف عن العبادة توكأ على عصاه . فبينما هو في محرابه متوكئا قائما يتلو الزبور والتوراة إذ أتاه ملك الموت ، فرفع رأسه إليه فناولته شمة فشتمها فمات . وبقي سليمان على حاله لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال . فهابوه وما جسروا
- ٢٠ أن يتقدموا إليه . وقالوا : إنه لم يمُتْ ، ولم تزل الإنس والجن والشياطين والوحش

والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة ، ثم وقعت الأرضة في أسفل العصا ؛  
 فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ  
 تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ نخز سليمان عند ذلك كالخشب اليابسة ، وكانت الجن قبل ذلك  
 تدعى علم الغيب ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ  
 الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ <sup>(١)</sup> أى في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان  
 ٥ وغير ذلك .

وحكى أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في خبر وفاة سليمان عليه السلام :  
 قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله عليه تعمل له الجن  
 ما يشاء من محاريب وتمائيل وجنمان كالجوابي وقذور راسيات وغير ذلك ،  
 ويعذب من الشياطين من يشاء ، ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث  
 ١٠ أحب . فأتاهم إبليس وهم في العمل فقال : كيف أنتم ؟ فقالوا : ما بنا طاقة  
 لما نحن فيه . فقال لهم : تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فرأغا لا تحملون شيئا ؟  
 قالوا نعم . قال : فأنتم في راحة . فأبلغت الريح ذلك سليمان ، فأمرهم أن يحملوا  
 ذاهبين وراجعين . فقال لهم إبليس : تعملون بالليل ؟ قالوا لا . قال : فأنتم  
 ١٥ في راحة . فأبلغت الريح ذلك سليمان ، فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار . فأتاهم إبليس  
 فسألهم فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار . فقال لهم إبليس : وفعلها ؟ قالوا :  
 نعم . قال : فتوقعوا الفرج ، فقد بلغ الأمر منتهاه . فلبثوا إلا يسيرا حتى مات  
 سليمان .

- قال ابن عباس وغيره : كان سليمان يتحنّث<sup>(١)</sup> في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر، يدخله ومعه طعامه وشرابه ، فدخله في المرة التي مات فيها . قال : وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوماً يُصبح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرةٌ فيسألها سليمان ما أسمك ؟ فتقول الشجرة : أسمى كذا وكذا . فيقول : لأى شيء تصلحين ؟ فتقول : لكذا وكذا ؛ [فيأمر بها<sup>(٢)</sup> فتُقَطَّع] ، فإن كانت تنبت لغرس غرسها ، وإن كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا . فبينا هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرةً بين يديه ، فقال لها : ما أسمك ؟ فقالت : انحرنوبه . قال : ولأى شيء نبتى ؟ قالت : لخراب هذا المسجد . فقال سليمان : ما كان الله ليُخرِبَه وأنا حي ، أنت الذى على وجهك دلاكي وخراب بيت المقدس . فنزعها وغرسها في حائط له ، ثم قال : اللهم عمّ عن الجن موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب . وكانت الجن يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب وأنهم يعلمون ما فى غد .

- قال : ثم دخل سليمان الحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه ، فمات على تلك الحالة ، ولم يعلم بذلك أحدٌ من الشياطين ، وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم .

١٥

قال وقال عبد الرحمن [بن زيد]<sup>(٢)</sup> قال سليمان لملك الموت : إذا أمرت بى فأعلمنى . قال : فأناه فقال : يا سليمان قد أمرت بك وقد بقيت لك سوية . فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلى وآتكأ على عصاه ، فدخل عليه ملك الموت فقبض رُوحه وهو متكئ على عصاه .

٢٠

(١) يتحنّث : يتعبد .

(٢) زيادة بن العلى .

قال وفي رواية أخرى : أت سليمان قال ذات يوم لأصحابه : قد آتاني الله من الملك ما ترَوْن، وما مرّ عليّ يوم في ملكي بحيث صفأ لي من الكدر، وقد أحببت أن يكون لي يومٌ واحد يصفو لي إلى الليل ولا أغمّ فيه، وليكن ذلك غداً. فلما كان من الغد دخل قصره له، وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوءه، ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره وآتمكاً عليها ينظر في ممالكه، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه، عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب قصره فقال : السلام عليك يا سليمان . فقال سليمان : وعليكم السلام، كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله؟ أما منعك البواب والحجاب ! . أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذن !! فقال : أنا الذي لا يحجبني حاجب، ولا يمنعني بواب، ولا أهاب الملوكة، ولا أقبل الرشا، وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن . فقال سليمان : فمن أذن لك في دخوله؟ قال : ربه . فأرتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت . فقال له : أنت ملك الموت؟ قال نعم . قال : فيم جئت؟ قال : جئت لأقبض رُوحك . قال : يا ملك الموت، هذا يوم أردت أن يصفو لي وما أسمع فيه ما يغمي . قال له : يا سليمان، إنك أردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه، وذلك اليوم لم يُخلَق في الدنيا، فأرض بقضاء ربك فإنه لا مرّد له . قال : فأقبض كما أمرت، فقبض ملك الموت رُوحه وهو متكئ على عصاه .

٢٥  
١٢

قال الثعلبيّ قالوا : وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومُصلّاه أينما كان . وكان للحراب كوى بين يديه ومن خلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يدخل يقول : ألسْتُ جليداً إن دخلتُ فخرجت من ذلك الجانب، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر. فدخل شيطان من أولئك فمّر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان

٢٠

في المحراب إلا احترق، فتر ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع ولم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحو عنه وأخرجوه ووجدوا منسأته — وهي العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرضة<sup>(٢)</sup>، فكشوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً، فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان، فلم يلبثوا في العذاب سنة يعملون .

قال : ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب طعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سدنقل إليك الماء والطين . قال : فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ممّا تأتيها به الشياطين شكراً لها ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ وهي الأرضة ، ويقال لها القادح أيضاً ، وهي دويبة تأكل العيدان ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ أى عصاه ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّتَ الْجَنُّ ... ﴾ الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة ، ومدة ملكه أربعين سنة ، ومُلِّك يوم مَلِك وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

وقال الكسائي قال وهب : عاش سليمان ستين سنة ، منها في الملك والنبوة أربعون سنة . قال : وتفرقت الإنس والجن وغيرهم ، فتفرق بنو إسرائيل بعده

(١) الذي في كتب اللغة إن المنسأة اسم آله ، من نسأت الدابة إذا زجرتها ليزداد سيرها .

(٢) هذه الجملة لم ترد في الأصول وقد نقلناها عن الثعلبي ، وقد أورد بعدها هذه العبارة : « فلم يعلموا

منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك . وفي رواية ابن مسعود : فكشوا ... الخ » .

ثلاث فرق : فرقة كفروا واتبعوا السحرة ، وفرقة أعتزلوا وقالوا : لانطيع بعده أحدا ، وفرقة اتبعوا ابنه رَجِيع<sup>(١)</sup> .

قال الثعلبي : ملك بعد سليمان عليه السلام ابنه رَجِيع ، وكان قد استخلفه فنبأه الله تعالى ولم يكن رسولا ثم قبض ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه أَيْشَا<sup>(٢)</sup> بن رَجِيع ، وكان ملكه ثلاثا وستين سنة . ثم ابنه أَيْنا . وقال الكسائي : ملك بعد رَجِيع ابنه لاي ، وملك بعد لاي ابنه أَيْشَا بن لاي ، ثم بعث الله تعالى بعد أن قبض أَيْشَا ، شعيا وهو من ولد هارون بن عمران .

وقال الثعلبي في سياقه : لما ملك أَيْنا بن أَيْشَا ، وكان رجلا صالحا ، وكان أعرج ، وكان به عِرْق النَّسَا ، فطمعت الملوك فيه لضعفه ، وافترقت ملوك بني إسرائيل ، فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له « زرج الهندي » في جمع كثير ، فبعث الله تعالى عليهم ملائكة فهزموهم ، فقتلوا البحر حتى ركبوه جميعا ، فبعث الله تعالى عليهم الرياح والأمواج حتى ضربت سفنهم بعضها ببعض ، ففكسرت وغرق زرج ومن كان معه ، وألقت الأمواج أثقالهم وأموالهم وسلبهم إلى محلة بني إسرائيل ، ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله وكونوا فيه من الشاكرين . ثم لم يزل يغزوهم الملك بعد الملك من ملوك العراق وغيرهم ، فيهاكهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم الظلم والفساد ، وفشت فيهم المعاصي ، وعبد بعض ملوكهم الأصنام ، فكان من أمرهم ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٦١٩ من القسم الأول) وتاريخ مختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص ٥٥ طبع بيروت) وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٧٦) : « رجيعام » . وفي الأصول : « رجيع » .  
(٢) كذا في الأصول . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٨٣) : « أَيْيام » .  
(٣) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٦٣٧ من القسم الأول) . وفي القاموس المحيط : « سعيًا » بالسین المهملة والشين لغة . وفي الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٣٢٤) : « شعيا » .  
(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٦١٩ من القسم الأول) : وفي الأصول « روح » .



## الباب الثالث

## من القسم الثالث من الفن الخامس

في أخبار شعيا وإرميا عليهما السلام وخبر بختنصر وخراب بيت المقدس وعمارته وما يتصل بذلك من خبر عزير وفتنة اليهود

## ذكر قصة شعيا عليه السلام

- ٥ قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : كان الملك إذا ملك من بني إسرائيل بعث الله معه نبياً يرشده ويسدده ويكون فيما بين الناس وبين الله تعالى ، ولا يُنزل الله تعالى عليه كتاباً إنما يأمر بأحكام التوراة وينهى عن المعصية ، ويدعو الناس إلى ما تركوا من الطاعة . وكان ممن ملك منهم « صديقة » . فلما ملك بعث الله تعالى شعياً بن أمصيا<sup>(١)</sup> ، فملك ذلك الملك بن إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، ثم كثرت في بني إسرائيل الأحداث ، فبعث الله سنحاريب ملك بابل ، معه ستمائة ألف راية ، فأقبل حتى نزل حول بيت المقدس والملك إذ ذاك مريض في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعياً عليه السلام فقال للملك بن إسرائيل : إن سنحاريب ملك بابل قد أقبل ونزل بك في ستمائة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك وقال : يا نبي الله ، هل أتاك وحى فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله
- ١٠
- ١٥

٢٦  
١٢

(١) في الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٣٢٤) : « آوص » .

(٢) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٣٧) وتاريخ الطبري (ص ٦٣٨ من القسم الأول) ومختصر تاريخ الدول لابن العسبري (ص ٦٤) وورد في هامشه : أن معنى سنحاريب « القمر يكثر الإخوة » ومن هنا يؤخذ أن الأشوريين كانوا يتفاءلون بالأسماء كالعرب . فسمى هذا سنحاريب تفاعلاً بكثرة الإخوة . وفي الأصول : « سنحاريب » بالميم المعجمة وهو تحريف .

- تعالى بنا وسنحاريب ؟ قال : لم يأتني وحي . فبينما هم كذلك أوحى الله تعالى إلى شعياً أن آت ملك بنى إسرائيل فمُرهُ أن يُوصى بوصية ويستخلف على ملكه مَنْ يشاء من أهل بيته . فأتاه شعياً فقال : إنا ربك عز وجل قد أوحى إلى أن أمرك أن تُوصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت . فلما قال له شعياً ذلك أقبل صديقة الملك على القبلة فصلّى ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله عز وجل بقاب مخلص وتوكل وصبر : [ اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس ، يارحمنا يارحمهم ، يارءوف يامن لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكُرني بنيتي وفعل وحسن قضائي في بنى إسرائيل ، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به متى سرى وعلا نيتي لك <sup>(١)</sup> ] ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، وكان عبدا صالحا . فأوحى الله تعالى إلى شعياً أن أخبر صديقة أن الله استجاب له وقيل منه ورحمه وأثر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب وجنوده . فأتاه شعياً فأخبره بذلك ، فذهب عنه الجزع وخر ساجدا لله تعالى ودعا . فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعياً أن قل للملك صديقة يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحة ساقه فيشفى ويبرأ ، ففعل ذلك فشفى . وقال الملك لشعياً : سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله تعالى لشعياً : قل له إني كفيتك عدوك وأنجيتك منهم ، وإنهم سيُصبحون موتى إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه . فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملك بنى إسرائيل ، إن الله تعالى قد كفالك أمر عدوك ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فخرج الملك فالتبس سنحاريب فلم يوجد في الموتى . فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم

(١) التكلة عن الثعلبي .

- بُخْتَنَصْرُ، فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خرّ ساجداً لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟! فقال سنحاريب: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشداً ولم يلقي في الشقوة إلا قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي. فقال صديقه: الحمد لله رب العزة الذي كفناكم بما شاء. إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا. ولدمك ودم من معك أهون على الله تعالى من دم قُرادة لو قُتلت.
- ثم أمر صديقه أمير جيشه أن يقذف في رقابهم الجوامع، فطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا، وكان يرزقهم في كل يوم خبزيّين من شعير لكل رجل. فقال سنحاريب للملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا، فأفعل ما أمرت. فأمر بهم الملك إلى سجن القتل. فأوحى الله تعالى إلى شعيا: أن قل للملك بني إسرائيل: يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وأن يُكرّمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم.
- فبلغ شعياً الملك ذلك، ففعل ما أمر به، وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل.

(١) الجوامع: القيود. (٢) ورد في معجم البلدان لياقوت: أن إيليا. (بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة) اسم مدينة بيت المقدس، قيل متناه بيت الله، وحكي الحفص في القصر. وفيه لغة نالقة حذف الياء الأولى فيقال: إيليا. (يسكون اللام والمدة). قال أبو علي: وقد سمي البيت المقدس إيليا. بقول الفرزدق: وبيتان بيت الله نحن ولاته \* وقصر بأعلى إيليا. مشرف

- وسميت إيليا باسم بانيها وهو إيليا. بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. (٣) بابل: مدينة من أقدم وأكبر مدن العالم القديم، على الجانب الأيسر من نهر الفرات، بناها الكلدان، وهي مدينة الفروذ، اشتهرت في الأزمان الغابرة بالثروة والحضارة وفيها مات الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وحملت جثته إلى الاسكندرية. وهذه المدينة الآن خراب لا يوجد غير أطلالها وفي مكان أطلالها قرية الخلّة. (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك وقاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكي باشا).

فلما قدموا جمع سنحاريبُ الناس وأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له  
كُتّهانه وسحرته : قد كنا نُقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم ، فلم  
تُطعننا ، وهى أمة لا يستطيعها أحد من ربهم . وليث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين  
ومات . وأستخلف بختنصر ابنُ أبْنه على ما كان عليه جده ، فعمل بعمله وقضى  
بقضائه ، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى صديقه ملك بنى إسرائيل ، فخرج<sup>(١)</sup>  
أمر بنى إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ، ونبيهم شعيا معهم لا يرجعون  
إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك أوحى الله تعالى إلى شعيا : أن قم فى قومك  
أوج على لسانك . فلما قام أوحى الله تعالى على لسانه وأنطقه بالوحى فقال : يا سماء  
أسمعى ، ويا أرض أنصتى ؛ فإن الله يريد أن يقص شأن بنى إسرائيل الذين رباهم  
بنعمته ، وأصطنعهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وأستقبلهم  
بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها ؛ فأوى شاردها ، وجمع ضالها ،  
وجبر كسيرها ، ودأوى مريضها ، وأسنن مهزولها ، وحفظ سمينها . فلما فعل ذلك بها  
تناطحت بكاشها فقتل بعضها بعضا ، حتى لم يبق منهم عظم صحيح يُجبر إليه آخر كبير .  
فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون ما جاءهم من الخير . إن البعير مما  
يذكر وطنه فيأتيه ، وإن الحمار مما يذكر الآرى<sup>(٢)</sup> الذى يشبع عليه فيراجعه ، وإن  
الثور مما يذكر المرج<sup>(٣)</sup> الذى يسمن فيه فينتابه ، وإن هؤلاء القوم لا يدرون من<sup>(٤)</sup>  
أين جاءهم الخير وهم أولو الألباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير ، وإنى ضارب لهم  
مثلا فليسمعوه .

٢٧  
١٢

(١) مرج الأمر : فسد وأختلط واضطرب . وفى الأصول : « نخرج » وهو تحريف .

(٢) الآرى : محبس الدابة . (٣) المرج : الموضع الذى ترعى فيه الدواب .

(٤) فى الأصول : « من حيث » .

- قل لهم : كيف ترون في أرض كانت جزأ زماناً حرباً مواناً لا عُمران فيها،  
 وكان لها رب حكيم قوياً، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه، فأحاط عليها  
 جداراً وشيد فيها قصرًا وأنبت فيها نهراً، وصفف فيها غراساً من الزيتون والرمان  
 والنخيل والأعناب والأوان الثمار كلها، وولى ذلك وأستحفظه ذا رأى وهمّة حفيظاً  
 قوياً أميناً، فانتظرها، فلما أطلعت جاء طلوعها خروبا ؟ ! . قالوا : بنست الأرض  
 هذه ! نرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدمر نهريها ويقتبض قيمها ويحرق غرسها  
 حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواناً لا عُمران فيها . قال الله عز وجل لهم : إن  
 الجدار ذمتي، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبيي، وإن الغراس  
 هم، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وإني قضيت عليهم قضاءهم  
 على أنفسهم، فإنه مثل ضرب به الله لهم . يتقربون إلى بذبح البقر والغنم، وليس ينالني  
 اللحم ولا آكله . ويدعون أنهم يتقربون إلى التقوى والكف عن ذبح الأنفس التي  
 حرّمها، فأيديهم مخصوبة منها، وثيابهم مرملة بدماؤها، يشيّدون لى البيوت مساجد  
 ويظهرون أجوافها، ويتجسسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها . فأى حاجة لى إلى  
 تشييد البيوت ولست أسكنها ! وأى حاجة لى إلى تزويق المساجد ولست أدخلها !  
 إنما أمرت برفعها لأذكر فيها ولأسبّح، ولتكون مصلّى لمن أراد أن يصلى فيها .  
 يقولون : لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها، ولو كان الله يقدر على أن يفقه  
 قلوبنا لأفقهها، فأعمد إلى عودين يابسين ثم آئت بهما ناديم في أجمع ما يكونون،  
 فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تكونا عوداً واحداً . فلما قال لهما ذلك أخطا  
 فصارا واحداً . فقال الله تعالى [قل] لهم : إني قد قدرت على أن أفقه العودين اليابسين،

(١) الجزر : الأرض التي قطع نباتها . (٢) مرملة : منطاحة .

وعلى أن أُؤلف بينهما ، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألقمهم إن شئت ! أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صوّرتُها ! . يقولون : صُمنا فلم يُرفع صيامنا ، وصلينا فلم تُنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تترك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، فى كل ذلك لا يُسمع ولا يُستجاب لنا . قال الله تعالى : فسألهم : ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ! ألسنتُ أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المحبين ، وأرحم الراحمين ! الآن ذات يدي قلت ! وكيف ويدى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء ، ومفاتيح الخزان عندى لا يفتحها غيرى ! . أولأن رحمتى ضاقت ! فكيف ورحمتى وسعت كل شئ ، إنما يترحم المترحمون بفضلها ! . أولأن البخل يعترينى ! أولست أكرم الأكرمين . والنفاق بالخير أجد من أعطى وأكرم من سئل ! . لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى تُورث فى قلوبهم [النور] فنبذوها وأشتروا بها الدنيا ، إذا لأبصروا من حيث أتوا ، وإذا لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم . فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ! وكيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربى وينتهك محارمى ! أم كيف تركو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ! إنما أجر عليها أهلها المغصوبين . أم كيف أستجيب لهم دعاءهم ، وإنما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد ! . إنما أستجيب للداعى البرّ ، وإنما أسمع قول المستعفف المستكين . وإن من علامة رضائى رضا المساكين . فلورحوا المساكين ، وقربوا الضعفاء ، وأنصفوا المظلوم ، ونصروا المغصوب ، وعدلوا للغائب ، وأدوا إلى اليتيم والأرملة والمسكين وكل ذى حق حقه ، ثم لو كان ينبغى لى أن أكلم البشر إذا تكلمتهم ؛ وإذا لكنت نور أبصارهم ، وسمع آذانهم ، ومعقول قلوبهم ؛ وإذا لدعمت أركانهم فكنت قوة أيديهم وأرجلهم ؛ وإذا لثبّت ألسنتهم وعقولهم .

(١) زيادة عن الثعلبى .

- يقولون لمَّا سَمِعُوا كَلَامِي وَبَلَغْتُهُمْ رِسَالَاتِي إِنَّمَا أَقَاوِيلُ مَنقُولَةٌ، وَأَحَادِيثُ مَتَوَارَثَةٌ،  
وَتَأْلِيفٌ مِمَّا يُؤَلَّفُ السَّحَرَةُ وَالْكَهَنَةُ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَوْ شَاءُوا أَنْ يَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ فَعَلُوا،  
وَأَنْ يَطْلَعُوا عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ لَا طَلَعُوا، وَكُلُّهُمْ يَسْتَخْفِي بِالَّذِي  
يَقُولُ وَيُسِرُّهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا يُبْدُونَ  
وَمَا يَكْتُمُونَ. وَإِنِّي قَدْ قَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ قَضَاءً أَثْبَتُهُ عَلَى نَفْسِي  
وَجَعَلْتُ دُونَهُ أَجَلاً مُؤَجَّلاً لَا بَدَّ لَهُ أَنَّهُ وَاقِعٌ، فَإِنْ صَدَقُوا فِيمَا يَنْتَحِلُونَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ  
فَلْيُخْبِرُواكَ مَتَى أَنْفَذَهُ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ يَكُونُ. وَإِنْ كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَأْتُوا  
بِمَا يَشَاءُونَ فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُدْرَةِ الَّتِي بِهَا أَقْضَى؛ فَإِنِّي مُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُشْرِكُونَ. وَإِنْ كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُؤَلَّفُوا مَا يَشَاءُونَ فَلْيُؤَلَّفُوا مِثْلَ الْحِكْمَةِ الَّتِي  
أَدَّبْتُ بِهَا أَمْرَ ذَلِكَ الْقَضَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. فَإِنِّي قَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ أَنْ أَجْعَلَ النُّبُوَّةَ فِي الْأَجْرَاءِ<sup>(١)</sup>، وَأَجْعَلَ الْمُلْكَ فِي الرِّعَاءِ، وَالْعِزَّ فِي الْأَذْلَاءِ،  
وَالْقِسْوَةَ فِي الضُّعَفَاءِ، وَالْغِنَى فِي الْفُقَرَاءِ، وَالثَّرْوَةَ فِي الْأَفْقَاءِ، وَالْمَدَائِنَ فِي الْفَلَوَاتِ،  
وَالْأَجَامَ فِي الْمَفَاوِزِ<sup>(٢)</sup>، وَالتَّرَى فِي الْغَيْطَانِ، وَالْعِلْمَ فِي الْجَهْلَةِ، وَالْحُسْكَمَ فِي الْأُمِّيِّينَ.  
فَسَلِّهِمْ مَتَى هَذَا وَمَنْ الْقِيَمَ بِهِ وَعَلَى يَدَيَّ مَنْ أُسْبِيهِ، وَمَنْ أَعْوَانُ هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْصَارُهُ.  
وَإِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ فَإِنِّي بَاعْتُ لَذَلِكَ نَبِيًّا أُمِّيًّا لَا أَعْمَى مِنَ الْعُمَيَّانِ وَلَا ضَالًّا مِنَ  
الضَّالِّينَ، لَيْسَ بَفُظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَحَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا مَتَرِّينَ بِالْفُجْجِشِ،  
وَلَا قَوَالٍ لِلْفَنَاءِ، أَسَدَّهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُّ لَهُ كُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلَ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ،  
وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصَّدَقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ  
وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَتَهُ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، أَحْمَدُ  
أَسْمُهُ، أَهْدَى بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَأَعْلَمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهْلَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ، وَأَشْهَرُ

(١) الأجراء : جمع أجير وهو من سلم نفسه بعبود.

(٢) الأجام : جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف.

به بعد النِّكَرَةِ ، وأَكْثَرُ به بعد القِلَّةِ ، وأَغْنَى به بعد العَيْلَةِ ، وأَجْمَعُ به بعد الفَرْقَةِ ؛  
وأَوَّلَفُ به قلوباً مختلفةً ، وأَهْوَأَ مُتَشَتَّةً ، وأَمَّمَ متفرقةً ، وأَجْعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ  
أَخْرَجَتْ للنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، إِيمَانًا بِي ، وتَوْحِيدًا لِي ،  
وَإِخْلَاصًا بِي ، يُصَلُّونَ قِيَامًا وَقُعُودًا ، وَرُكْعًا وَسُجُودًا ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صَفُوفًا  
وَزُحُوفًا ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ آتِبْغَاءَ رِضْوَانِي [أَلُوفًا] . أَلْهِمُهُمُ التَّكْبِيرَ  
وَالتَّوْحِيدَ ، وَالتَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ ، فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَسِيرِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ ؛  
يَكْبُرُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَقْدِّسُونَ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْرَافِ ، وَيُطَهِّرُونَ لِي الْوُجُوهَ  
وَالْأَطْرَافَ ، وَيَعْقِدُونَ الثِّيَابَ إِلَى الْأَنْصَافِ ؛ قُرْبَانِهِمْ دِمَائِهِمْ ، وَأَنَا جِيْلُهُمْ صُدُورُهُمْ ؛  
رُهْبَانُ اللَّيْلِ ، لِيُوثَّ النَّهَارُ . ذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .  
قال : فَلَمَّا فَرِغَ نَبِيُّهُمْ شَعْيًا مِنْ مَقَاتِلِهِ عَدُّوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ فَهَرَبَ مِنْهُمْ فَأَنْفَلَقَتْ لَهُ  
شَجَرَةٌ فَدَخَلَ فِيهَا ، فَأَدْرَكَهُ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَ بِهَيْدَبَةٍ مِنْ ثَوْبِهِ فَأَرَاهُمْ إِيَّاهَا ، فَوَضَعُوا  
الْمَنْشَارَ فِي وَسْطِهَا فَنَشَرُوهَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَقَطَعُوهُ فِي وَسْطِهَا .

### ذكر قصة إرميا عليه السلام

قال أبو إسحاق التلعليّ رحمه الله : اسْتَخْلَفَ اللهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ  
بَعْدَ قَتْلِهِمْ شَعْيًا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ « نَاشِيَةُ بْنُ أَمْوَسَ » ، وَبَعَثَ  
لَهُمُ الْخَضِرَ نَبِيًّا . قَالَ : وَأَسْمُ الْخَضِرِ إِرْمِيَا بْنُ حَلَقِيَّ ، وَكَانَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ  
ابْنِ عِمْرَانَ . قَالَ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ لِأَنَّهُ جَاسٍ عَلَى قُرُوءٍ بَيْضَاءَ فقام عنها وهي  
تَهْتَرُ خَضِرَاءَ . فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِرْمِيَا حِينَ بَعَثَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : يَا إِرْمِيَا ،  
مَنْ قَبْلَ أَنْ خَلَقْتُكَ أَخَذْتُكَ ، وَمَنْ قَبْلَ أَنْ أَصُورَكَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ قَدَسْتُكَ ، وَمَنْ

(١) هذه الكلمة ليست في التلعلي ، وتعدية الإخلاص هنا بالباء لا ترضاه اللغة .

(٢) زيادة عن التلعلي . (٣) في التلعلي المطبوعة : « ترهر » .



- قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السَّعَى نبأتك ، ولا مِرٍ  
عظيم أجبتك ، فذكر قومك نِعَمِي ، وعرفهم أحداثهم ، وأدعهم إلى . وكانت  
الأحداث قد عظمت في بني إسرائيل فركبوا المعاصي واستحلوا المحارم . فقال  
إرميا : إني ضعيف إن لم تُقَوِّنِي ، عاجز إن لم تنصُرني . فقال الله عز وجل :  
أنا ألهمك . فقام إرميا فيهم ولم يدر ما يقول ، فألهمه الله عز وجل خطبة  
طويلة بليغة ، بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية ، وقال في آخرها : وإني  
أحلف بعزتي لأقيضن لهم فِتْنَةً يتخوَّرون فيها الحكيم ، ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا قلبه ،  
ألبيه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة ، يتبعه عددٌ مثل سواد الليل المظلم . ثم أوحى  
الله تعالى إلى إرميا : إني مهلك بني إسرائيل بياقت ، وياقت أهل بابل ، وهم من ولد  
ياقت بن نوح . فلما سمع ذلك إرميا صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه .  
فلما سمع الله عز وجل تضرعه وبكائه ناداه : يا إرميا ، أشق عليك ما أوحيت  
إليك ؟ قال : نعم يارب ، أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به .  
فقال الله عز وجل : وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك  
من قبلك . ففرح بذلك إرميا وطابت نفسه وقال : لا والذي بعث موسى بالحق  
لا أرضى بهلاك بني إسرائيل . ثم أتى الملك فأخبره بذلك ، وكان ملكا صالحا ،  
ففرح واستبشر وقال : إن يعدبنا ربنا بذنوب كثيرة ، وإن عفا عنا فبرحمته .  
ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشر ، وذلك  
حين اقترَبَ هلاكهم ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا ، فسلط الله عليهم بُحْتَنَصْرَ  
نخرج في ستمائة ألف راية يريد بيت المقدس . فلما فصل سائرا أتى الخبر الملك<sup>(١)</sup>  
فقال لإرميا : أين ما زعمت أن الله أوحى إليك ؟ فقال إرميا : إن الله عز وجل

(١) فصل فلان من البلد : خرج منه .

- لا يُخْلِفُ الميعاد وأنا به واثق . فلما قَرُبَ الأجل وعزم الله عز وجل على هلاكهم بعث الله تعالى إلى إرميا مَـكَا فتمثل له رجلا من بني إسرائيل فقال له : يا نبي الله ، أَسْتَفْتِيكَ في أهل رَحِي ، وصلتُ أرحامهم ولم آتِ إليهم إلا حُسْنًا ، ولا يزيد إكرامِي إليهم إلا إسْخاطًا لي ، فأفْتِنِي فيهم . فقال له : أَحْسِنُ فيما بينك وبين الله وصالهم وأبشُرْ بخير . فأنصرف الملك فمكث أيامًا ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : أوما ظَهَرْتَ أخلاقهم لك بعد ؟ فقال : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامةً يأتيها أحدٌ من الناس إلى أهل رَحِي إلا قَدَّمْتُها إليهم وأفضَل . فقال له إرميا : ارجعْ إلى أهلِكَ وأحسِنْ إليهم ، وأسألِ الله تعالى الذي أصلح عباده الصالحين أن يُصَلِّحَهُمْ . فقام الملك فمكث أيامًا وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ، ففرع منهم بنو إسرائيل وشق عليهم . فقال ملكهم لإرميا : يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ قال : إني بربٍّ واثق . ثم أقبل الملك إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس وهو يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده ، فقعد بين يديه وقال له : أنا الذي أتيتُكَ في شأن أهلي مرتين . فقال إرميا : ألم يَأْنِ لَهُمْ أَنْ يُفَيِّقُوا من الذي هم فيه ؟ فقال الملك : يا نبي الله ، كل شيء يُصِيبُنِي منهم قَبْلَ اليوم كنتُ أصبر عليه ، فاليوم رأيتُهم في عمل لا يُرضي الله عز وجل . فقال إرميا : على أيِّ عمل رأيتُهم ؟ قال : على عمل عظيم من سُخْطِ الله ، فغَضِبْتُ لله ولك وأتيتُكَ لأخبرَكَ . وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا مادعوتُ الله عليهم ليُهْلِكَهُمْ . قال إرميا : يا مَلِكَ السموات والأرض إن كانوا على حقٍّ وصوابٍ فأبقهم ، وإن كانوا على سُخْطِكَ وعَمَلٍ لا ترضاه فأهْلِكْهم . فلما خرجتِ الكلمة من فم إرميا أرسل الله عز وجل صاعقةً من السماء في بيت المقدس فالتهبَ مكانُ القُرْبانِ وخُسِفَ بسبعة أبواب من أبوابها .

- فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ونَبَذَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : يَا مَلِكِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَيْنَ مِيعَادُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ! فَنُودِيَ : لَئِنْ لَمْ يُصِبْهُمْ الَّذِي أَصَابَهُمْ  
إِلَّا بِفُتْيَاكَ وَدَعَاكَ . فَاسْتَقْنِ إِرْمِيَا أَنَّهُا فُتْيَاهُ ، وَأَنْ ذَلِكَ السَّائِلُ كَانَ رَسُولَ رَبِّهِ .  
فَطَارَ إِرْمِيَا حَتَّى خَالَطَ الْوَحُوشَ . وَدَخَلَ بِخَتْنَصْرٍ وَجَنُودِهِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَوِطِئَ الشَّامَ  
وَقَتَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَفْنَاهُمْ وَخَرَّبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ جُنُودَهُ أَنْ يَمْلَأُوا كُلَّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ تُرْسَهُ تَرَابًا ثُمَّ يَقْدِفُهُ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَقَذَفُوا فِيهِ التُّرَابَ حَتَّى مَلَأُوهُ ؛  
ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعُوا مَنْ كَانَ فِي بِلْدَانِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ كُلِّهِمْ ، بِخَمْعُوا عِنْدَهُ كُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ  
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَخْتَارَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ صَبِيٍّ ، وَقِيلَ سَبْعِينَ أَلْفَ صَبِيٍّ . فَلَمَّا خَرَجَتْ  
غَنَائِمُ جُنْدِهِ لِنُقُصَمَ قَالَ لَهُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَكَ غَنَائِمُهَا كُلُّهَا ، فَأَقْسِمُ  
بَيْنَنَا هَؤُلَاءِ الصَّبَّيَّانِ الَّذِينَ أَخَذْتَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ  
مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ غِلْمَةٍ . وَكَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الْعُلَمَاءُ دَانِيَالُ وَحَنَانِيَا وَعِزْرَارِيَا وَمِيشَائِيلُ ،  
وَسَبْعَةُ أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاحِدَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ سِبْطِ يَوْسُفَ  
ابْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَخِيهِ بَنِيَامِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَثَمَانِيَةَ أَلْفٍ مِنْ سِبْطِ أَشْرَسَ بْنِ يَعْقُوبَ ،  
وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ سِبْطِ رِيَالُونَ بْنِ يَعْقُوبَ وَنَفْتَالِي بْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَرْبَعَةَ أَلْفٍ  
مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَرْبَعَةَ أَلْفٍ مِنْ سِبْطِ رُوبِيْلَ وَلَاوِيَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ ،  
وَمَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

$$\frac{30}{12}$$

- (١) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ٢ ص ٦٢٥) : « حَنَانِيَا ... وَعِزْرَارِيَا » . وَرَاجِعْ مَا كَتَبَهُ  
عَنْهُمُ الدُّكْتُورُ جُورْجُ بُوْسْتُ فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ .  
(٢) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٠) : « أَشِير » .  
(٣) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٠) : « زَبُولُون » .  
(٤) كَذَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٨٦) . وَوَرَدَ فِي الْأَصُولِ بِحُرُوفٍ مُهِمْلَةٍ .  
(٥) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٠) : « رَاوِيَيْن » .

قال : وجعل يُخْتَنَصِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فُتِلُّنَا أَفْتَرُ بِالشَّامِ ، وَتِلُّنَا سَبَى ، وَتِلُّنَا قَتَلَ . وَذَهَبَ بَأْنِيَّةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَسَلَبَ حُلِيِّهِ حَتَّى أَقْدَمَ ذَلِكَ بِإِيلَ ، فَكَانَ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفًا وَمِائَةً أَلْفٍ عَجَلَةً مِنْ حُلِيٍّ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقٌ كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ يَعْنِي بِخُتْنَصِرَ وَأَصْحَابِهِ ﴿ بَخَّاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَقْعُولًا ﴾ <sup>(١)</sup> فَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ الْأُولَى الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِاخْتِلَافِهِمْ وَظُلْمِهِمْ . وَلَنُصَلِّ هَذَا الْفَصْلَ بِخَبَرِ بَخْتَنَصِرَ .

### ذكر خبر بختنصر وأبداء أمره وكيف ملك

يُقَالُ فِي اسْمِهِ : بَخْتَنَصِرَ ( بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَإِسْكَانِهَا ) وَيُقَالُ فِيهِ : بِخُتْنَاصِرَ . <sup>(٢)</sup>  
 ١٠ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهُ مَلَكُ الدُّنْيَا أَجْمَعِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَلَكُ بَابِلَ وَمَا أَفْتَحْتَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا كَانَ مَرْزُبَانًا لِلْهَرَّاسِفِ الْفَارِسِيِّ . وَقَالَ قَوْمٌ : كَانَ أَصْلُهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ مِنَ الْفُقَرَاءِ . وَسَنَدُ كَرِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا نَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ... ﴾ الْآيَاتِ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْرَأُ التَّوْرَةَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ « بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ » بَكَى وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ أَطْبَقَ الْمَصْحَفَ وَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أَرْنِي هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي جَعَلْتَ هَلَاكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيْهِ ؟ فَأَرَى

(١) الَّذِي فِي الثَّعْلَبِيِّ : « يَجْعَلُ بِخُتْنَصِرَ سَبَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ آيَةُ ٤٤ هـ

(٣) وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : « نَبُوخَذَنْصَرُ » وَ « نَبُوكَدَنْصَرُ » . ( رَاجِعْ تَارِيخَ الْمَشْرِقِ لِمَاسِيَوِ ص ١١٣ وَالْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ ج ١ ص ٦٤٩ ) .

- في المنام مسكين<sup>١</sup> بابل يقال له بختنصر<sup>٢</sup>، فأنطلق بمال وأعبد له وكان رجلا مؤسرا . ففيل له : أين تريد؟ قال : أريد التجارة . فسار حتى نزل بابل ، فنزل دارا فأكثرها ، ليس فيها أحد غيري ، فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحد إلا أعطاه . فقال : هل بقي مسكين غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكين<sup>٣</sup> بفتح آل فلان مريض يقال له بختنصر . فقال لعلته : أنطلقوا بنا ، فأنطلق حتى أتاه فقال له : ما أسأتك ؟ قال بختنصر . فقال لعلته : أحملوه ، فنقله إليه ففرضه حتى برئ ، فكساه وأعطاه نفقة ، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر . فقال له الإسرائيلي : ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئا أجزيك به . قال : بلى ، شيئا يسيرا . فقال له : وما هو ؟ قال : إن ملكت أضعتي . فجعل يتبعه ويقول : تستهزئ بي ! ولا يمنعني من أن يعطيه ما سأله .<sup>١٠</sup> إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمت ما يمنعك مما سألتك إلا أن الله تعالى يريد أن ينفذ ما قد أمضى وكتب في كتابه .

- قال : وضرب الدهر ضربانه فقال صيحون وهو ملك فارس ببابل : لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام ؟ قالوا : وما ضرك لو فعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان . فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فارس ، وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج إلا لياكل<sup>١٥</sup> من مطبخه [ ويعيش منه <sup>(٣)</sup> ] . فلمّا قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر خلق الله فرسانا ورجالا ، فكسر ذلك في ذرعه فلم يسأل . فجعل بختنصر يجلس في مجالس

(١) ضربان الدهر : حدثانه .

(٢) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٦٥٦ من القسم الأول) . وفي تاريخ الطبري أيضا

(ص ٦٥٧ من القسم الأول) : « صيحاتين » . وفي الأصول في بعض المواضع : « صحائين » .<sup>٢٠</sup>

(٣) زيادة عن الثعلبي .

- أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ! فلو غزوتموها فما دون بيت ما لها شيء . قالوا : لا نحسن القتال ولا نقاتل ، حتى انتفد مجالس أهل الشام . ثم رجع أمير الطليعة فأخبر الملك بما رأى . وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان . فرفع ذلك إلى الملك فدعاه ، فقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله كراءاً<sup>(١)</sup> ورجالاً كسر ذلك في ذرعه ولم يسألهم عن شيء ، وإنما لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهلهم فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا . فقال صاحب الطليعة لبختنصر : بصحبتك لك مائة ألف دينار وتزرع عما قلت . قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعته . فضرب الدهر ضرباً نه فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجدوا مساعاً ساعوا وإلا استلبوا ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرك لو فعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان . قال : بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني . فدعا بختنصر وأرسله وأنتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا بغاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يجرّبوا ولم يقتلوا . ومات صيحوون الملك ، فقالوا : استخلفوا رجلاً . فقالوا : على رسلكم حتى يأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم . فأمهلوا<sup>(٢)</sup> [وأخروا ذلك] حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه ، فقسّم ذلك في الناس . فقالوا : ما رأينا أحداً أحقّ بالملك من هذا فملكوه .
- قال : وقال السديّ بإسناده : إن رجلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر ، وكانوا يصدّقون فتصدّق رؤياهم . فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو محتطب . فلما جاء وعلى رأسه الحطب ألقى الحزمة ثم قعد في جانب

(١) زيادة عن التعليق .

(٢) أكثر الأرض : أطرافها القاصية .

- من البيت ، فكلّمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال : اشتري هذه طعاما وشرابا ، فاشترى بدرهم لحما ، وبدرهم خبزا ، وبدرهم نحرما ، فأكلوا وشرّبوا ، حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به كذلك ؛ وفي اليوم الثالث كذلك . ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أمانا إن أنت ملّكت يوما من الدهر . قال : تسخر مني ؟ قال : إني لا أسخر منك ، ولكن ما عليك أن تتخذها عندي يدا ! فكلّمته أمه فقالت : ما عليك إن كان ، وإلا لم ينقصك شيئا ، فكتب له أمانا . فقال له : أرأيت إن جاءت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فأجعل لي آية تعرفني بها . قال : ترفع صيفتك على قصبة فأعيرك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بني إسرائيل كان بكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويُدنى مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه ، وإنه هوى أن يتزوج بنت أمرأته .
- ١٠ — قال وقيل : كانت بنت أخيه ، قال الثعلبي : وهو الأصح <sup>(١)</sup> إن شاء الله — فسأله عن ذلك ، فنراه عن نكاحها وقال : إن أرضاها لك . فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى عليه السلام حين نهاه أن يتزوج بنتها ، فعمدت أُم الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رفاقا حمراء وطبّبتها وألبستها من الحلى ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض إليه ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاه ذلك سألته أن يُؤتي برأس يحيى بن زكريا في طسيت ، ففعلت . فلما أخذ منه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تُعطيني ما أسألك . قال : ما تسأليني ؟ قالت : أسألك

(١) ذكر الثعلبي تأييدا لصحة قوله مانصه : « لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الخواريين يعلون الناس . فكان مما نهوهم عنه

٢٠ نكاح بنت الأخ . قال : وكانت للملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن ينكحها وكانت لها في كل يوم حاجة

يقضيها ، فسأل يحيى بن زكريا عن ذلك فنراه عن نكاحها ... الخ » .

- أن تبعث إلى يحيى بن زكريا فُتَوِّى برأسه في طَسِيت . فقال : وَيَحْيَا ! سَائِنِي  
غير هذا . قالت : ما أريد إلا هذا . فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه ، والرأس  
يتكلم حتى وُضِعَ بين يديه وهو يقول : لَا يَحِلُّ لَكَ . فلما أصبح إذا دُمُهُ يَغْلِي ، فأمر  
بترابٍ فَأُلْقِيَ عليه ، فَرَقِيَ الدَّمُ فوق التراب يَغْلِي ، فَأُلْقِيَ عليه أيضا فارتفع الدَّمُ فوقه ،  
فلم يزل يُلْقَى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يَغْلِي . فبلغ صَيِّحُونَ  
ملك بابل ذلك فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشا [ ويؤمر عليهم رجلا ] .  
فأتاه بختنصر فكلّمه وقال : إِنْ الذِي كُنْتَ أَرْسَلْتَ تِلْكَ الْمَرْءَ ضَعِيفٌ ، وَإِنِّي قَدْ  
دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ وَسَمِعْتُ كَلَامَ أَهْلِهَا [ فَأَبْعَثْنِي ] فبعثه . فسار بختنصر ، حتى إذا بلغوا ذلك  
المكان تحصنوا منه في مدائنهم فلم يُطْفِئْهُمْ . فلما اشتد عليه المُقَامُ وجاع أصحابه  
وأرادوا الرجوع خرجت امرأةٌ عجوزٌ من عجائز بني إسرائيل فقالت : أَيْنَ أَمِيرُ الْجُنْدِ ؟  
فَأُتِيَ بِهَا إِلَيْهِ . فقالت : إِنَّهُ بَلَعَنِي أَنْكَ تَرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ بِجُنْدِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ هَذِهِ  
الْمَدِينَةَ . قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ طَالَ مُقَامِي وَجَاعُ أَصْحَابِي ، فَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ الْمُقَامَ فَوْقَ  
الَّذِي كَانَ مِنِّي . فقالت : أَرَأَيْتَكَ إِنْ فُتِحَتْ لَكَ الْمَدِينَةُ أُتْعِطْنِي مَا أَسْأَلُكَ ،  
فَتَقْتُلَ مَنْ أَمْرُكَ بِقَتْلِهِ ، وَتَكْفَى إِذَا أَمْرُكَ أَنْ تَكْفَى ؟ فَقَالَ لَهَا نَعَمْ . قالت :  
إِذَا أَصْبَحْتَ فَأَقْسِمُ جَنْدَكَ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ ، ثُمَّ أَجْعَلْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ رُبْعًا ، ثُمَّ أَرْفَعُوا  
أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَنَادُوا : إِنَّا نَسْتَفْتِحُكَ يَا اللَّهُ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، فَإِنَّمَا سَوْفَ  
تَسَاقُطُ ، ففعلوا ؛ فَتَسَاقَطَتِ الْمَدِينَةُ فدخلوا من جوانبها . فقالت : كُفَّ يَدُكَ وَأَقْتُلْ  
عَلَى هَذَا الدَّمِ حَتَّى يَسْكُنَ ، وَأَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهُوَ عَلَى تَرَابٍ كَثِيرٍ ،  
فَقَتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكَنَ ، فَقَتَلَ سَبْعِينَ أَلْفًا . فلما سكن الدم قالت له : كُفَّ يَدُكَ  
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قُتِلَ نَبِيٌّ لَمْ يَرْضَ حَتَّى يُقْتَلَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَنْ رَضِيَ قَتْلَهُ . وَأَتَاهُ



صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس وأمر أن تُطرح الحيف فيه ، وقال : مَنْ طَرَحَ فِيهِ جِيْفَةً فَلَهُ جِزْيَتُهُ تِلْكَ السَّنَةِ . قال : وأعاناه الروم على خرابه من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا .

قال : فلمّا خرّبه بختنصر ذهب معه بوجوه بنى إسرائيل وسرّاتهم وذهب بدانيال وقويم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت الملك ، فلمّا قَدِمَ وجد صيْحون مَلِكَ بَابِلَ قد مات مُلْكُ مكانه .

### ذكر خبر بختنصر مع دانيال

- قال : ولما سار بختنصر إلى بابل ومُلك بعد موت الملك كان معه دانيال ، وكان أكرم الناس عليه هو وأصحابه ، فحسداهم المجوس على ذلك ، فوشّوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل ، إن لنا رباً نعبدُه ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم . فأمر أن يُخَدَّ لهم أُخْدُودٌ<sup>(١)</sup> نُخَدُّ لهم وألقوا فيه وهم ستّة ، وألقى معهم سبع<sup>سبع</sup> ضارٍ لياكلهم ، ثم قال : اذهبوا بنا لنأكل ونشرب ، فذهبوا فاكلوا وشربوا ، ثم عادوا فوجدوهم سبعة والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يَخْدِشْ منهم أحداً . فقالوا : ما بال هذا السابِعِ إنما كانوا ستّة ! فخرج السابِعِ<sup>(٢)</sup> إلى بختنصر ، وكان ملكاً من الملائكة ، فلطمه لطمَةً فصار من الوحش [ومسخه الله] سبع سنين ، [ثم رده الله إلى صورته وردّ عليه ملكه] . هذا ما حكاه السديّ .
- وروى الثعلبيّ بسنده إلى وهب قال : لمّا سار بختنصر إلى بابل ومُلك بعد موت ملكها وأسْتَبَّ أمرُه لِبَيْتٍ على ذلك مدّة ، ثم رأى رؤيا عجيبية فأفرغته وسأل عنها الكهنة والسحرة فعجزوا عن تعبيرها . فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن
- (١) يَخْدُ : يَحْمَرُ . والأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض . (٢) زيادة عن الثعلبيّ .

- مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمنه . فقال له دانيال : إنك قد أحسنت إلى ، وإن صاحبكم قد رأى رؤيا ، فدلّه على - لأعبرها له .
- بهاء السجان فأخبر بختنصر بقصة دانيال ، فاستدعاه بفاء إليه . وكان من عادة من حضر بين يدي الملك أن يسجد له ، فلما أتوا بدانيال قام بين يديه ولم يسجد له . فقال : ما الذى منعك من السجود؟ فقال : إن لى رباً آتاني العلم والحكمة وأمرنى ألا أسجد لغيره ، نخشيتُ إن سجدتُ لغيره أن يترع منى الحكمة والعلم ويهلكنى . فأعجب به وقال : نعم ما فعلت حيث وقّيت بعهدى ، وأجلات دلمه ؛ ثم قال : هل عندك علم هذه الرؤيا ؟ قال : نعم وأبشر ، فأخبره برؤياه قبل أن يخبره الملك بها ، وعبرها له . قال النعلبيّ : وكانت الرؤيا على ما أخبرنا به عبد الله بن حامد فى إسناده عن وهب بن منبه قال : إن بختنصر رأى فى آخر زمانه صنماً رأسه من ذهب ، وصدره من فضة ، وبطنه من نحاس ، ونخذه من حديد ، وساقاه من فخّار ، ثم رأى حجراً من السماء وقع عليه فدقّه ، ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ، ورأى شجرة أصلها فى الأرض وفرعها فى السماء ، ثم رأى عليها رجلاً بيده فأس وسمع منادياً ينادى : اضربْ جذعها ليتفرق الطير من فروعها ، وتنفق الدواب والسباع من تحتها ، وأترك أصلها قائماً . فعبرها دانيال عليه السلام له فقال : أما الصنم الذى رأيت ، فأنت الرأس وأنت أفضل المملوك . وأما الصدر الذى من فضة فأنتك يملك من بعدك . وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد أبك . وأما ما رأيت من الفخذين من حديد فيتفرق الناس فرقتين فى فارس يكون أشد المملوك . وأما الفخّار فأحرّ ملكهم يكون دون الحديد . وأما الحجر الذى رأيته قد ربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله تعالى فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كلّ ، ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب .

وأما الشجرة التي رأيت والطير التي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها، فيذهب ملكك ويردك الله طائرا تكون نسرا ملك الطير، ثم يردك الله ثورا ملك الدواب، ثم يردك الله أسدا ملك السباع والوحش سبع سنين، وفي كل ذلك قلبك قلب إنسان، حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض، يقدر على الأرض ومن عليها، وكما رأيت أصلها قائما فإن ملكك قائم .

٥

قال : فسيخ يختنصر نسرًا في الطيور، وثورًا في الدواب، وأسدا في السباع، فكان مسخه كله سبع سنين، ثم رد الله تعالى إليه ملكه، فأمن ودعا الناس إلى الله تعالى.

قال : وسئل وهب بن منبه : أكان يختنصر مؤمنا ؟ فقال : وجدت أهل

الكتاب قد اختلفوا فيه، فمنهم من قال : مات مؤمنا، ومنهم من قال : مات كافرا؛

لأنه حرق بيت المقدس وكتب الله وقتل الأنبياء، فغضب الله تعالى عليه ولم يقبل توبته .

١٠

قالوا : فأتى عبر دانيال ليختنصر رؤياه أكرمه وصحبه وأستشاره في أموره

وقربه منه حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه، ففسده المجوس على ذلك

ووشوا به وبأصحابه إلى يختنصر فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا

ياكلون ذبيحتك، فدعاهم وسألهم فقالوا : إن لنا ربنا نعبده ولسنا نأكل من ذبائحكم .

١٥

فأمر يختنصر بأخدود، فخذلهم وألقوا فيه، وهم ستة، وألقي معهم سبع ضار

ليأكلهم، ثم قالوا : انطلقوا لنا كل ونشرب، فأكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم

جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخذل منهم أحدا ولم ينكأهم بشيء،

ووجدوا معهم رجلا فعادوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا : ما بال هذا السابع وإنما

٢٠

(١) ينكأهم : يجرحهم .

كانوا ستة ! . فخرج إليهم السابع ، وكان ملكا من الملائكة ، فلطم بختنصر اطمةً فصار في الوحوش ، ومسحه الله تعالى سبع سنين ثم رده الله تعالى إلى صورته وردّ عليه ملكه .

قال السديّ : ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ وردّ الله تعالى عليه ملكه ، كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه ، فسدته المجوس ووشوا به ثانية فقالوا لبختنصر : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يقول ، وكان ذلك فيهم عار . فجعل بختنصر لهم طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا وقالوا للبوابين : أنظروا أول من يخرج إليكم ليؤلف بالطرزين<sup>(١)</sup> ، وإن قال لكم أنا بختنصر فقولوا له : كذبت ، بختنصر أمرنا بهذا . فبس الله تعالى عن دانيال البول ، وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر ، فقام مدلا وذلك ليلا ، فخرج يسحب ثيابه ، فشد عليه البواب فقال : أنا بختنصر . فقال : كذبت ، بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج ، فضربه فقتله .

وحكى محمد بن إسحاق بن يسار في سبب هلاك بختنصر غير ما حكاه السديّ ، وذلك أنه قال بإسناده : لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر أنبعث فقال لمن كان في يده من بنى إسرائيل : أرايتم هذا البيت الذي حترته ، وهؤلاء الناس الذين قتلهم من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهله ، كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعذبوا وعصوا ، فسأطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم ، يكرمهم ويمنعهم

(١) الطبرزين : جمعه طبرزيات . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبر ، تير) ومعناها الفأس ، وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يعلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت الزوال والبراز . (راجع شفاء الغليل وصبح الأعشى ج ١ ص ٣٦٥ وقاموس دوزي) .

- ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله تعالى وسأط عليهم غيرهم . قال : فأخبروني ما الذي يطلع بي الى السماء العليا لعلّي أطلع إليها وأقتل من فيها وأتخذها ملكاً فإنّي قد فرغت من الأرض ومن فيها؟ قالوا : ما يقدر على هذا أحد من الخلائق . قال : لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم . فبكوا وتضرّعوا إلى الله تعالى ، فبعث الله عز وجل عليه بقدرته ليُريه ضعفه وهوانه بعوضةً فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضّت بأُم دماغه فما يقتر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أُم دماغه . فلما عرف أنه الموت قال لخاصته من أهله : اذا مُت فشقّوا رأسي فأنظروا ما هذا الذي قتلتني . فلما مات شقّوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأُم دماغه ليُري الله تعالى عباده قدرته وسلطانه ، ونجّى الله تعالى من بقي في يديه من بني إسرائيل وردّهم إلى إيليا والشام ، فبنوا فيه وربوا وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه . قال : ١٠
- فيزعمون أنّ الله تعالى أحيا أولئك الموتى الذين قُتلوا ولحقوا بهم . قال : ثم إنهم لما رجعوا إلى الشام وقد أحرقت التوراة وليس معهم عهد من الله تعالى جدد الله عز وجل توراتهم وردّها عليهم على لسان عُزَيْر ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .
- قال : وكان عُمر بختنصر بأيام مسخه نيفاً وخمسين سنة وخمسين يوماً . فلما مات بختنصر استخلف [ ابنه ]<sup>(٢)</sup> بلسطاس<sup>(٣)</sup> . وكانت آنية بيت المقدس التي حملها بختنصر إلى بابل باقية ، فتجسّمها بلحوم الخنازير وأكل وشرب فيها ، وأقصى دانيال ولم يقبل منه ، واعتزله دانيال . فبينما بلسطاس ذات يوم إذ بدت له كف بغير ساعد وكتبت ثلاثة أحرف بمشهد ثم غابت ، فعجّب من ذلك ولم يدر ما هي ، فاستدعى دانيال واعتذر إليه وسأله أن يقرأ تلك الكتابة ويخبره بتأويلها . فقرأها دانيال ، فإذا

٣٤  
١٢

٢٠

(١) يوجأ : يضرب . (٢) زيادة عن الثلثي .

(٣) في تاريخ ابن العبري (ص ٧٨) : « بلطناصر » .

هى : « بسم الله الرحمن الرحيم . وَزَنَ نَخْفَ <sup>(١)</sup> ، وَوَعِدَ فَنَجَزَ ، وَجُمِعَ فَنَفَرَقَ » . فقال دانيال : أما قوله وَزَنَ نَخْفَ ، أى وَزَنَ عَمَلُكَ فى الميزان نَخْفَ . وَوَعِدَ مُلْكُ فَنَجَزَ اليوم ، وَجُمِعَ فَنَفَرَقَ ، أى جُمِعَ لك ولوالدك من قَبْلِكَ مُلْكٌ عَظِيمٌ فَنَفَرَقَ اليوم فلا يرجع إلى يوم القيامة . فلم يلبث إلا قليلا حتى أهلكهم الله تعالى وضعف ملكهم ، وبقي دانيال بأرض بابل إلى أن مات بالسُّوس <sup>(٢)</sup> .

فهذه الأقاويل التى وردت فى مختصره هى على ما جاء فى التفسير والمبتدا <sup>(٣)</sup> . وأما قول من قال إنه كان مرزباناً للهراسف الملك الفارسيّ فسند كره إن شاء الله تعالى فى أخبار ملوك الفُرس ، على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى فى موضعه وهو فى الباب الثالث من القسم الرابع من هذا الفن فى السفر الثالث عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا .

وهذه الاخبار التى قدّمنا ذكرها أوردها أبو إسحاق الثعلبيّ فى تفسيره وفى كتابه المترجم بـ « يواقيت البيان فى قصص القرآن » . وقال فى تفسيره : إلا أن رواية من روى أن

بختنصر غزا بنى إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريّا عليهما السلام غلط عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين . وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر غزا بنى إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياً وفى عهد إرميا بن حلقيا عليهم السلام ، وهى الواقعة الأولى التى قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ يعنى بختنصر وجنوده .

قال الثعلبيّ قالوا : ومن عهد إرميا وتخريب بختنصر البيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريّا أربعائة سنة وإحدى وستون سنة . والله أعلم .

(١) فى الأصول : « ... وزن نخف ... وجمع نفرق ... » وقد أثبتناه كما فى الثعلبيّ لوضوحه .

(٢) السوس التى بها قبر دانيال عليه السلام : بلدة بخوزستان (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ١٨٨ طبع أوربا ) . (٣) هو الكشف والبيان فى تفسير القرآن لأبى إسحاق أحمد بن إبراهيم

الثعلبيّ النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ومنه بعض أجزاء مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية .

(٤) هو اسم كتاب أيضا .

ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن حربه بمختصر

وخبر الذي مرّ على قرية

قال الله عز وجل : ﴿ أَوَكَلَّيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ <sup>(١)</sup> ... ﴾ الآية .

- قال أبو اسحاق الثعلبي رحمه الله : اختلفوا في ذلك المسار من كان ، فقال  
عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة <sup>(٢)</sup>  
وسلم الخواص : هو عنزير بن شرخيا . وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد  
ابن عمير : هو إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران ، وقد تقدم ذكره .

- قال : وآختلفوا أيضا في القرية التي مرّ عليها ، فقال وهب وعكرمة وقتادة  
والربيع : هي بيت المقدس . وقال الضحاك : هي الأرض المقدسة . وقال ابن زيد : <sup>(٣)</sup>  
هي الأرض التي أهلك الله تعالى بها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر  
الموت . وقال الكلبي : هي دير سابرا بآذ . وقال السدي : هي سلماباذ . وقيل :  
هي دير هنزقل <sup>(٣)</sup> . وقيل : هي قرية العنب ، وهي على فرسخين من بيت المقدس .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

- (٢) كذا في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٨٨) طبع دار الكتب المصرية وتهذيب  
التهذيب لابن حجر (ج ٤ ص ١٧٤) . وفي الأصول : « يزيد » وهو تحريف .  
(٣) كذا في معجم البلدان لياقوت وذكر أنه ( بكسر أوله وزاء معجمة ساكنة وقاف مكسورة ) وقال :  
وأصله حزقل ثم نقل إلى هنزقل ، وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم (خاص بالمجانين) ، وللبرد حكاية  
فيه مع أحد عقلاء المجانين ، وقد ذكره دتيل بن علي حين هجا أبا عباد كاتب المأمون فقال :  
فكأنه من دير هنزقل مفلت \* حتى يجز سلاسل الأقياد  
وفي الأصول والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٨٩) طبع دار الكتب المصرية : « هنزقل »  
بالراء المهملة وهو خطأ . (راجع ياقوت ج ٢ ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٧٠٦ طبع أوربا ومسالك الأبصار لابن فضل الله  
العمري ج ١ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) .

قال فالذى يقول : إن المسار إرميا وإت القرية بيت المقدس ، هو ما رواه محمد  
 ابن إسحاق بن يسار عن وهب بن منبه : أنه لما كان من أمر إرميا ما قدمناه ،  
 وأنه طارمًا آلهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبواب بيت المقدس  
 حتى خالط إرميا الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس وحرب كما تقدم . فلما  
 رجع بختنصر عن بيت المقدس أقبل إرميا على حمار له معه عصير عنب في ركوة<sup>(١)</sup>  
 وسلّة تين حتى غشي إيلياء . فلما وقف عليها ورأى خرابها قال : « أتى يحيى هذه الله<sup>(٢)</sup>  
 بعد موتها » ! . قال : ثم ربط إرميا حماره بحبل جديد ، فألقى الله تعالى عليه النوم ،  
 فلما نام نزع منه الروح مائة عام وأمات حماره ، وعصيره وتينته عنده ، وأعمى الله تعالى  
 عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ، ومنع الله السباع والطيور لحمه . فلما مضى من  
 نومه سبعون سنة أرسل الله عز وجل ملكًا إلى ملك عظيم من ملوك<sup>(٣)</sup>  
 فارس يقال له : « بوشك » فقال له : إن الله عز وجل يأمرك أن تنفّر  
 بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أحسن ما كانت ، فانتدب  
 الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل ، ففعلوا بعمرونها فعمرت ،  
 ونجى الله تعالى من بقي من بنى إسرائيل ولم يمت ببابل أحد منهم وردّهم الله تعالى  
 إلى بيت المقدس وعمروها ثلاثين سنة حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه ؛ وذلك  
 بعد أن حُرّبت سبعين سنة . فلما مضت المائة سنة أحيا الله عز وجل  
 منه عينيه وسائر جسده ميت ، ثم أحيا جسده وهو ينظر ، ثم نظر إلى حماره فإذا  
 عظامه متفرقة بيض تلوح ، فسمع صوتا من السماء : أيتها العظام البالية إن الله

(١) الركوة : إناء صغير من جلد .

(٢) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس . معناه بيت الله .

(٣) كذا في الأصول . وفي قصص الأنبياء للتلوي المطبوعة : « بوشك » . وفي المخطوطة :

« نوشك » . وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ج ٤ ص ٢٩١ ) : « كوشك » .



يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ ، فَأَجْتَمَعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَاتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . ثُمَّ نُودِيَ :  
 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَكْتَسِيَ لِحْمًا وَجِلْدًا فَكَانَ كَذَلِكَ . ثُمَّ نُودِيَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ  
 تَحْيَا ، فَقَامَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَهَقَ . وَعَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى إِرْمِيَا ، فَهُوَ الَّذِي يُرَى فِي الْفَلَوَاتِ ؛ فَذَلِكَ  
 قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ أَيْ أَحْيَاهُ ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا  
 أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَاتَهُ صُحِّي فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَأَحْيَاهُ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ ٥  
 فِي آخِرِ النَّهَارِ قَبْلَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : « لَبِثْتُ يَوْمًا » ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ  
 غَرُبَتْ ، ثُمَّ آلَفَتْ فَرَأَى بَقِيَّةَ مِنَ الشَّمْسِ فَقَالَ : « أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ » ، بِمَعْنَى بَلْ بَعْضُ  
 يَوْمٍ ﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ ﴾ يَعْنِي التَّيْنَ ﴿ وَشَرَابِكَ ﴾ يَعْنِي  
 الْعَصِيرَ ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ أَيْ لَمْ يَتَغَيَّرْ ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى  
 الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(١)</sup> .  
 ١٠ قَالَ وَهَبَ : لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ كَلْبٌ وَلَا حِمَارٌ إِلَّا كَلْبُ أَصْحَابِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَحِمَارُ إِرْمِيَا  
 الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ . هَذَا قَوْلٌ مِنْ قَالَ إِنَّهُ إِرْمِيَا بْنُ حَلْقِيَاءَ .



وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ عُزَيْرٌ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ بَخْتَنْصَرَ لِمَا خَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ  
 قَتَلَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ قِبَاءِ التَّوْرَةِ وَالْعِلْمَاءِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أَبَا عُزَيْرٍ وَحَدَّهُ . وَكَانَ عُزَيْرٌ  
 يُوَدِّعُ غُلَامًا قَدْ قَرَأَ التَّوْرَةَ وَتَقَدَّمَ فِي الْعِلْمِ ، وَأَقْدَمَهُ بَخْتَنْصَرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى  
 أَرْضِ بَابِلَ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ . فَلَمَّا نَجَّى عُزَيْرٌ مِنْ بَابِلَ آرْتَحَلَ عَلَى حِمَارٍ حَتَّى  
 نَزَلَ عَلَى دِيرِ هَزْقِلَ عَلَى شَطِّ دِجْلَةَ ، وَطَافَ فِي الْقَرْيَةِ فَلَمْ يَرَفِهَا أَحَدًا ، وَعَاقَمَ شَجَرَهَا  
 حَامِلًا ، فَأَكَلَ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَأَعْتَصَرَ مِنَ الْعَنْبِ وَشَرَبَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ فَضْلَ الْفَاكِهِةِ

في سَلَّة وفضل العَصِير في زَقَّ . فلَمَّا رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال : ﴿ أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الآية ، وساق فيه نحو ما تقدم في خبر إرميا .

وقال قوم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُمِيتْ حِمَارَهُ فَأَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى عَيْنِيهِ وَرَأْسَهُ وَسَائِرُ جَسَدِهِ مَيِّتٌ فَقَالَ لَهُ : « أَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ » فنظر إلى حِمَارِهِ فَأَمَّا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ رَبَطَهُ حَيًّا ، لَمْ يَطْعَمْ وَلَمْ يَشْرَبْ مِائَةً عَامًا ، وَنَظَرَ إِلَى الرِّقَّةِ فِي عُنُقِهِ جَدِيدَةً ، وَهَذَا قَوْلُ الضَّحَّاكِ وَقَتَادَةَ . وقال الآخرون : أَرَادَ عِظَامَ حِمَارِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ إِرْمِيَا . وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْجَعَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أى عِبْرَةً وَدَلَالَةً عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ . وقال الضَّحَّاكُ : وَهُوَ أَنَّهُ عَادَ إِلَى قَرْيَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَوْلَادُ أَوْلَادِهِ شِيُوخٌ وَعِجَائِزٌ وَهُوَ أَسْوَدُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ .

١٠ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى عُزَيْرًا بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ ، فَركب حِمَارَهُ حَتَّى جَاءَ مَحَلَّتُهُ<sup>(١)</sup> ، فَأَنكَرَهُ النَّاسُ وَأَنكَرَ النَّاسَ وَمَنَازِلَهُ ، فَأَنطَلَقَ عَلَى وَهْمٍ حَتَّى أَتَى مَنَزَلَهُ ، وَإِذَا هُوَ بِعِجُوزٍ عَمِيَاءَ قَدْ أَتَى عَلَيْهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَكَانَتْ أُمَّةٌ لَهُمْ ، فَخَرَجَ عَنْهُمْ عُزَيْرٌ وَهُوَ ابْنَةُ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ قَدْ عَرَفَتْهُ وَعَقَلَتْهُ ؛ فَلَمَّا أَصَابَهَا الْكِبَرُ وَالزَّمَنُ<sup>(٢)</sup> قَالَ لَهَا عُزَيْرٌ : يَا هَذِهِ ، هَذَا مَنَزَلُ عُزَيْرٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ هَذَا مَنَزَلُ عُزَيْرٍ وَبَكَتْ وَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ يَذْكُرُ عُزَيْرًا وَقَدْ نَسِيَ النَّاسُ . قَالَ : فَإِنِّي عُزَيْرٌ . قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ فَقَدْنَاهُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ . قَالَ : فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَاتَنِي مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَنِي . قَالَتْ : فَإِنَّ عُزَيْرًا كَانَ رَجُلًا مُجَابَّ الدَّعْوَةِ ، يَدْعُو لِلْمَرِيضِ وَصَاحِبِ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ وَالشِّفَاءِ ، فَأَدْعُ اللَّهَ

٣٦  
١٢

(١) كَذَا فِي التَّلَاقِ . وَوَرَدَتْ مُحَرَّفَةً فِي الْأَصُولِ . (٢) الزَّمَنُ : مُصَدَّرُ زَمَنٍ يَزْمَنُ (مِثْلُ فَرَحٍ) زَمَنًا وَزَمَنَةً وَزَمَانَةً . وَعِبَارَةُ التَّلَاقِ : « فَلَمَّا أَصَابَهَا الْكِبَرُ لَحَقَتْهَا زَمَانَةٌ » . (٣) كَذَا فِي التَّلَاقِ . وَفِي الْأَصُولِ : « هَذِهِ مَنَازِلُ » وَلَا تَتَّفَقُ مَعَ السِّيَاقِ .

يَرُدُّ عَلَىٰ بَصَرِي حَتَّىٰ أَرَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُكَ . فدعا ربّه تعالى فاستجاب له ومسح بيده على وجهها وعينيها فصحتا ، وأخذ بيدها وقال لها : قومي بإذن الله تعالى ، فأطلق الله رجلها ، فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال ، فنظرت إليه فقالت : أشهد أنك عُزَيْر . فانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وأبنُّ عُزَيْر شيخُ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو آبنه شيوخٌ .  
 ٥ في المجالس ، فنادت : هذا عُزَيْر قد قديم وجاءكم ، فكذبوها . فقالت : وأنا فلانة مولاتكم دعا لى ربّه فردّ الله على عبيّ وأطلق رجلى ، وزعم أن الله أماته مائة عام ثم بعثه . فنهض الناس وأقبلوا إليه ، فقال آبنه : إنه كان لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه وإذا هو عُزَيْر .

١٠

وأما خبرُ فتنة اليهود به وقولهم عُزَيْرُ ابن الله ، فقد روى عطية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عُزَيْر من أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم ، فعملوا بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا ، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق ، وكان التابوت فيهم . فلمّا رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم ، وأرسل عليهم مرضا ،  
 ١٥ فاستطاعت بطونهم ، حتى إن الرجل يمس كبدّه ، حتى نسوا التوراة وفيهم عُزَيْر . فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم . وكان عُزَيْر دعا الله وأبتهل إليه أن يرده إليه الذى نُسَخَ من صدورهم . فبينما هو يصلى ويتهل إلى الله تعالى إذ نزل نورٌ من السماء فدخل في جوفه ، فعاد إليه الذى كان ذهب  
 ٢٠ من التوراة ، فأذن في قومه فقال : يا قوم ، قد أتاني الله التوراة وردّها إلىّ ، فطيفق بكممهم ، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم . ثم إن التابوت نزل بعد ذلك . فلمّا رأوا

التابوت عَرَضُوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عُزَيْر فوجدوه مثله ، فقالوا :  
والله ما أُوتِيَ عُزَيْر هذا إلا وهو ابن الله .

وقال السُّدِّيَّ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ فى رواية عَمَّار بن ياسر : إنما قالت اليهودُ هذا لأنَّ  
العمالقةَ ظهرت عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهَرَبَ علماءهم الذين بَقُوا ودفنوا  
التوراة فى الجبال وغيرها ، ولحق عُزَيْر بالجبال والوحوش ، وجعل يتعبد فى رؤوس  
الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيد ، وجعل يبكى ويقول : يارب تركتُ  
بنى إسرائيل بغير عالم ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، فنزل مرةً الى العيد ، فلما  
رجع إذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من القبور تبكى وتقول : يا مُطْعَمَاهُ ،  
ويا كاسِيَاهُ ! . فقال لها عُزَيْر : يا هذه آتقِ الله وأصبرى وأحسبى ، أما علمت أن  
الموت مكتوبٌ على الناس ! . وقال لها : وَيَحِك ! مَنْ كان يُطْعِمُكَ ويكسوك قبل  
هذا الرجل ؟ (يعنى زوجها التى كانت تندبه) . قالت له : الله تعالى . قال : فإن الله  
تعالى حتى لا يموت . فقالت : يا عُزَيْر ، مَنْ كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل ؟  
قال : الله . قالت : فلم تبكى عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حتى لم يمت .  
فلما علم عُزَيْر أنه قد حُصِمَ وَلَّى مُدْبِرًا . فقالت له : يا عُزَيْر ، لستُ بامرأة ولكنى  
الدنيا . أما أنه ستنبُع لك فى مُصَلَّاكَ عينٌ وتنبُتُ لك شجرةٌ ، فكلُّ من ثمره تلك  
الشجرة وأشرب من ماء تلك العين وأغتسل وصلَّ ركعتين ؛ فإنه سيأتيك شيخٌ ،  
فما أعطاك نخذ منه . فلما أصبح نبعت العين فى مُصَلَّاه وتنبَّت الشجرة ، ففعل  
ما أمرته به ، وجاء شيخ وقال له : افتح فاك ، ففتح فاه فألقى فيه شيئًا كهَيْئَةِ الجمرَةِ  
العظيمة مجتمعا كهَيْئَةِ القوارير ثلاث مرَّات ، ثم قال له : أدخُل هذه العين فأمشِ  
فيها حتى تبلغ قومك . قال : فدخلها فجعل لا يرفع قدمه إلا زِيدَ فى علمه ، فرجع  
إليهم وهو أعلم الناس بالتوراة . فقال : يا بنى إسرائيل ، قد جئْتُكم بالتوراة . فقالوا :

يا عُزَيْرُ ، ما كنتَ كذاباً . فربط على كل أصبع له قلماً وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه ، فأحيا لبني إسرائيل التوراة وأحيا لهم السنة . فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي كانوا دفنوها ، فعارضوا بها توراة عُزَيْر فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاه الله تعالى هذا إلا أنه آبنه .

- وقال الكلبي : إن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل مرة قراء التوراة ، كان عُزَيْر إذ ذاك غلاماً صغيراً ، فاستضعفه فلم يقتله ، ولم يدري أنه يقرأ التوراة . فلما توفى مائة سنة ورجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس منهم من يقرأ التوراة بعث الله عز وجل عُزَيْراً ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية ، فاتاهم فقال : أنا عُزَيْر . فكذبوه وقالوا : إن كنت عُزَيْراً كما تزعم فأتل علينا التوراة . فكتبها وقال : هذه التوراة . ثم إن رجلاً قال : إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جُعِلَتْ في خابية ثم دُفِنَتْ في كرم . فأنطلقوا معه حتى أحفروها وأنحروا التوراة ، فعارضوها بما كتب عُزَيْر فلم يجدوه غادر منها [ آية ولا ]<sup>(١)</sup> حرفاً ، فعيجوا وقالوا : إن الله لم يقذف التوراة في قاب رجل واحد منّا بعد ما ذهبت من قلوبنا إلا أنه آبنه ، فعند ذلك قالت اليهود : عُزَيْر آبن الله .

(١) زيادة عن التلبي .

## الباب الرابع

### من القسم الثالث من الفن الخامس

في قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام وخبر بلوقيا

#### ذكر قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام

- قال الكسائي رحمه الله قال وهب بن منبه : كان متى رجلا صالحا من أهل بيت النبوة ، ولم يرزق الولد الى آخر عمره بعد أن أسن هو وزوجته ، فسأل الله تعالى الولد ، فنودى : إن الله قد استجاب دعائك ، فأنطى إلى حَصيرة التوبة ، وهو الموضع الذى أمر الله تعالى بنى إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فيه لما عبدوا العجل . فصار إلى هناك وإذا بملك قد هبط من السماء فضرب قبة على باب حَصيرة التوبة ، وذلك في ليلة عاشوراء ، وأمرهما أن يدخلها فدخلوا وواقعها ، فحملت بيونس ، ثم أنصرفا إلى منزلها . فلما صار لها أربعة أشهر توفى متى وبقيت أمه أرملة ليس لها إلا قصعة كانت لآل هارون ، فكانت تُصيب رزقها في المساء والصباح من عند الله . فلما وضعت يونس لم يكن لها لبن يكفيه ، فكانت أمه تأتي إلى الرعاة وتسألهم اللبن فلا يجيبونها ، فكانت تقول : اللهم هذا الولد هبّك فلا تهلكه جوعا ، فكانت المواشى تأتيه وتمج عليه بضرعها حتى يشبع ، فإذا شبع يقول : الحمد لله ، فأمن به جماعة من الرعاة ، فبقى كذلك حتى فطمته أمه ،

(١) كذا في الأصول والكسائي . (٢) في الكسائي : « الحمد لله الذى سقانى وآوانى ،

فكانوا يدهشون إليه من فصاحته على صغر سنه فأمن به في ذلك الوقت سبعون راعيا يقولون آمنا بالذى أسقى هذا الغلام من هذه الغم ... الخ » .

- وكان يُسمَّى يَتِيمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حَتَّى أَتَتْ عَلَيْهِ سَبْعُ سِنِينَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ :  
 يَا أُمِّي ، لَا يَنْبَغِي أَنْ تَذْهَبَ أَيَّامِي بِالْإِطَالَةِ ، وَأُرِيدُ أَنْ تُلْبِسَنِي ثَوْبًا مِنَ الصُّوفِ  
 حَتَّى أَلْحَقَ بِالْعِبَادِ وَأَكُونَ مَعَهُمْ . فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ ، أَنْتَ صَغِيرٌ وَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَسِيحَ .  
 فَلَمْ يَزَلْ بِأُمِّهِ حَتَّى أَجَابَتْهُ إِلَى ذَلِكَ وَلَحِقَ بِالْعِبَادِ وَاشْتَهَرَتْ ذِكْرُهُ فِيهِمْ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ  
 حَتَّى اسْتَكْمَلَ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَمْضِيَ  
 إِلَى مَدِينَةِ الرَّمْلَةِ (١) فَإِنَّ فِيهَا وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِي وَلَهُ ابْنَةٌ عَفِيفَةٌ فَتَرَوُجُهَا مِنْهُ . فَلَمَّا  
 أَصْبَحَ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَصَحْبِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ  
 مَدِينَةَ الرَّمْلَةِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ فِي السُّوقِ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي . فَعَجِبَ يُونُسُ مِنْ  
 ذَلِكَ وَجَاءَ إِلَى السُّوقِ فَرَأَاهُ وَهُوَ يَبِيعُ الطَّيِّبَ وَيُكْثِرُ الضَّحْكَ . فَقَالَ يُونُسُ : لَيْسَ  
 هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعِبَادِ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ زَكَرِيَّا وَقَامَ إِلَيْهِ وَصَاحَّهُ وَسَلَّمْ  
 عَلَيْهِ بِاسْمِهِ وَأَسَمَ أَبِيهِ . قَالَ : وَكَيْفَ عَرَفْتَنِي ؟ قَالَ : رَأَيْتَكَ فِي الْمَنَامِ وَأُمِرْتُ أَنْ  
 أَزْوَجَ ابْنَتِي مِنْكَ . وَتَوَجَّهَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدَّمَ لَهُ الطَّعَامَ فَأَكَلَا ، وَذَكَرَ لَهُ رُؤْيَاهُ وَأَنَّهَا  
 سَبَبُ مَسِيرِهِ إِلَى الرَّمْلَةِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ مَكْسَبِهِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فَقَالَ : أَمَّا الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ  
 فَمُبَاحٌ ، وَالتَّاجِرُ فَاجِرٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ ، وَاتَّقَى اللَّهَ وَلَمْ يَمْدَحْ سَاعَتَهُ .

٣٨  
١٢

- ١٥ فلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلَ نَزَعَ زَكَرِيَّا مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ وَلَبِسَ الصُّوفَ وَدَخَلَ مُحَرَّابَهُ  
 وَلَمْ يَزَلْ فِي صَلَاتِهِ وَدُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَنَزَعَ الصُّوفَ وَلَبِسَ مَا كَانَ عَلَيْهِ  
 بِالْأَمْسِ وَبَرَزَ إِلَى السُّوقِ وَيُونُسُ مَعَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُ .

ثُمَّ زَوَّجَ ابْنَتَهُ مِنْ يُونُسَ وَوَهَبَ لَهَا بَعْضَ مَالِهِ . وَأَقَامَ يُونُسُ عِنْدَهُ ، وَرَزَقَ  
 اللَّهُ يُونُسَ مِنْ زَوْجَتِهِ وَلَدَيْنِ وَمَاتَ زَكَرِيَّا ، فَأَحْتَمَلَ يُونُسَ زَوْجَتَهُ إِلَى بَيْتِ

- ٢٠ (١) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً . (٢) في الأصول :  
 « زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ » وَالْمَذْكُورُ هُنَا هُوَ زَكَرِيَّا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ زَكَرِيَّا النَّبِيُّ أَبَا يُحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

المقدس وأقام هناك يعبد الله تعالى . وشعياً يومئذ بيت المقدس وهو نبي  
في بني إسرائيل إلى أن بعث الله تعالى يونس نبياً .

قال : وكان في بلاد نينوى ملك<sup>(١)</sup> وكانت جيوشه كثيرة ، قيل : إنها كانت تزيد على  
عشرة آلاف قائد . وكان إذا غزا تكون معه تماثيل من الأسود والفيلة متخذة  
من النحاس والحديد ، يخرج من أفواهها لهب النيران ، ومعه رجال يلعبون بالنيران .

فغزا هذا الملك بني إسرائيل على هذه الصورة ، فقتل من بني إسرائيل وسبي ، ثم عاد  
إلى بلاد نينوى ، وغزاهم ثانية وتكثرت غزواته فيهم . فأوحى الله تعالى إلى شعياً  
نبي بني إسرائيل أن يختار من عباده بني إسرائيل أمينا قويا يبعثه إلى بلاد نينوى رسولا  
إلى من بها من الملوك وغيرهم ، فإنهم قد جحدوا حتى وأنكروا معرفتي . فدخل شعياً

على حرقياً الملك وأمره أن ينادى في عبادة بيت المقدس ، وبها يومئذ عشرة آلاف  
عابد ، لبأسهم الشعر والصوف ونعالهم الخوص ، فنادى فيهم بالاجتماع فأجتمعوا ،  
فأختار منهم ثلاثة وأختار من الثلاثة يونس بن متى ، ثم قال له حرقياً : إن الله أوحى  
إلى نبيه شعياً أن يختار من جملة هؤلاء العبادة والزهاد أعبدتهم وأتقاهم ، وقد وقع  
اختياره عليك لتبعث [ إلى أهل<sup>(٢)</sup> بلاد نينوى . قال يونس : إن في بني إسرائيل  
من هو أعبد مني وأزهد ، فأبعث أيها الملك غيري . قال : لا أبعث سواك ، فأنهض

(١) نينوى : كانت قصبة آشور وأعظم مدنها . أسسها آشور على ضفة دجلة الشرقية قبالة الموصل ،  
وهي تبعد عن بابل نحو ٢٥٠ ميلاً وعن خليج فارس إلى الشمال الغربي منه ٥٥٠ ميلاً . (راجع قاموس  
الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٢) في الكسائي : « يقال له ثعاب بن الأسارد » .

(٣) في الكسائي بعد هذا : « ومع كل قائد خلق كثير » .

(٤) التكملة عن قصص الأنبياء للكسائي .

٥

١٠

١٥

٢٠



- ولا تخالفني فإن هذا عن أمر الله . فَأَنْصَرَفَ يُونُسُ إِلَى أُمِّهِ وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ وَأَسْتَشَارَهَا ،  
 فقالت : إن الله أنطق الملك في حَقِّكَ بِالرَّسَالَةِ فِيسْرُكَا أُصِرْتَ وَلَا تَعْصِ اللَّهَ وَنَبِيَّنا  
 شَعِيًّا وَمَلَكًا حَزَقِيًّا . فعزم على المسير وودَّع أُمَّهُ وَحَمَلَ أَهْلَهُ حَتَّى بَلَغَ شَاطِئَ دِجْلَةَ ،  
 فنزل هناك وفكَّرَ في أمره وَضَعْفَهُ وَعِيَالَهُ وَقَالَ : كيف لي بِمُطَاوَلَةِ الْجَبَابِرَةِ وَالْفِرَاعِنَةِ !  
 وأقبل على أَهْلِهِ وَقَالَ : قد عَزِمْتُ عَلَى الْفِرَارِ ، فنهأ أَهْلَهُ عَنْ ذَلِكَ . فسكت  
 وقام ليعبر دِجْلَةَ إِلَى بِلَادِ نَيْنَوَى فَعَبَّرَ بَوْلَهُ الْأَكْبَرَ ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَخَذَ وَلَدَهُ الثَّانِي .  
 فَلَمَّا تَوَسَّطَ دِجْلَةَ زَادَ الْمَاءُ فَغَرِقَ ابْنُهُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ ، وَكَانَ فِي يَدِهِ نَقْرَةٌ مِنْ<sup>(١)</sup>  
 الذَّهَبِ كَانَ قَدْ وَرَثَهَا مِنْ حَمِيهِ فَغَرِقَتْ ، وَجَاءَ ذَنْبٌ إِلَى وَلَدِهِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ فَأَحْتَمَلَهُ .  
 فصاحت المرأة : يَا يُونُسَ ، إِنْ أَبْنُوكَ أَخَذَهُ الذَّيْبُ . فخرج من الماء يعدو خلف  
 الذَّيْبِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : ارْجِعْ يَا يُونُسُ فَإِنِّي مَأْمُورٌ ، فَرَجَعَ يُونُسُ بِأَيِّكَ عَلَى وَلَدِيهِ .  
 فَلَمَّا بَلَغَ الشَّطْطَ لَمْ يَرِ أَهْلَهُ ، فَجَلَسَ يَبْكِي . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّكَ شَكَوْتَ كَثْرَةَ الْعِيَالِ ،  
 وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْهُمْ ، فَأَذْهَبِ الْآنَ إِلَى قَوْمِكَ فَإِنِّي سَارِدٌ عَلَيْكَ أَهْلُكَ وَلَدَيْكَ  
 وَأَنَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ بِلَادَ نَيْنَوَى فَتَوَسَّطَ  
 سُوقَهَا وَنَادَى : يَا قَوْمَ ، قُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَتَى يُونُسَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .  
 فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ أَقْبَلُوا عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِهِ وَبِمَقَالَتِهِ . فَأَحْضَرَهُ الْمَلِكُ  
 وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ فَأَمِنُوا بِهِ  
 تَتَجَوَّأُونَ مِنَ النَّارِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِحَبْسِهِ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ وَزِيرَهُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،  
 وَأَسْمَهُ سَنْجِيرٌ<sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ لَهُ : ادْخُلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ يُونُسَ وَتَعَرَّفْ أَمْرَهُ . فَدْخَلَ عَلَيْهِ  
 وَسَأَلَهُ عَنْ أَسْمِهِ وَأَسْمَ أَبِيهِ ، وَمَنْ أَيْنَ أَقْبَلَ وَفِيمَاذَا جَاءَ . فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ

(١) النقرة من الذهب : ماسبك مجتمعاً منها .

(٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « سنحاريب » .

إليهم . فقال له الوزير : أرى أن ترفق فإنى أخشى عليك من هذا الملك فإنه جبّار .  
 وأنصرف الوزير إلى الملك وقال له : قد عرفتُ الرجل ، وقد ذكر أنه رسول من  
 إله السماء . فهمّ الملك بقتله ، فاستوهبه الوزيرُ منه على أن يكون في البلد ولا يقول  
 مثل مقالته . فاستدعى الوزير يونس وذكر له ذلك . فقال له : أما القتلُ فلا أخشى  
 منه ، والرسالةُ فلا أتركها حتى يحكم الله بيني وبينه . ثم إت الملك خُلّي سبيله على أنه  
 مجنون . فلم يزل يونس يدعوهم إلى طاعة الله تعالى في كل يوم عاتمة نهاره ، حتى إذا  
 جاء المساء أتى شطّ دجلة فيصلي حتى يصبح ، ثم يعود إليهم والناس يضرّبونه  
 ويرجمونه ويسبّونه حتى ضجر فاستغاث إلى ربّه . فأوحى الله تعالى إليه : يا يونس ،  
 إنك دعوت القوم فلا تعجل عليهم وأدعهم أربعين يوما ، فإن آمنوا وإلا جاءهم  
 العذاب . فدعاهم حتى استكمل العدة ولم يؤمنوا . فأوحى الله إليه أن أخرج من بين  
 أظهرهم ، فخرج حتى بلغ شاطئ دجلة ، ففعد ينظر إلى العذاب كيف ينزل بالقوم .  
 فأمر الله تعالى جبريل أن يرسل على قوم يونس سحابة فيها ألوان العذاب ، فأنطلق  
 إلى مالك وأمره بذلك ، فأخرج شرارة من الحطمة <sup>(١)</sup> على مثال سحابة سوداء مظلمة .  
 فجاءت بها الزبانية حتى بلغت بلادينوى وأنبسطت حتى أظلت عليها ، فظن القوم أنها  
 مطر . فنظر وزير الملك إلى السحابة يخرج من أطرافها شرر النار ، فدخل على  
 الملك وقال : الحذر الحذر ! فليست هذه سحابة مطر بل هى سحابة عذاب ، وأخشى  
 أن يكون ذلك لتكذبتنا يونس نبي الله . ثم قال : أنظروا إلى يونس إن كان معكم  
 في بلدكم فلا تخافوا ، وإن كان قد خرج عنكم فقد هلكتم . فطلبوا يونس فلم يجدوه .  
 وجعلت السحابة تدنو حتى قربت منهم ورمتهم بشرر كالرماد الأحمر لا يقع على

٣٩  
١٢

٥

١٠

١٥

(١) الحطمة : اسم الجهنم .

٢٠

- شئ إلا أحرقه . فبينما الناس يقولون : أين نطلب يونس إذا هم بالملك قد خرج عليهم وجميع أصحابه وهم يقولون : أين أنت يا يونس ! فإننا لا نعود إلى مخالفتك ، فلم يجدوه . فأقبل عليهم سنجير الوزير وقال : أيها الملك ، إن يكن يونس قد غاب عنا فإن إلهه لم يغيب ، فتعالوا حتى نتضرع إلى الله لعله يرحمنا . فخرجوا بأجمعهم ونسائهم وأطفالهم إلى ظاهر البلد يبكون ويتضرعون ، فقام سنجير فيهم وقال :  
 ٥ إلهنا إنك أمرتنا أن نعتق رقاب عبيدنا وإمائنا ونحن عبيدك وإماؤك فأعتقنا .  
 إلهنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا فأغفر لنا وأعف عنا . اللهم أعتقنا من عذابك فإننا قد آمنّا بنبيك يونس وجميع النبيين فأغفر لنا ذنوبنا ، ثم خروا سُجُوداً بأجمعهم .  
 فأوحى الله تعالى إلى ملائكة العذاب أن أرجعوا ، فأنصرفت السحابة عنهم ، وسمعوا صوتاً : أبشروا يا أهل نينوى برحمة من ربكم ، فرجعوا إلى المدينة وقد آمنوا .  
 ١٠ وجاء يونس لينظر إلى ما نزل بهم من العذاب ، فلقى إبليس في صورة شيخ . فقال له يونس : من أين أفبلت أيها الشيخ ؟ [قال] : من نينوى . قال : فما نزل بهم اليوم ؟ قال : ما نزل بنا إلا سحابة بيضاء أمطرت مطراً جوداً ، وكان يونس قد وعدنا بالعذاب فلم يكن وعلمنا كذبه . فغضب يونس وقال : لا أعود إلى قوم كذّابوني ، وسار . قال الله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾<sup>(١)</sup> . قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي : معناه أن لن نقضى عليه بالعقوبة ، وهي رواية العوفي عن ابن عباس ، ودليل ذلك قراءة عمر بن عبد العزيز والزهرري « فظن أن لن نقدر عليه » بالتشديد . وقال عطاء وكثير من العلماء : معناه نضيق عليه الحبس .

٢٠ (١) التكملة عن الكسائي . (٢) الجود من المطر : الغزير .  
 (٣) سورة الأنبياء آية ٨٧

قال الكسائي<sup>(١)</sup> : فلم يزل يسير حتى لحق بساحل البحر ، فإذا هو بسفينة مازة  
فلأوح إليهم فدخلوا إليه فقال : احملوني معكم فلأتى رجل منقطع غريب من بيت  
المقدس . فحملوه فقعده على كوثل السفينة . فلما توسطوا البحر هبت عليهم رياح  
كثيرة من جميع الجوانب وأشرفوا على الغرق ، فأخذوا في الدعاء والتضرع ويونس  
لا يتكلم ، فأقبل أهل السفينة عليه وقالوا : لم تدع أنت معنا؟ قال : لأني مغموم  
لذهاب الأهل والولد . فلم يزالوا به حتى دعا ، فأزداد البحر هيجانا . قال يونس :  
اطرحوني في البحر فإن هذا من أجلى . قالوا : ما نفعل . قال : فأقترعوا . فأقترعوا  
فوقعت القرعة عليه . فقالوا : إن القرعة تخطئ وتصيب ، ولكن تعالوا حتى نتساهم .  
فجعل كل واحد منهم لنفسه سهما ثم رموا بها في البحر ، فغرقت إلا سهم يونس فإنه  
بقي على وجه الماء . قال الله عز وجل : ﴿ فَسَاهِمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ثم أقبل  
حوت عظيم من بحر الهند حتى بلغ جانب السفينة ، فقام يونس ليرمي بنفسه ، فتعلق  
القوم به وقالوا : ألا ترى هذه الأمواج وهذا الحوت العظيم ! فأقعدوه والبحر يزيد  
عليهم بكثرة أمواجه وأهواله ، فصار إلى جانب السفينة ليرمي بنفسه ، فإذا بالحوت  
قد دار إلى الجانب الذي قصد أن يرمى نفسه منه ، فعلم يونس أنه هو المراد ، فغطى  
وجهه بكسائه ورمى نفسه في البحر فأبتلعه الحوت . قال الله تعالى : ﴿ فَأَلْقَمَهُ  
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> معناه يلوم نفسه على ما فعله . وبقي في جوف الحوت وهو يسمع

(١) الكوثل (بالناء المثناة) : ذنب السفينة . وفي أ : « كويل » بالباء الموحدة . وفي ب :

« كوتل » بالباء المثناة وكلاهما تصحيف . (٢) سورة الصافات آية ١٤١

(٣) ورد في الكسائي عن كعب الأحبار : أن ذلك البحر هو بحر الروم . وفي قاموس الجغرافية

القديمة للرحوم أحمد زكي باشا (ص ٢٢) : أن بحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط ، وسمى بحر الروم

لأن البلاد التي على سواحه كانت كلها في ملك الروم . (٤) سورة الصافات آية ١٤٢

- (١) تسبيح الحيتان بلغاتهم ، فلم يزل كذلك حتى بلغ [ الى موضع يُسمع فيه صريف الأقدام ] . وهو اذا سجد يكون سجوده على كبد الحوت وهو يقول له : يا يونس ، أستمعني تسبيح المغموين المحبوسين في حبس لم يُحبس فيه أحد من الآدميين ، ويونس يقول : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وكانت الملائكة تقول : إلهنا إنا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكرا ، اللهم أرحمه في غربته . قال الله تعالى : ﴿ فَنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت ﴾ (٢) الآية . قيل : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت . قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (٣) أى المصلين ﴿ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٤) . وأختلف في مدة لبثه ، فمنهم من قال : لبث أربعين يوما ، وقيل : ثلاثة أيام . فلما انقضت المدة التى قدر الله عليه ألهم الله الحوت أن يرجع إلى الموضع الذى ابتلعه فيه . فشق ذلك على الحوت لأنه كان قد أنس به وبتسبيحه ، فناداه الملك أن أقذفه من بطنك فليس هو مطعم لك . فتقدم الحوت إلى الساحل وقذفه . قال الله تعالى : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ (٥) . قال : خرج كالفرخ الذى لا ريش له ، وهو لا يقدر على القيام ، فأثبت الله عليه شجرة من يقطين كان لها ثلاثة أغصان : غصن قبل المشرق ، وغصن قبل المغرب ، والغصن الثالث على رأسه . وجاءه جبريل فقال : يا يونس ، إن الله قد أعطاك من الجنة ما ترضى به ، ثم أمر يده على رأسه وجسمه فأثبت الله شعره ولحيته ، وأمر

(١) كذا فى تفسير القرطبي . وصريف الأقدام ، أى صوت جرياتها بما تكتبه من أفضية الله تعالى ووحيه وما يتسخونه من اللوح المحفوظ ( كما فى النهاية لابن الأثير ) . وفى الأصول : « حتى بلغ حصن الرجال » وهو تحريف .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧ (٣) سورة الصافات آية ١٤٣  
(٤) سورة الصافات آية ١٤٤ (٥) سورة الصافات آية ١٤٥  
(٦) اليقطين : شجر القرع .

- الله ظبية فوقفت بين يديّ يونس وكلمته بإذن الله، فصّص من لبنها فقوى عند شربه؛ ثم بشرته بإيمان قومه وأخبرته بما كان من أمرهم وسبب إيمانهم وذكرت أشتياقهم إلى رؤيته. وكانت الظبية ترعى حول يونس فإذا جاع أو عطش أرضعته، فلم يزل كذلك أربعين يوما. فنام في بعض الأيام ثم آتبه فرأى اليقطينة قد جفت والظبية قد غابت، فأعتم لذلك، فعلم يونس أن الله ضرب له مثالا بقومه، ثم هبط عليه ملك وقال: قم إلى قومك فإنهم يتمنون رؤيتك، وأتاه بجلتين فأتزر بواحدة وآرتدى بالأخرى، ثم سار حتى دخل قرية كثيرة الأشجار والخيرات وأهلها يقطعون تلك الأشجار ويلقون ثمارها في الأرض، فقال: يا قوم، كيف تفعلون ذلك وتبطلون على أنفسكم ثمارها! فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، إنك أشفقت على قوم لا تعرفهم من قطعهم الأشجار ولم تُشفق على قومك وهم مائة ألف أو يزيدون! فعلم يونس أن هذا مثل ضرب به الله تعالى له، فقال: إلهي لا أعود إلى ذلك أبدا. ثم سار حتى دخل قرية أخرى وقت المساء، فلتقاه رجل من أهل القرية وسأله أن ينزل عليه فنزل. فلما أكل وشرب نظر إلى بيت الرجل وفيه نخار كثير يريد أن يوقد عليه. فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، قل لهذا الفاحرائي أن يكسر النخار الذي قد عمّله. فقال يونس ذلك للفاحرائي، فقال: يا هذا أضفتك لما رأيت فيك من أثر الخير وإذا أنت رجل مجنون، تأمرني أن أكسر نخارا قد أعتبت فيه نفسي لأنتفع بثمره! فم الآن فأخرج من عندي، وأخرجه. فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، إنه أشفق على نخاره وسمّاك مجنونا وأخرجك من منزله حين أمرته بكسره، وأنت بعثت إلى مائة ألف أو يزيدون فدعوت عليهم ولم تفكر في هلاكهم فترحمهم! قال: إلهي لا أعود إلى ذلك أبدا. فلما أصبح سار فإذا هو برجل يزرع زرا، فقال له الرجل: ادع الله عز وجل حتى يبارك لي في زرع، فدعا له فأنبته الله تعالى من ساعته

- (١) وقام على سُوقه ، ففرح الرجل وأتى بيونس إلى منزله . فأوحى الله تعالى إليه :  
يايونس ، قد حزنت على إرسال الجراد على الزرع ولم ترعه ، ولم تحزن على إرسال  
العذاب على مائة ألف أو يزيدون ! . قال : إلهي تبت إليك من ذنبي لا أعود إليه  
أبدا . وسار حتى دخل قرية وهناك امرأة معها رجل وهو ينادي : مَنْ [ يحمل <sup>(٢)</sup> ]  
هذه المرأة إلى بلاد نينوى [ ويردها ] <sup>(٢)</sup> إلى زوجها وله مائة مثقال من الذهب ؟ فنظر  
إليها يونس فإذا هي امرأته ، فقال : أيها الرجل ، ماقصة هذه المرأة ؟ قال : إنها  
كانت قاعدة على شاطئ دجلة تنتظر زوجها يونس ، فتربها ملك من ملوك هذه  
القرية فأحتملها وأراد أن يفجر بها ، فأيدس الله يديه ورجليه ، فسألها أن تدعوه  
بالفرج ولا يعود إلى ذلك ، فدعت له . فلما عافاه الله لوقته دفعها إلى وأعطاني  
مائة مثقال ذهبا على أن أحملها إلى بلاد نينوى ، وما يمكنني ذلك . قال يونس :  
أنا أحملها فأعطيني الذهب ، فأعطاه إياه وسلم إليه المرأة . فسارا وقد فرحا حتى أتيا  
قرية أخرى ، وإذا برجل يبيع سمكة ، فأشترها يونس وقعد ليصلحها فشق بطنها فوجد  
فيها تلك الصرة الذهب التي وقعت منه في دجلة ، فقال : الحمد لله الذي رد علي أهلي  
ومالي ، اللهم فاردد علي أولادي يا أرحم الراحمين ، ثم سار فإذا هو برجل على دابة  
ومن ورائه غلام ، فإذا هو ولد يونس الصغير . فتعلق به ، فقال له الرجل : مَنْ أنت ؟  
قال : أنا يونس . فسلم إليه الغلام وقال : الحمد لله الذي رد الأمانة إلى أهلها وخلص  
ذمتي . فسأله يونس عن قصة الغلام فقال : أنا رجل صياد ، وكنت قد ألقيت  
الشبكة في طرف دجلة فوق هذا الغلام فيها فأخذته ، وإذا بهاتف يقول :

٤١  
١٣

(١) سقط هنا ما معناه : « فأرسل الله جرادا إلى الزرع فأكله ، فحزن يونس لذلك ، فأوحى

- يا صيَّاد، احفظ هذا الغلام حتى يأتِيَ اليك يونس فإنه أبوه فادفعه إليه . ثم قال له : يا نبيّ الله ، أدعُ لي أن يُغنيَنِي الله عن صيد السمك ، فدعا له فرزقه الله مالا وولدا . وسار يونس حتى قُرب من بلاد نينوى ، فإذا هو براج على قارعة الطريق يرعى غنما وهو يقول : اللهم اردد عليّ والدي ، فراه يونس فعرفه وهو ولده الأكبر ، فتعانقا وبكيا طويلا ، ثم قال له : يا أبتِ إن هذه الأغنام لرجل في القرية فيسرُ معي حتى أردّها إليه ، فسارا إلى القرية وإذا بشيخ على باب داره ، فقال له الغلام : هذا أبي . فقام الشيخ إلى يونس وسلّم عليه . فقال له يونس : هل تعرف قصّة هذا الغلام ؟ قال الشيخ : نعم ، كنتُ أرعى هذه الغنم ، وإذا بهذا الغلام على ظهر ذئب فكلمني الذئب بقدره الله وقال : إذا جاء اليك يونس فادفعْ إليه هذا الغلام . ثم قال له : يا نبيّ الله ، أدعُ الله أن يغفر لي ذنوبي وأن يمتني في وقتي هذا ، فدعا له فقبضه الله لوقته ، فغسله يونس وكفنه وصلى عليه ودفنه . ثم سار حتى قُرب من المدينة ، فإذا هو بغلام يرعى غنما فوقف يونس عليه السلام وقال : يا غلام ، هل من لبنٍ ؟ قال الغلام : يا هذا ، والذي بعث إلينا يونس نبيا ما ذقتُ اللبن منذ غاب عنا نبيّنا يونس . قال : فأنا يونس نبيّ الله . فقبل الغلام رأسه وقال : لو رأيتنا يا نبيّ الله ونحن نجول تحت العذاب لرحمتنا . قال : يا غلام ، اذهب الآن إلى المدينة وأخبرِ الناس أنك قد رأيتني . قال : أخشى أن يكذبوني . فقال : سرّ اليهم [وهذه الأغنام شهود لك<sup>(١)</sup>] . فمضى حتى توسّط سوق المدينة وقال : أيها الناس ، البشري فقد رجع إلينا يونس نبينا وقد لقيته . فاتصل الخبر بالملك فقام عن سريره وقال : عليّ بالغلام ، فأتي به ، فسأله فأخبره بمقدّم يونس . ففرح وخرج الملك وأهل المدينة والتقوا بيونس وأدخلوه المدينة وأجلسه الملك في موضعه ، ووقف بين يديه ، وفرح به أهل المدينة . فقام

(١) التكلة عن الكسائي .



يونس فيهم ما شاء الله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى أن مات الملك وماتت امرأة يونس وولدها جميعا ، فاستخلف يونس الراعى على مدينة يَنْوَى وخرج هو وسبعون رجلا من العباد حتى جاء الى جبل يقال له صِهْيُون فكانوا هناك يعبدون الله حق عبادته ، حتى مات يونس عليه السلام ، ومات العباد الذين صحبوه ، فَفَقِرُوا هناك في جبل صِهْيُون ، رضى الله عنهم ورحمهم .

### ذكر خبر بلوقيا وما شاهد من العجائب

وهذه القصة تشتمل على عجائب كثيرة ووقائع قد ينكرها بعض من يقف عليها لغرابتها وليست بمستنكرة بعد أن ثبت في صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ “ . ولناخذ الآن في سرد القصة .

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بيواقيت البيان في قصص القرآن بسند رفعه عن عبد الله بن سلام قال :

(١) صهيون (الجبل المشمس أو الجاف) قد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم إلا أنه ينحصر غالبا في الجبل الجنوبي الغربي من المدينة . وكان هذا الجبل محاطا من كل جانب إلا جانب الشمال بأودية عميقة الجوانب شاهقها ، فكان وادي الجبانين الى شرقه يفصله عن موريا وأوفل و وادي ابن هنوم الى جنوبيه وغريبه ، وسمى جزؤه المحاذي المدينة غربا وادي جيحون . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست) .

(٢) أى آية من القرآن ، أو المراد بالآية العلامة الظاهرة ، أى ولو كان المبلغ فعلا أو إشارة ونحوهما . (راجع القسطلاني ج ٥ ص ٥٠٤ طبع بلاق) .

٤٢  
١٣

كان في بني إسرائيل رجل يقال له « أوشيا » وكان من علمائهم ، وكان كثير المال ، وكان إماما لبني إسرائيل ، وكان قد عَرَفَ نَعْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة ، نخبأه وكتبه عنهم . وكان له ابْنٌ يقال له بُلُوقِيَا خليفة أبيه في بني إسرائيل ، وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام . فلما مات أوشيا بقي أبوه بُلُوقِيَا والأمانة في يده والقضاء ، فتمتَّش يوما خزان أبيه فوجد فيها تابوتا من حديد مُقْفَلًا بِقُفْلٍ حَدِيدٍ ، فسأل الخزان عن ذلك ، فقالوا : لا ندرى . فأحتال على القفل حتى فكَّه ، فإذا فيه صندوق من خشب الساج ، ففكَّه وإذا فيه أوراق ، فقرأها فإذا فيها نعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتُهُ وهى مختومة بالمسك ، فقرأ ذلك على بني إسرائيل ثم قال : الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق وأهله ! . فقالت بنو إسرائيل : يا بُلُوقِيَا ، لولا أنك إمامنا وكبيرنا لبشنا قبره وأخرجناه منه وحرقناه بالنار . قال : يا قوم ، [ لا ضير<sup>(٢)</sup> ] إنما ترك حظ نفسه وخسر في دينه ودُنياه ، فألحقوا نعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتَهُ بالتوراة . قال : وكانت أم بُلُوقِيَا في الأحياء ، فاستأذنها في الخروج إلى بلاد الشام ، وكانوا يومئذ في بلاد مصر . فقالت : وما تصنع بالشام ؟ قال : أسأل عن محمد وأُمَّتِهِ ، فلعل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه ، فأذنت له . فبرز بُلُوقِيَا وقدم بلاد الشام . فبينما هو يسير إذا انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هو بجيآت كأمثال الإبل عَظْمًا وفي الطُّول ما شاء الله وهنَّ يقان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقلن له : أيها الخلق المخلوق من أنت ؟ وما أسمك ؟ قال : أسمى بُلُوقِيَا ، وأنا من بني إسرائيل . فقُلْنَ : وما إسرائيل ؟ قلت : من ولد آدم . فقُلْنَ : سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم

(١) كذا في التعلي . وفي الأصول : « بعث النبي » .

(٢) النكبة عن النعاجي .

- إسرائيل . فقال بلوقيا : أيتها الحيات مَنْ أَنْتِ؟ فقلن : نحن حيات من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة . قال بلوقيا : وما تصنعن هاهنا؟ وكيف عرفتن محمدا؟ فقلن : إن جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا هاهنا ثم نعود إليها ، فشدّة الحر في الصيف من حرّها ، وشدّة البرد في الشتاء من بردها . وليس في جهنم دَرَك من دركاتها ، ولا باب من أبوابها ، ولا سُرادق من سُرادقاتها إلا وقد كُتب عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فن أجل هذا عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم . قال بلوقيا : أيتها الحيات ، هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن؟ فقلن : إن في جهنم حيات تدخل إحدانا في أنف إحداهن وتخرج من فمها ولا تشعر بذلك لعظمها . قال : فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى ، فإذا هو بجيات كأمثال الجذوع والسواري ، وعلى متن إحداهن حية صغرى صفراء كلما مشّت اجتمعت الحيات حولها فإذا نفخت صرّن تحت الأرض خوفا منها . فلما رآها ورأته قالت له : أيها الخلق المخلوق مَنْ أَنْتِ؟ وما أسمك؟ قال : أسمى بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل من ولد إبراهيم . فاخبرني أيتها الحية مَنْ أَنْتِ؟ قالت : أنا موكلة بالحيات وأسمى تملیخا ، ولولا أنى موكلة بهن لقتلت الحيات بنى آدم كلهم في يوم واحد ، ولكنى إذا صفرتُ صفرة [واحدة<sup>(١)</sup>] وسمعت صوتى دخان في الماء الذى تحت الأرض . ولكن يا بلوقيا إن لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأقرئه منى السلام .
- قال : ومضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأتى بيت المقدس ، وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عقان الخير ، فأتاه فسلم عليه وقصّ عليه قصته . فقال له : ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته ، بينك وبينه بعد سنين وقرون . ثم قال عقان : يا بلوقيا أرني موضع الحية التى أسمها تملیخا ، فإن قدرت أن أصيدها رجوت أن أنال معك ملكا

(١) التكلّة عن التعلی .

- عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه .  
 قال : فمن حُرِّص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال : أنا أريك  
 المكان . فقام عَفَّان وأخذ تابوتا من حديد وحمل فيه قَدَحَيْن من فضة في أحدهما خمر  
 وفي الآخر لبن ؛ ثم سارا جميعا حتى آتيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنجيا .  
 وجاءت الحية تبغى الرائحة فدخلت التابوت وشربت من اللبن والخمر حتى سَكِرَتْ  
 ونامت . فقام عَفَّان ودبَّ الى التابوت ديبا خفيفا فأعلق بابه وأحتضنه وسارا جميعا  
 فلم يمتزا بشجرة ولا بيت إلا كلمهما بإذن الله تعالى . فمزا بشجرة يقال لها الدواء  
 فقالت : يا عفَّان ، مَنْ يأخذني ويقطعني ويدقني ويعصر مائي ودُهْنِي ويطلِّي به  
 قدميه فإنه يغوص البحار السبعة ولا تبتل قدماه ولا يغرق . فقال عفَّان : إِيَّاكَ  
 طلبْتُ ، فقطع تلك الشجرة فدقَّها وعصر دُهنها وجعله في كوز ثم خلَّى عن الحية فطارت  
 بين السماء والأرض وهي تقول : يا بني آدم ما أجزأكم على الله تعالى ، وإن تصلوا الى  
 ما تريدون ، وذهبت الحية . وسار عفَّان وبلوقيا الى اليم فطليا أقدامهما ثم عبَّرا البحر  
 ومشيا على الماء كما كانا يمشيان على الأرض حتى قطعوا البحر الأول ثم الثاني ، فإذا  
 هما يجبل في وسط البحر ليس بعالي ولا متدانٍ ترابه كالمسك ، عليه غمام أبيض ،  
 وفيه كهفٌ ، وفي الكهف سريرٌ من الذهب عليه شابٌ مُستلقٍ على قفاه ذو وفرة ،  
 واضعٌ يده اليمنى على صدره واليسرى على بطنه بمنزلة النائم وليس بنائم وهو ميت ،  
 وعلى رأسه تين وخاتمه في الشمال . قال : وكان ذلك سليمان بن داود ، ومُلك سليمان  
 في خاتمه ، وكانت حلقتة من ذهب وفصّه من ياقوت أحمر مربع ، مكتوبٌ عليه  
 أربعة أسطر ، في كل سطر اسمٌ من أسماء الله الأعظم . وكان عند عفَّان علمٌ من  
 الكتاب ، فقال بلوقيا : مَنْ هذا ؟ قال : هذا سليمان بن داود ، نريد أن نأخذ خاتمه

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

- فتملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم . فقال بلوقيا :  
 أليس قد سأل سليمان ربه : « رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » فأعطاه  
 الله إياه على ما سأل ، ولا يُنال ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه . فقال عفان :  
 يا بلوقيا اسكُتْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَمَعَنَا أَسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ، ولكن أنت يا بلوقيا فأقرأ  
 التوراة . فتقدم عفان لينزع خاتم سليمان من إصبعه ، فقال التَّيْنِ : ما أجراك على الله !  
 ٥ إن غلبتنا بِأَسْمِ اللَّهِ فنحن نغلبك بقوة الله . قال : فكلمنا نفخ التَّيْنِ ذكر بلوقيا  
 أَسْمَ اللَّهِ ، فلم تعمل نفخات التَّيْنِ فيهما . ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من إصبع  
 سليمان ، فأشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول جبريل من السماء ، فلما نزل صاح بهما صيحة  
 ارتجعت الأرض والجبال وتزلزلت منها واختلطت مياه البحار وماجت وآلتطمت  
 حتى صار كل عذب ملحا من شدة صيحته ، وسقط عفان على وجهه ، ونفخ التَّيْنِ  
 ١٠ نخرجت من بطنه شعلة نار كأنها البرق الخاطف ، فاحترق عفان وعادت نفخته  
 في البحر فما مرَّت البرقة بشئ إلا أحرقتة ولا بماء إلا أجاشته وأغلته . وذكر بلوقيا  
 أَسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ فلم ينله مكروه ، ثم تراءى له جبريل في صورة رجل فقال له : يا ابن آدم  
 ما أجراك على الله تعالى ! فقال له بلوقيا : مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ قال : أنا جبريل أمين  
 رب العالمين . قال له يا جبريل ، إنما خرجتُ حبا لمحمد ودينه ولم أقصد الخطأ  
 ١٥ ولم أتعمد . قال : فبذلك نجوت . ثم صعد جبريل إلى السماء ، ومضى بلوقيا فطلى  
 قدميه بذلك الدهن فأضلَّ الطريق الذي جاء منه وأخذ في طريق آخر ، وسار فقطع  
 ستة أبحر ووقع في السابغ فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران  
 وأشجارها النخل والرمان . قال بلوقيا : ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت !  
 ٢٠ ثم دنا من بعض تلك الأشجار فتناول من ثمرها ، فقالت الشجرة : يا خاطئ ابن الخاطئ

(١) الورس : نبات كالسمسم أصفر يزرع بالين ويصغ به ويخذ منه النمرة (طلا). للوجه فاذا  
 جف عند إدراكه تفتقت خراطة فينفض فينفض منه الورس .

لا تأخذ مني شيئا . فتعجب ، وإذا بجيال الشجرة قوم يترأ كضون ، بأيديهم سيوفٌ  
 مسلولة ، يتناوش بعضهم بعضا بالطعن والضرب . فلما رأوا بلوقيا طافوا به وأحدقوا  
 من ورائه وهموا به سوءا ، فذكر اسم الله فهابوه وعجبوا منه وأغمدوا سيوفهم وقالوا  
 بأجمعهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ثم قالوا له : مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قال :  
 أنا من بنى آدم اسمي بلُوقِيَا . قالوا : نعرف آدم ولا نعرفك فما أوقعك إلينا ؟ قال :  
 إني خرجت في طلب نبيّ يسمّى محمدا وإني قد ضللتُ عن الطريق الذي أردته فرأيت  
 من الأهوال كذا وكذا . قالوا : يا بلوقيا نحن من الجنّ مؤمنون ، ونحن مع ملائكة  
 الله في السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقاتلنا كفرّة الجنّ ونحن هاهنا مقيمون نغزوهم  
 ونجاهدهم إلى يوم القيامة ، ولسنا نموت إلى يوم القيامة وأنت لا تصبر معنا . فقال  
 بلوقيا لملك الجنّ : يا صخره ، أخبرني عن خَلْقِ الجنّ كيف كان ؟ قال : لما خلق الله  
 جهنّم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسن ، خلق منها خَلْقَيْنِ : خلق في سمائه [ سماء <sup>(١)</sup> ]  
 حيليت <sup>(٢)</sup> ، وخلق في أرضه [ سماء <sup>(١)</sup> ] تمليت <sup>(٣)</sup> . فأما حيليت فإنه خلق على صورة أسد ،  
 وتمليت في صورة ذئب ، وجعل الأسد ذكرا والذئب أنثى ، وجعل طول كل  
 واحد منهما مسيرة خمسمائة عام ، وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب ، وذنب  
 الأسد بمنزلة الحية ، وأمرهما أن ينفضا في النار أنتفاضة ففعلا ، فسقط من ذنب  
 الذئب عقارب <sup>(٤)</sup> ، ومن ذنب الأسد حيات <sup>(٥)</sup> . فعقارب جهنّم وحياتها من ذلك .  
 ثم أمرهما أن يتناكحا ففعلا ، فحمل الذئب من الأسد فولد سبعة بنين وسبع بنات .  
 فأوحى الله تعالى إليهم أن يزوج البنات من البنين كما أمر آدم ، فستة بنين

٤٤  
١٢

(١) النكحة عن النعلبي . (٢) في النعلبي : « جيليت » . (٣) في النعلبي : « يمليت » .

(٤) كذا في النعلبي . وفي الأصول : « عقرب » .

(٥) كذا في النعلبي . وفي الأصول : « حية » .

- أطاعوا وواحد لم يطيع ولم يتزوج فلعبه أبوه وهو إبليس . وكان اسمه الحارث ، وكنيته أبو مرة ؛ فهذا أول خلق الجن . ثم قال له : يا بلوقيا إن دوابنا لا تثبت مع الإنس ولكن أجتل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف راكبه ، فأركب عليه على اسم الله تعالى ؛ فإذا انتهيت إلى أقصى أعمالي<sup>(١)</sup> على ساحل بحر كذا وإذا شيخ وشاب ومشايخ معهما فإنك ستلقاهما هناك فأدفع الفرس إليهما وأمض في حفظ الله راشدا . جَاء
- بلوقيا على الفرس حتى انتهى إليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعه إليهما . وكان قد فصل من عند ملك الجن عند صلاة الغداة ووصل إليهما نصف النهار . فقالا لبلوقيا : مذكم فارقت الملك ؟ قال : فارقه غدوة . فقالا له : ما أسرع ما جئت ! قد أتعبت فرسنا . فقال بلوقيا : والله ما مددت إليه يدا ولا حرّكت عليه رجلا ولم أركضه عنفا . قال : صدقت ولكن فرسنا أحسن بك وبمزلتك ، فطار
- ما بين السماء والأرض ليريح نفسه منك ، فكم تراه جاء بك ؟ قال : خمسة فراسخ أو أقل أو أكثر . قال : بل جاء بك مسيرة مائة وعشرين سنة ، وكان يطير بك بين السماء والأرض حول الدنيا دون « قاف » وأنت لا تعلم . خولوا عنه السرج والجمام والبرقع وإذا العرق يقطر من كل شعرة منه ، وله جناحان انقضا من كثرة الطيران . فقال بلوقيا : هذا والله العجب . فقالوا : يا بلوقيا عجائب الله لا تتقصى . ثم سلم عليهم ومضى فركب اليم . فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك : من أنت أيها الخلق المخلوق ؟ فقال : أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم . ثم قال له : أيها الملك ما اسمك ؟ قال : [ اسمي يوحنايل وأنا موكل بضوء النهار وظلمة الليل . فقال : فما بال يديك مبسوطتين ؟ فقال له : في يدي اليمنى ضوء النهار ،

(١) في التعليق : « أقصى عمار » . (٢) في التعليق : « وبنقلك » .

وفي يدي اليسرى ظلمة الليل، ولو سبق النهار الليل لأضاءت السموات والأرضون، ولم يكن الليل أبدا، ولو سبقت الظلمة النور لأظلمت السماء والأرض ولم يكن ضوء أبدا. وبين يديه لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وستر أسود، فإذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة، وإذا رأيت السواد يزيد زدت الظلمة، وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت في البياض والنور، وإذا انتقص نقصت؛ فلذلك الليل في الشتاء أطول والنهار أقصر؛ وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر. ثم سلم بلوقيا ومضى، فإذا هو بملك قائم يده اليمنى في السماء وبده اليسرى في الأرض في الماء تحت الثرى وهو يقول: لا إله الله محمد رسول الله. فسلم عليه بلوقيا، فقال له: من أنت وما اسمك؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد آدم. قال له بلوقيا: أيها الملك ما اسمك؟ قال<sup>(١)</sup>: اسمي ميخايل<sup>(٢)</sup>. قال: فإلى أراك يمينك في السماء وشمالك في الماء؟ قال: أحبس الريح يميني والماء بشمالى، ولو رفعت شمالي عن الماء لزحرت البحار كلها في ساعة واحدة ولطمت بإذن الله تعالى، ويدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن بني آدم لأن في السماء ريحا يقال لها الهامة<sup>(٣)</sup> لو أرسلتها لقتلت من في السماء ومن في الأرض من بردها. فسلم عليه بلوقيا ومضى، وإذا بأربعة من الملائكة، أحدهم رأسه كرأس الثور؛ والآخر رأسه كرأس النسر؛ والثالث رأسه كرأس الأسد؛ والرابع رأسه كرأس الإنسان. فالذى رأسه كرأس الثور يقول: اللهم ارفع العذاب عن البهائم، وأرفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف، وأجعل لهم في قلوب بني آدم الرأفة والرحمة كيلا يكرهن ولا يكفوهن فوق طاقتهم،

(١) التكملة عن الثعلبي . (٢) في أ « ميخايل » . وفي الثعلبي : « صمحايل » .  
 (٣) في الثعلبي : « الهامة » . (٤) في الأصول بعد قوله « كرأس الثور » هذه العبارة : « وهو يقول : اللهم ارحم البهائم » ولعلها مقحمة من الناسخ لأنها ستذكر بعد سطور ولم ترد في الثعلبي .  
 (٥) كذا في الثعلبي . وفي الأصول : « كيلا يكرههم ولا يجهلهم فوق طاقتهم » .



- وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . وأما الذى رأسه كراس النسر فيقول : اللهم ارحم الطيور ولا تعذبها ، وأدفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .
- وأما الذى رأسه كراس الأسد فإنه يقول : اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وأدفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .
- وأما الذى رأسه كراس الإنسان فإنه يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، اللهم أرحم المسلمين ولا تعذبهم وأدفع عنهم حر النار ، وأجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . فسلم عليهم ومضى حتى أتى على جبل قاف وإذا هو بملك قائم على قاف ، وهو جبل محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء . فسلم بلوقيا على الملك ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم .
- فقال الملك : وأين تريد ؟ قال : خرجت في طلب من يسمى محمدا ، ولست أرى أمره ولا أدرى في أى بلاد أنا . فقال الملك : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قد أمرنا بالصلاة على محمد . قال بلوقيا : أيها الملك ، ما اسمك ؟ قال : اسمى حزقيايل . قال : وما تصنع هنا ؟ قال : أنا أمين الله على قاف ، وإذا في يده وتر مرة يعقده ومرة يحلله ، وعروق الأرض كلها مشدودة عليه والوتر في كف الملك [قال : (١) فإذا أراد الله أن يضيق (٢) على عباده أمرنى أن أمد الوتر وأعقده وأرتق عروق الأرض فتضيق الدنيا على العباد والبلاد . وإذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرنى أن أرخي الوتر وأفتق عروق الأرض فتتسع الدنيا على العباد والبلاد . وإذا أراد أن يخوف قوما أمرنى أن أحرك عروق تلك الأرض ، فمن أجل ذلك موضع يهتر وموضع لا يهتر ، وموضع يتزلزل وموضع

٤٥  
١٢

(١) الكلمة عن الثعلبي .

(٢) أرتق : أسد وأغلق .

لا يتزلزل . قال بلوقيا : أيها الملك ، ما وراء قاف ؟ قال : وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها ، في كل دنيا أربع مائة ألف باب <sup>(١)</sup> ، في كل باب أربعة آلاف ضعف مثل الدنيا التي جئت منها ، وليس فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب عليها حجب من نور ، وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا إبليس ولا جهنم وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لذلك ألهموا وله خلّقوا وبه أمرنا إلى يوم القيامة . قال بلوقيا : فما وراءهم ؟ قال : حجب وراء الحجب علم الله وقدرته . قال بلوقيا : أخبرني أيها الملك على أي شيء هذا الجبل موضوعا ؟ قال : على قرني ثور وأسمه قرياطيه وهو أبيض ، رأسه بالشرق ومؤخره بالمغرب ، وما بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه على صخرة بيضاء . قال بلوقيا : أيها الملك ، كم الأرضون ؟ وكم البحار ؟ قال : الأرضون سبع ، والبحار سبع . قال : فجهنم أين هي ؟ قال : تحت الأرض السابعة . قال : فسلم بلوقيا عليه ومضى حتى انتهى إلى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء ، عليه باب مقفل وعليه خاتم من نور ، وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كراس الثور ، والآخر رأسه كراس الكبش و بدنه كبدين الثور وهما يقولان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال : فسلم بلوقيا عليهما فردّا عليه السلام وقالا : أيها الخلق الضعيف المخلوق من أنت ؟ وما أسمك ؟ قال : أسمى بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد آدم . فقالا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، هذه أسامي ما عرفناها . قال بلوقيا ؟ كيف عرفتم محمداً ولم تعرفوا آدم ومحمد من نسله ؟ . فقالا : لهذا خلّقنا وبذلك أمرنا ، ولم نسمع بأسم آدم ولا إسرائيل . فقال بلوقيا : افتح لي الباب حتى أجوز . فقالا : ما نحسن فتحه ، وإن الله في السماء مَلَكَا أَسْمه

(١) كلمة « ألف » ليست في النسخة .

(٢) في النسخة المخطوطة هكذا : « مرسته وهو أنبط » . وفي المطبوعة : « واسمه يهيموت وهو أبيض » .

- جبرائيل عسى أن يقدر على فتحه . فدعا بلوقيا ، فأمر الله تعالى جبريل فنزل عليه وفتح الباب ، ثم قال : يا بن آدم ما أجراك على الله ! . ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين : بحر مالح وبحر عذب . فلما وصل إليهما رأى بينهما حاجزا ، وفي البحر المالح جبل من ذهب ، وفي البحر العذب جبل من فضة ، وبينهما ملك على صورة النمل ومعه ملائكة على تلك الصورة . فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له : من أنت ؟
- فأخبرهم بقصته . ثم قال بلوقيا : من أنتم ؟ قالوا : نحن أمناء الله تعالى على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان . فقال لهم بلوقيا : ما هذا الجبل الأحمر ؟ قالوا : هذا كثر الله في الأرض وكل ذهب في الأرض إنما هو من نصاب هذا الجبل ، وكل ما في الدنيا من ماء عذب هو من هذا البحر . وهذا البحر إنما يجيء من تحت العرش من قبل أن خلق الله تعالى الملائكة ، وكل ما يجري من ماء مالح فهو من ذلك البحر الملح . وهذا الجبل الأبيض هو من فضة وهو كثر الله تعالى ، وكل كثر في الدنيا وكل معدن فضة فهو من عروق هذا الجبل . فسلم بلوقيا عليهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم ، فإذا هو بحيتان كثيرة عظيمة وقد اجتمعت وبينها حوت عظيم يقضى بين الحيتان . فلما نظر الى بلوقيا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- فسلم بلوقيا وأخبره بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج في طلبه ، فرد السلام ثم قال : يا بلوقيا ، إن لقيت محمدا فأقرئه مني السلام . فقال : نعم إن شاء الله . ثم قال : أيتها الحيتان إنني جائع عطشان وماء البحر ملح وما أجد ما آكل . فقال الحوت الأعظم : يا بلوقيا سأطعمك طعاما تسير أربعين سنة لا تعب ولا تجوع ولا تعطش ، قال : فأطعمه ذلك الحوت قُرصا أبيض ، فأكله ومضى حتى بلغ العُمران . قال : ومن قبل أن يبلغ العُمران رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر . فقال له بلوقيا : من أنت ؟ قال : سَلِ الذي خَلْفِي . فسار بلوقيا يوما

وليلةً فإذا هو بآخر يميز على الماء ضوءه كضوء النجوم . فقال له بلوقيا : يا فتى ، من أنت ؟ قال : سل الذى خلفى . فسار بلوقيا يوما وليلةً ، فإذا هو بشاب كأنه القمر يلوح فى آخر الشمس ، فقال بلوقيا : <sup>(١)</sup> أنشدك الله إلا وقفت . قال : فوقف وقال : لماذا استخلفتنى ؟ قال : خشيت أن تفوتنى مثل أصحابك الماضين ، فمن كان الأول ؟ قال : إسرائيل صاحب الصور ، والثانى ميكائيل صاحب المطر ، والثالث جبرائيل أمين رب العالمين . فقال بلوقيا : ما ذا تصنعون فى اليم ؟ قال جبريل : حية من حيات البحر قد آذت سُكَّانَه ، فدَعَوْا الله عليها فاستجاب الله دعاءهم وأمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة . قال بلوقيا : كم طولها وكم عَرْضُها ؟ قال : طولها مسيرة ثلاثين سنة ، وعَرْضُها مسيرة عشرين سنة . فقال بلوقيا : يا جبريل ، أكون فى جهنم مثل هذه أو أكبر منها ؟ فقال جبريل : إن فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه فى أنف إحداهن ولا تشعر بها من عِظَم خَلْقِها . فسلم بلوقيا عليه ومضى الى جزيرة أخرى ، وإذا هو بغلام أمرد بين قبرين ، فسلم عليه بلوقيا وقال : يا شاب ، من أنت وما اسمك ؟ قال : اسمى صالح . قال : فما هذان القبران ؟ قال : أحدهما أبى والآخراُمى ، كانا سائحين فماتا هاهنا ، وأنا عند قبريهما حتى أموت . فسلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة ، فإذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر رأسه من ذهب ، وعيناه من ياقوت ، ومنقاره من لؤلؤ ، وبدنه من زعفران ، وقوائمه من زُمرّد ، وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعامٌ وحوتٌ مشوى . فسلم عليه بلوقيا فردّ عليه الطائر السلام . فقال بلوقيا : أيها الطائر من أنت ؟ قال : أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى بعثنى الى آدم بهذه المائدة لما هبط من الجنة وكنت معه حتى لقي حواء ، وأنا هاهنا من ذلك

(١) كذا فى الأصول ونسخة الثعلبي المطبوعة ، وفى نسخة الثعلبي المخطوطة : « آخر الشهر » .

الوقت، وكلّ غريبٍ وعابرٍ سبيلٍ يمرّ بها ويأكل منها، وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة . فقال بلوقيا : ولا تتغيّر ولا تنقص ! قال : طعام الجنة لا يتغيّر ولا ينقص . فقال بلوقيا : كُلْ فأكل حاجته، ثم قال : أيها الطائر، هل معك أحدٌ ؟ قال : معي أبو العباس يأتيني أحيانا . قال : ومن أبو العباس ؟ قال : الخضر . فلمّا ذكر اسمه اذا هو بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثيابٌ بيضٌ . قال :  
 فما خطا خطوةً إلّا نبت الحشيش تحت قدميه . فسلمّ عليه بلوقيا وسأله عن حاله . قال بلوقيا : قد طال غيبتى وأريد أن أرجع الى أُمّي . قال الخضر : بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة ، أنا أردّك في مسيرة خمسمائة شهر . قال الطائر : إن كان بينك وبين أُمّك مسيرة خمسمائة سنة أنا أردّك مسيرة خمسمائة يوم . قال الخضر : أنا أردّك إليها في ساعة ثم قال : غمّض عينيك فغمّضهما ثم قال له : افتحهما ففتحهما، وإذا هو عند أُمّه جالس . فسألها : من جاء بي ؟ فقالت : جئت على متن طائر أبيض يطير بين السماء والأرض فوضعت قدّامى . قال : ثم إن بلوقيا حدّث بنى إسرائيل بما رأى من العجائب والأخبار، فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا . فهذا ما كان من حديث بلوقيا . والله أعلم .

جروب  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ

## الباب الخامس

### من القسم الثالث من الفن الخامس

في أخبار زكريّا وأبنه يحيى وعمران ومريم وعيسى بن مريم عليهم السلام

ذكر نسب زكريّا وعمران عليهما السلام وما يتصل بذلك

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى : هو زكريّا بن برخيا بن آذن بن مسلم  
أبن صدوق بن نخشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناحور بن شلوم  
أبن نهفاشاط بن أنبا بن لبنا بن رجبم بن سليمان بن داود عليهم السلام .

وعمران بن ماثان . وقال ابن اسحاق : هو عمران بن باسهم بن أمون بن منسى بن  
حزقيا بن أحزيق بن يوثام بن عزاريا بن أنصيا بن ناوش بن يارم بن يهفاشاط بن  
أنبا بن لبنا بن رجبم بن سليمان بن داود .

وكان زكريّا وعمران متزوجين باختين ، فأمرأة زكريّا أسباع ، وقيل بليشفع بنت  
فاقود وهى أم يحيى . وأمرأة عمران حنة بنت فاقود وهى أم مريم بنت عمران .

قالوا : وكان زكريّا نجارا قبل أن يبعث نبيا ، وكان كثير العبادة ، وكان  
بيت المقدس قد خلا من الأنبياء ، فبينما زكريّا فى محراب جدّه داود عليه السلام  
وقد أنفقت عن صلاته إذ هبط عليه جبريل بوحي الله تعالى ونبوته ، وأعلمه أن

(١) والذى فى تاريخ الطبرى (ص ٧١٢ من القسم الأول طبع أوربا) عن ابن اسحاق أيضا : « عمران  
ابن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحزيق بن يوثام بن عزاريا بن أمصيا بن ناوش بن أحزيو بن يارم  
ابن يهشافاط بن أسا بن أبيا بن رجبم بن سليمان ... الخ » . ونسبه كما يؤخذ من تتبع أسماء جدوده  
فى الكتاب المقدس هو : « عمران بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن آحاز بن يوثام بن عزاريا بن  
أمصيا بن يوشا بن أحزيا بن يورام بن يوشافاط بن أسا بن أبيام بن رجبم بن سليمان » .

(٢) انقضى عن الصلاة إذا انصرف عنها .

- الله تعالى قد بعثه رسولا إلى بنى إسرائيل . نفخ زكريا ساجداً لله تعالى على ذلك ، وخرج إلى بنى إسرائيل ودعاهم ، فكذب به بعضهم وصدقه آخرون . فأقام زكريا في بنى إسرائيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعمران يعبد الله . وكان زكريا وعمران لم يرزقا الولد . فبينما حنة ذات يوم جالسة إلى جانب عمران إذ رأت حمامة تزق فرخا لها ، فبكت شوقا منها إلى ولد ، وذكرت ذلك لزوجها عمران فقال :  
 قومي ندعو الله ربنا في ذلك ، فقاما جميعا وصليا ودعوا الله تعالى أن يرزقهما ولدا ، فرأى عمران في منامه إن الله قد استجاب دعاءك . فقام إلى زوجته فواقعها فحملت منه ، وقالت ما أخبر الله تعالى عنها . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> . قال : وكان الناس في ذلك الزمان يتقربون إلى الله عز وجل بتحرير أولادهم ، وكانوا يخدمون بيت المقدس في صغرهم إذا بلغوا ، فمن أحب أن يقيم على الخدمة أقام ، ومن آختار الانصراف انصرف .

### ذكر ميلاد مريم بنة عمران عليه السلام

- قال الكسائي : ولما حررتها أمها لله تعالى قال لها زوجها : إنك حررت ما في بطنك ، فإن كان أنثى كيف يكون محررا ؟ فأغتمت لذلك حتى وضعت مريم .  
 قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(٢)</sup> ثم قالت : « رب إني كنت نذرت لك ما في بطني محررا فتقبلها مني » . قال

(١) سورة آل عمران آية ٣٥

(٢) سورة آل عمران آية ٣٦

- الله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا <sup>(١)</sup> 》 . قال : ثم حملتها حتى دخلت بيت المقدس وزكريا هناك في نقر من عبّاد بنى إسرائيل ، فقال لها : ماهذه يا حنة ؟ قالت : هذه أبتنى مريم ، قد جعلتها محزنة وقد قبلها الله مني فأقبلوها ولا تردوها ، فأقبل بنو إسرائيل على زكريا وقالوا : ماتقول في هذه ؟ قال : لا بد لها من مكمل إلى أن تبلغ مبلغ الخدمة ثم تكون خادمة في المسجد . قالوا : أينما يكفلها ؟ قال زكريا : أنا أولى بها لأني زوج خالتها ، ولكننا نفتقر ، فأخذوا أقلامهم وصاروا إلى عين سلوان <sup>(٢)</sup> وقالوا : نربي بأقلامنا فيها فأينما وقف قلمه فهو الذي يكفلها ، فالتقوها فرسبت أقلامهم جميعا إلا قلم زكريا فإنه طفا وغالب الحرية ، فأخذها وأسترضع لها بعض نساء بنى إسرائيل . ثم مات عمران والد مريم . قال : وبني لها زكريا بيتا لا يصعد إليه إلا بسلم ، وكان لا يصعد إليها إلا زكريا يحمل إليها الطعام ، وابن خال لها يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان من العباد المحررين ، وكان زكريا إذا صعد إليها وجد عندها في الصيف فواكه الشتاء ، وفي الشتاء فواكه الصيف ، فيعجب من ذلك . قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ <sup>(١)</sup> 》 . ١٥

(١) سورة آل عمران آية ٣٧

- (٢) سلوان : محلة في ربض مدينة بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقي جنانا عظيمة وقفها عثمان ابن عفان رضي الله عنه على ضعفاء البلد . قال عبيد الله الفقير : ليس من هذا الوصف اليوم شيء لأن عين سلوان محلة في وادي جهنم في ظاهر بيت المقدس لا عمارة عندها البتة إلا أن يكون مسجدا أو ما يشابهه وليس هناك جنان ولا ربض . ولعل هذا كان قديما . والله أعلم . (عن معجم البلدان لياقوت) . ٢٠



## ذكر دعاء زكريا أن يرزقه الله عز وجل الولد ومولد يحيى بن زكريا

- قال الكسائي : فلمّا نظر زكريّا الى ما رَزَقَ الله عزّ وجلّ من الفاكهة في غير وقتها قال : إن الذي رزق هذه الفواكه لقايدٌ على أن يرزق من العجوز العقيم والشيخ الكبير الولد . قال الله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾<sup>(١)</sup> . قال : ولمّا أراد زكريّا أن يدعو استجيا من الله تعالى ، فجلس سبعة أيام ثم قام الى المحراب ووافق ذلك يوم عاشوراء ، فكلمه المحراب بإذن الله تعالى وقال : يا زكريّا ، أوجدت ربك بخيلا ! يا زكريّا إن ربك أبدا رحيم . فعند ذلك عزم على الدعاء واجتهد في العبادة ، ثم رفع يديه « ونادى ربّه نداءً خفياً » معناه أخفاه عن قومه « قال ربّ إني وهنَ العظمُ مني واشتعلَ الرأسُ شيباً » يعني غلب بياضه على سواده « ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً » معناه لم تخيبنني في الدعاء « وإني خفتُ الموالِي من ورأى » يعني الذرية من بعدى أن تصير الجبورية في غير أولاد الأنبياء « فهبّ لي من لدنك وليّاً يرثني ويرثُ من آل يعقوب » يعني مكاني وحبوريّ والتابوت الذي فيه وأقلام المحرّرين ومفاتيح القُربان ، ثم قال : « وأجعلهُ ربّ رضيّاً » في بني إسرائيل . فاستجاب الله تعالى دعاءه وأمر جبريل أن ينزل عليه بالبُشرى فأتاه وأنته الملائكة وأحدقوا بالمحراب . قال الله تعالى : ﴿ فَنادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾<sup>(٢)</sup> الآية . وقال تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ

٤٨  
١٢

(١) سورة آل عمران آية ٣٨

(٢) سورة آل عمران آية ٣٩

مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا \* قَالَ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١).  
 ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٢)﴾ . قال الكلبي : كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن آنتين وتسعين سنة . وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان ابن مائة وعشرين سنة . وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين .

قالوا : ولما جامع زكريا امرأته آغتسل وعاد الى محرابه ، بفجاءته نساء بنى إسرائيل وقالوا له : نرى أمرك أعجب من امرأتك ، فذهب زكريا ليتكلم فلم يقدر على الكلام ، فعلم أن امرأته قد حملت فكتب لهم في الأرض ، إنى لا أقدر على الكلام ثلاثة أيام .

قال الثعلبي رحمه الله : فإن قيل : لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة ؟ أكان ذلك شكاً في وحيه ؟ ، أم إنكاراً لقدرته ، وهذا لا يجوز أن يُوصَفَ به أهل الإيمان فكيف الأنبياء ؟ ! فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي : إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال : يا زكريا إن الصوت الذى سمعتَ ليس من الله إنما هو من الشيطان يخبرك ، ولو كان من الله لأوحاه إليك خفياً كما ناديت خفياً وكما يوحى إليك فى سائر الأمور ؛ فقال ذلك دفعاً للوسوسة . قال : وفيه جواب آخر ، وهو أنه لم يشك فى الولد وإنما شك فى كفيته والوجه الذى يكون منه الولد فقال : أتى يكون لى ؟ أى كيف يكون لى ولد ؟ أتجعلنى وامرأتى شابين أو ترزقنا على كبرنا ، أو ترزقنى من امرأة عاقرة ، أم من غيرها من النساء ؟ فقال

(١) سورة مريم آية ٩

(٢) سورة آل عمران آية ٤١

ذلك مستخبرا لا مستنكرا . وهذا قول الحسن . « قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس » تكف عن الكلام ثلاثة أيام وتقبل بكلماتك على عبادتي وطاعتي ؛ لأنه ما حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه ؛ ويدل عليه قوله : ﴿ وأذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ . هذا قول قوم من أهل المعاني . وقال آخرون : عيّل لسانه عقوبة له لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه ، فلم يمدّر على الكلام ثلاثة أيام ، لأنهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا .

قال : وفي بعض الأخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فغدّى بأنهار الجنة حتى قطم ثم أنزل الى أبيه ، فكان يضيء البيت لنوره .

وآختلفوا في تسميته يحيى ولم سمي بذلك ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه . وقال قتادة وغيره : لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والنبوة . وقال الحسين بن الفضل : لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهجم بمعصية . وقيل : سمي بذلك لأنه أسشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

ويحيى أول من أقر بعيسى عليه السلام وصدقه ؛ وذلك أنه لما كان في بطن أمه استقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، فقالت لها أم يحيى : يا مريم ، أحامل أنت ؟ فقالت : لماذا تقولين ؟ قالت : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ؛ فذلك تصديقه وإيمانه . وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، وقيل قبل رفع عيسى . وقوله تعالى فيه : ﴿ وسيدا وحصورا ﴾ قال ابن جبير : السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال الضحاك : السيد الحسن الخلق . وقال عكرمة : السيد الذي لا يغضب . وقال سفيان : السيد الذي لا يحسد . وحصورا ، قال

آبن مسعود وآبن عباس وغيرهما : هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن ، فعول بمعنى فاعل ، يعنى أنه حَصَرَ نفسه عن الشهوات : وقال المبرد : الحَصُور : الذى لا يدخل فى اللعب ولا الباطل .

### ذكر صفة يحيى بن زكريا وحليته

- ٥ قال كعب الأحبار : كان يحيى بن زكريا عليهما السلام حسن الوجه والصورة ، لين الجناح ، قصير الأصابع ، طويل الأنف ، مقرون الحاجبين ، رقيق الصوت ، كثير العبادة ، قوياً فى طاعة الله عز وجل وقد ساد الناس فى عبادته .

### ذكر نبوة يحيى عليه السلام وسيرته وزهده

- ١٠ قال الله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا <sup>(١)</sup> 》 . قيل : هو أن يحيى عليه السلام قال له أقرانه من الصبيان : يا يحيى اذهب بنا نلعب ، فقال : أَللَّعِبُ خُلِقْتُ ! . وقال الآخرون : هو أنه نبي وهو صغير ، وكان يعظ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم يدعوهم الى الله تعالى ، ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس . ولما بعثه الله عز وجل إلى بنى إسرائيل أمره أن يأمرهم بنحو خمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً :

- ١٥ أمرهم أن يعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئاً وقال : مَثَلُ الشَّرِكِ مَثَلُ رَجُلٍ اشترى عبيداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالاً يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ، ويؤدون إليه فضل الربح ، فعمد العبيد إلى فضل الربح فدفعوه إلى غير سيدهم .

وَأَمَرَهُم بِالصَّلَاةِ وَقَالَ : إِنْ مَثَلَ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى مَلِكٍ فَأَذِنَ لَهُ وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ لِيَسْمَعَ مَقَالَتَهُ وَيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ الرَّجُلُ أَلْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَمْ يَهْتُمْ بِحَاجَتِهِ ، فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ وَلَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ .  
وَأَمَرَهُم بِالصَّدَقَةِ وَقَالَ : مِثْلُهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَشْتَرَى مِنْهُمْ نَفْسَهُ بِثَمَنٍ مَعْلُومٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ فِي بِلَادِهِمْ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مِنْ كَسْبِهِ الْقَائِلَ وَالكَثِيرَ حَتَّى وَفَى ثَمَنَهُ فَأُعْتُقَ .

وَأَمَرَهُم بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ : مِثْلُ الذِّكْرِ مِثْلُ قَوْمٍ لَهُمْ حِصْنٌ وَلَهُمْ عَدُوٌّ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرِ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ ، كَذَلِكَ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ .

وَأَمَرَهُم بِالصِّيَامِ وَقَالَ : مِثْلُهُ كَالْحِجَّةِ<sup>(١)</sup> لَا يَصِلُ عَدُوُّهُ إِلَيْهِ . وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ كَثِيرٌ التَّقَشُّفِ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ وَالسِّيَاحَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### ذِكْرُ مَقْتَلِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَأَبِيهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

اختلف العلماء في سبب قتل يحيى ؛ فقال بعضهم : كان يحيى عليه السلام في زمن مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَتْ لَهُ أَمْرَأَةٌ وَهِيَ بِنْتُ مَلِكٍ صَيْدَا ، وَكَانَتْ قَتَالَةً لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَكَانَتْ عَاهِرَةً تَبْرُزُ لِلنَّاسِ ، وَكَانَ يَحْيَى يَزْجُرُهَا

(١) الجنة (بضم الجيم المعجمة) : كل ما وقى من سلاح . وفي العبارة إيجاز والمعنى المراد واضح .  
(٢) صيدا (بالقصر والمدة) : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق ، شرق صور ، بينهما ستة فراسخ . كان لها في القرن السابع عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد شهرة عظيمة في التجارة والحضارة ، وتفوق كبير في الملاحة . ولما انتقلت السيادة إلى جارتها مدينة صور حفظت مركزها أيضا وبقيت قاعدة مملكة كنعان . فتحها المسلمون في خلافة عمر سنة ٦٣٨ م (١٧ هـ) . (راجع تاريخ صيدا ومعجم الحر بطة النار يخبية) .

- عن ذلك ويقول لها : لا تُبرزين كاشفةً عن وجهكِ . وكان كثيرا ما يقول لها : مكتوبٌ في التوراة : إن الزناة يُوقَفُونَ يوم القيامة وريحهم أتنٌ من الحيف . فأمرت يحيى فسُجِنَ . وكان قد حُبِسَ رجلٌ من أبناء الملوك ، وكان يختلف إليها ، فعلم بها وبه يحيى فزجره ، فبلغ ذلك امرأة الملك فعملت بنتا لها وأستقبلت بها زوجها . فقال : لم فعلت ذلك ؟ فقالت : وَجَبَ لها عليك حق . فقال : سَلِّيني ماشئت . فسألته أهل السجن . فظنَّ أنها ترحمهم وتسرحهم فقال : قد فعلت . فأمرت المرأة بأهل السجن فعرضوا . فلما مرَّ يحيى أمرت به فذُبح في طست ثم حملت الطست إلى أبيها بأمر أمها وقالت : أيها الملك ، إني ذبحت لك ذبيحةً من أعظم ما وجدتُ ، ولو كان مثله ألفاً لذبحتهم لك . فقال : ومن هو ؟ قالت : يحيى بن زكريا . قال : هلكت وأهلك أبو يرك . فغير الله ما بهم من النعم ، وسلط عليهم عدوهم فذبح البنت وأبويها ، وسلط عليهم الكلاب حتى أكلتهم . وقال الثعلبي في تفسيره : والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار قال : عبرت بنو إسرائيل بعد ما عمرت الشام ، وعادوا إليها بعد خراب مُجْتَنَصَرٍ إياها وسببهم منها ، بفعلوا بعد ذلك يُحدثون الأحداث بعد مهلك عزيز عليه السلام ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الأنبياء ، ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله تعالى فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام . فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيهِ الملك عن نكاح أبنته في قول عبد الله بن الزبير ، وأبنة أمراته في قول السُّدِّي ، وأبنة أخيه في قول ابن عباس رضى الله عنهما وهو الأصح إن شاء الله تعالى ؛ لِمَا رَوَى الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم

(١) كذا في الأصول !

- السلام في آثني عشر من الحواريين يعلمون الناس ، فكان مما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ . قال : وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها ، وكانت لها في كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها أنه نهى عن نكاح بنت الأخ قالت [لأبتها : اذا دخلت على الملك فسألك فقولى له : حاجتي أن تذب لي يحيى بن زكريا . فلما دخلت عليه سألتها حاجتها قالت : حاجتي أن تذب لي يحيى بن زكريا . فقال : [سأبني غير هذا . قالت : لا أسألك إلا هذا . فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبجه فيه ، فندت من دمه قطرة على الأرض ، فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل ملك بابل ، فقتل عليها من بني إسرائيل حتى سكنت . وقد تقدم أيضا خبر مقتله ، وأن بختنصر هو الذي قتل على دمه حتى سكن . والصحيح أن بختنصر إنما قتل بسبب قتل شعيا عليه السلام .

١٠

قال الثعلبي أيضا : وقال علماء النصارى : إن قتل يحيى كان على يدى ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له هيرودس بسبب امرأة يقال لها هردوبا ، كانت امرأة أخ له يقال له فلطوس ، عشيها فوافقته على الفجور ، فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له ، فسألت المرأة هيرودس أن يأتيها برأس يحيى ففعل ، ثم سقط في يده وجرع جرعا شديدا .

١٥

وقال كعب : كان يحيى عليه السلام من أحسن الناس وجها وأجلهم في زمانه ، فأحبته امرأة الملك الذى كان في ذلك الزمان حباً شديدا ، فأرسلت اليه تراوده ،

(١) التكملة عن الثعلبي والطبري (ص ٧١٣ من القسم الأول) . وعبارة الأصول : « عن نكاح

بنت الأخ قالت : تذب يحيى بن زكريا قال » وهي مضطربة من النامخ .

٢٠

(٢) راجع (ص ١٥٧) من هذا الجزء .

(٣) يقال لكل من ندم أو حزن وتحسر على فائت من فعل أو ترك أو عجز : قد سقط في يده .

فأرسل إليها أنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يظأ فراشه . فلما جاءها الرسول غصبت وقالت : كيف لي أن أقتله حتى لا يخبر الناس أني قد راودته ! . فلم تزل بالملك حتى وهب لها رأس يحيى بن زكريا ، وأرسلت إليه وهو قائم يصلي في محراب داود في بيت المقدس فضرب عنقه وأخذ رأسه . فلما أرادوا أن يأخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لقتلها يحيى عليه السلام .

قال كعب : فلما رأى زكريا أن ابنه يحيى قد قُتل وخُسف بالقوم انطلق هاربا في الأرض ، حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار . وأرسل الملك في طلبه غضبا لما لقيت المرأة وأهلها . فترزكريا بشجرة من تلك الأشجار فنادته الشجرة : يا نبي الله ، هلم إلى هاهنا . فلما أتاها التفت عليه الشجرة ودخل زكريا عليه السلام في وسطها ، فأنطلق عدو الله إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه ، فأخرجه من الشجرة ليصدقه إذا أخبرهم ، وجاء الذين يلتمسون زكريا ، فأخبرهم إبليس أنه دخل الشجرة ؛ فقالوا : لا نصدقك . قال : فإني أرى لكم علامة تصدقوني بها . قالوا : فأرناها ، فأراهم طرف ردائه ، فأخذوا الفؤوس فضربوا الشجرة حتى قطعوها بآثنتين ، فسأط الله عليهم أخبث أهل الأرض عابجا مجوسيا ، فانتقم الله من بني إسرائيل بدم يحيى وزكريا ، فقتل عطاء بن إسرائيل وسبي منهم مائة ألف وعشرين ألفا .

وقد قيل في سبب قتل زكريا غير هذا ، وسنذكره إن شاء الله في أثناء أخبار عيسى بن مريم على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .



## ذكر هلاك بنى إسرائيل وخراب بيت المقدس ثانيا

- قال الثعلبى رحمه الله تعالى فى بعض طُرُقهِ عن محمد بن إسحاق : إن خراب بيت المقدس ثانيا وقَتَلَ بنى إسرائيل كان بعد رفع عيسى بن مريم وقَتَلَ يحيى بن زكريّا . فلما فعلوا ذلك سلط الله تعالى عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ؛ فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رءوس أجناده يدعى نبوزرآدان صاحب الفيل فقال له : إني قد كنتُ حلفتُ بالهِى إن أنا ظهرتُ على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى إلى ألا أجد أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، وأن نبوزرآدان دخل بيت المقدس فقتلهم فى البقعة التى كانوا يقتربون فيها قُربانهم ، فوجدوا فيها دما يغلي فسالهم عنه فقالوا : هذا دَمُ قُربان قُربناه فلم يُتَقَبَّلْ مِنّا فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قُربنا منذ ثمانمائة سنة القُربان فُتَقَبَّلْ مِنّا إلا هذا القُربان . فقال : ماصدقتموني الخبر . قالوا له : لو كان كأول دماننا لُقبل ولكنته قد انقطع مِنّا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يُقَبَّل . فذبح منهم نبوزرآدان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رُوحا من رءوسهم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم فذبحهم على الدم فلم يبرد . فلما رأى نبوزرآدان أن الدم لا يهدأ قال لهم : ويلكم يا بنى إسرائيل !
- أصدقوني وأصبروا على أمر ربكم ، فقد طالما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل

٥١  
١٢

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ٧٢٠ من القسم الاول والبحر المحيط لأبى حيان (ج ٦ ص ١١)

وفى نسخة أ ، ب : « جردوس » بالميم المعجمة . وفى نسخة ج « خردوس » بالحاء المهملة .

(٢) كذا فى الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٥١) . وفى تاريخ الطبرى (ص ٧٢٠ من القسم الأول)

« نبوزرآدان » . وفى الأصول : « نبوزرآذان » .

(٣) كذا فى الأصول وتاريخ الطبرى . وفى الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٥١) : « رئيس الشرط » .

وفى نسخة من تاريخ الطبرى أشير إليها فى الهامش (ص ٧٢٠ من القسم الأول) : « صاحب القتل » .

ألا أترك نافع نارذكر أو أنثى إلا قتلته . فلمّا رأوا الجهد وشدة القتل صدّقه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبيّ منّا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطلعناه لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدّقه فقتلناه فهذا دمه . فقال لهم : ما كان اسمه ؟ قالوا : كان اسمه يحيى بن زكريّا . قال : الآن صدّقتموني ، لمثل هذا ينتقم منكم ربكم . ولمّا رأى أنهم قد صدّقه خرّ ساجدا وقال لمن حوله : أغلقوا باب المدينة وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس . وخلا في بني إسرائيل ثم قال : يا يحيى بن زكريّا ، قد علم ربّي وربّك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قُتل منهم ، فأهدأ بإذن الله تعالى قبل ألا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ دم يحيى بن زكريّا بإذن الله تعالى ، ورفع نبوّز رآدان عنهم القتل وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل وصدّقت به وأيقنت أنه لا ربّ غيره . فأوحى الله تعالى الى رأس من رءوس بقيّة الأنبياء عليهم السلام أن نبوّز رآدان حبور صدوق — والحبور بالعبرانية حديث الإيمان — فقال نبوّز رآدان : يا بني إسرائيل ، إنّ عدوّ الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، وإني لستُ أستطيع أن أعصيه . قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم أن يحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم فذبجها حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتل الذين كانوا قُتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقها . فلمّا بلغ الدم عسكر خردوس أرسل الى نبوّز رآدان أن أرفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم . ثم أنصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد . وهذه هي الواقعة الآخرة التي أنزل الله تعالى فيها وفي الأولى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴾ \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ (١) فكان بختنصر

وجنوده . ثم ردّ الله لهم البكرة عليهم . وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده فلم تقم لهم بعد ذلك راية . وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونان ، إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا وانتشروا بعد ذلك . وكانت لهم الديانة والرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك . وكانوا في نعمة ومنعة الى أن بدّلوا وأحدثوا الأحداث واستحلّوا المحارم وضيّعوا الحدود ، فسقط الله تعالى عليهم ططوس<sup>(١)</sup> بن اسقيانوس الرومي<sup>(٢)</sup> . فأخرب بلادهم وطردهم عنها ، ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلّ ، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم الصغار والجزية والملك في غيرهم . وبقي بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمّره المسلمون بأمره .

قال : وروى أبو عوانة عن أبي بشر قال : سألت سعيد بن جبيرة عن قول الله عز وجل : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ الآيات فقال : أمّا الذين جاسوا خلال الديار فكان صرخان الخزري شعث من الديار وتبر . ثم قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ الى قوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ الى قوله : ﴿ تَنْبِيْراً ﴾ قال : هذا بختنصر الذي خرب بيت المقدس . ثم قال لهم : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ﴾ قال : فعادوا فعيد عليهم ، فبعث الله تعالى عليهم ملك الروم . ثم عادوا أيضا فعيد عليهم ، فبعث عليهم درم أوزن ملك الروم . ثم عادوا أيضا فعيد عليهم ، فبعث عليهم سابور ذا الأكتاف .

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٤٣ من القسم الأول) ونسخة ج . وفي نسختي ١ ، ب : « طحوس » . (٢) في تاريخ الطبري : « سلفسيانوس » . (٣) الصغار : الذل . (٤) جاسوا : عاثوا وقتلوا . (٥) وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ١٠ ص ٢١٦) : « وقال سعيد بن جبيرة في قوله تعالى : ( ثم بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديدا فجاسوا خلال الديار ) هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك الروم » . (٦) تبر : أهلك ودمر . (٧) كذا في الأصول ولم نجد هذا الاسم في المظان .

٥٢  
١٢

وقال قتادة : هذه الآية قضاءً قُضِيَ على القوم كما يسمعون ، فبعث عليهم في الأولى جالوت فسي وقتل ونحرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب ، ثم قال : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾ فعاد الله عليهم برحمته . ثم عاد القوم بشر ما يحضرهم . فبعث الله تعالى عليهم ما شاء أن يبعث من نَقَمَتِهِ وعقوبته . ثم بعث الله تعالى عليهم هذا الحى من العرب ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ <sup>(١)</sup> ﴾ فهم بهم في عذاب الى يوم القيامة .

وهذه الأخبار التي أوردناها في هذا المكان من خبر زكريا ويحيى وخراب بيت المقدس ثانياً ، منها ما كان في زمن عيسى عليه السلام ، ومنها ما كان بعد رفعه . وإنما أوردناها سياقة وتركنا خبر عيسى عليه السلام لئلا تنقطع بغيرها وليتلو بعضها بعضاً . فلنرجع الى أخبار عيسى بن مريم عليه السلام .

### ذكر خبر حمل مريم بنة عمران بعيسى عليهما السلام

قال الكسائي رحمه الله تعالى : وكانت مريم تنمو وتزيد في كل يوم وتعبد الله تعالى حتى برزت في العبادة على نساء بنى اسرائيل . فلما بلغت مبلغ النساء أتت منزل زكريا ، فقال لها : كيف خرجت من بيتك ومفتاحه معي ؟ قالت : إني رأيت أمراً قبيحاً — أرادت بذلك الحيض — فجئتك ومفتاحه معي . فأمرها زكريا أن تكون عند خالتها حتى تطهر ، ففعلت ذلك . فلما طهرت وأغتسلت عادت إلى عبادتها . فكان ذلك عادتها وشأنها اذا حاضت . فذلك قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا <sup>(٢)</sup> ﴾ أى سترها ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعنى جبريل ﴿ فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ أى في صورة رجل

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧ (٢) سورة مريم آية ١٦ وما بعدها .

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أي مطيعا لربك ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ثم نفخ في جيبها فوصلت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى لوقتها . ويقال : إن زكريا في ذلك الوقت أفضى إلى امرأته فحملت يحيى .  
وقيل : إن امرأة زكريا حملت قبل مريم بثلاثة أشهر، وقيل ستة أشهر . وكانت مريم إذ ذاك بنت خمس عشرة سنة ، وقيل ثلاث عشرة سنة .

- وحكى الثعلبي في قصة حمل مريم أنه كان معها في المسجد ابن عم لها من المحررين يقال له يوسف بن يعقوب النجّار ، وكان رجلا حكيما نجّارا ، يتصدق بعمل يديه ، وكان يوسف ومريم اذا نفد ماؤهما أخذ كل واحد منهما قُلته وأنطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل ، وكان أطول يوم في السنة وأشدّ حرّا ، نفد ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقي ؟ فقال لها : إن عندى لفضلا من ماء أكتفى به في يومى هذا إلى غد . قالت : لكنى والله ما عندى ماء ، فأخذت قُلتها ثم أنطلقت وحدها حتى دخلت المغارة ، فوجدت عندها جبريل عليه السلام ، قد مثله الله عز وجل بشرا سويا ، فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى اليك لأهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال عكرمة : وكان جبريل قد عرض لها في صورة شاب أمرّد وضىء الوجه ، جعد الشعر ، سوى الخلق . قال الحكماء : وإنما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها السلام وتقدير على استماع كلامه ، ولو أتاها على صورته التي هو عليها لفرغت ونفرت عنه ، ولم تقدر على استماع كلامه . فلما استعادت مريم منه قال : ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ

رَبِّكَ ﴿ الآية . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله تعالى . فنفخ جبريل في جيب درعها ، وكانت قد وضعت ، ثم انصرف عنها . فلما ليست مريم درعها حملت بعيسى عليه السلام ، ثم ملأت قلبها وانصرفت الى المسجد . وقال السدي وعكرمة : إن مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت الى المسجد . فبينما هي تغتسل من الحيض وقد أخذت مكانا شرقيا — قال الحسن : إنما اتخذت النصارى الشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكانا شرقيا — فأتخذت ، فضربت من دونهم حجابا ، أى سترا . وقال مقاتل : جعلت الجبل بينها وبين قومها ، فبينما هي كذلك اذ عرض لها جبريل وبشرها ونفخ في جيب درعها .

- ١٠ قالوا : فلما اشتملت على عيسى وتبين حملها داخلها الغم وعلمت أن بنى إسرائيل سوف يقذفونها ، فنادت الملائكة : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ أى من الحيض ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ . قال : وبشرها الله تعالى بعيسى فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾<sup>(٢)</sup> الآية فطابت نفسها . قال وهب : فلما اشتملت على عيسى وكان معها يوسف النجار ، وكانا منطلقين الى المسجد الذى يجبل صهيون — وجبل صهيون على باب بيت المقدس — وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فكانا يلبيان معالجته بأنفسهما وتطهيره ، وكان لا يعلم أحد من أهل زمانهما أشد اجتهادا وعبادة
- ٢٠ (١) سورة آل عمران آيتى ٤٥ ، ٤٦ (٢) سورة آل عمران آية ٤٨ وما بعدها .

- منهما . فكان أول من أنكر حمل مريم يوسف النجار . فلما رأى ما بها استعظمه وقُطِعَ به ولم يدر على ماذا يضع أمرها . فكان إذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل . فلما آسنت ذلك عليه كلمها ، فكان أول ما كلمها به أن قال لها : إنه قد وقع فى نفسى منك ومن أمرك شئ ، وقد حرصت على أن أكتمه فغلبنى ذلك .
- ورأيت أن الكلام فيه أشقى لصدرى . فقالت : قل قولاً جميلاً . قال : خبرين يا مريم ، هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت نعم . قال : فهل تنبت شجرة بغير غيث يصيبها ؟ قالت نعم . قال : فهل يكون ولد من غير فحل ؟ قالت : ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبدار إنما تكون من الزرع الذى كان أنبته من غير بذر ! . ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الشجر من غير غيث ، وبالقدر جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحدة على حدة ! . أو تقول إن الله لا يقدر على إنباته ! . قال يوسف لها : لا أقول هذا ، ولكنى أعلم أن الله تبارك وتعالى يقدر على ما يشاء ، يقول لذلك : كُنْ فيكون . فقالت له مريم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وأمراته حواء من غير ذكر ولا أنثى ! . قال بلى .
- فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شئ من أمر الله ، وأنه لا يسهه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها . وقال الكسائى : لما قال يوسف لمريم : هل يكون ولد من غير فحل ؟ قالت : نعم ، آدم من غير أب وأُم . قال صدقت . ثم قال : هذا الولد الذى فى بطنك من أبوه ؟ قالت : هذا هبة ربى لى ، ومثله كمثل آدم خلقه من تراب . فنطق عيسى فى بطنها وقال : يا يوسف ما هذه الأمثال التى تضر بها ! قم فاشتغل بصلاتك واستغفر لذنبك مما قد وقع فى قلبك . فقام يوسف وجاء الى زكريا وأخبره ، فاغتم وقال لأمراته : إن مريم حامل ، وأخاف من فساق

بنى إسرائيل أن يتهموا يوسف بها . قالت : توكل على الله وأستعن به فإنه يرد عنها مقالة القساق .

قالوا : ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفها كل عمل كانت تعمله فيه لما رأى من رقة جسمها ، وأصفار لونها ، وكلف وجهها ، ونتوء بطنها ، وضعف قوتها . والله أعلم .

### ذكر خبر ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام

قال الكسائي رحمه الله : فلما دنا وقت الولادة خرجت مريم في جوف الليل من منزل زكريا حتى صارت إلى خارج بيت المقدس ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ . قال : وأخذها الطلق ، فنظرت إلى نخلة يابسة بخلست تحتها فاخضرت النخلة من ساعتها وصار لها سَعَفًا وخوصًا وحملت الرطب اوقتها ، وأنبع الله في أصل النخلة عينا من الماء . قال : وعن وهب أنه لما دنت ولادة مريم عليها السلام أوحى الله تعالى إليها أن تخرج من المحراب فتنبؤ منزلها فيه ، فتحولت إلى بيت خالتها أم يحيى بن زكريا لتلد في بيتها . قال : فلما دخلت عليها استقبلتها أم يحيى وسلمت عليها . فلما ألتقيا أحسست أم يحيى بسجود من في بطنها ، فقالت : يا مريم ، إن الذي في بطني يسجد لما في بطنك .

قالوا : ثم أوحى الله تعالى إلى مريم أن تخرج من أرض بيت لحم<sup>(١)</sup> إلى جهة من الأرض تلد فيها ، فحملها يوسف النجار على حمار بأكاف<sup>(٢)</sup> ليس بينها وبين الأكاف غير

(١) بيت لحم : قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة ، وفيها مياه عذبة تنفجر من أراضيها الخصبة . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) . (٢) أكاف الحمار (بضم أوله وكسره) : برذنته .



- نوبها وهي مُثْقَلَةٌ لَا تَكَادُ تَقُومُ . فانطلقا في سواد الليل من بَيْتِ لَحْمٍ يُؤْمَانُ الْجِبَالِ ،  
 حتى إذا كانا ببعض الطريق بين نخلات ينزلها الرُّكبان ، بينهما أَوَارِيٌّ مَبْنِيَّةٌ بِنَاهَا السَّفَرُ<sup>(١)</sup>  
 لِيَعْلَقُوا فِيهَا دَوَابَّهُمْ . ففترلا ذلك المنزل ، فأدركها المخاض ، فَأَلْتَجَأَتْ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ  
 الْأَوَارِيِّ وَهُوَ فِي أَصْلِ جِدْعِ نَخْلَةٍ يَابِسٍ قَحْلٍ لَيْسَ فِيهِ عَرَّاجِينَ وَلَا غَيْرَهَا ، فَأَنْبَتَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>  
 تَعَالَى وَأَثْمَرَهُ حَتَّى أَظْلَمَهَا وَأَكْنَهَا وَتَدَلَّتْ عَلَيْهَا غَصُونُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى سَتَرَهَا السَّعَفُ  
 وَالْعَرَّاجِينَ . وَاشْتَدَّ بِهَا الطَّلَقُ وَدَاوَمَهَا سَبْعَ لَيَالٍ ، وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَقَالَتْ  
 مَا أَخْبَرَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ عِنهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِدْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ  
 يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا<sup>(٣)</sup> 》 . قَالَ : وَاشْتَدَّ عَلَيْهَا الْبَرْدُ ، فَعَمَدَ يَوْسُفُ إِلَى  
 حَطَبٍ فَجَعَلَهُ حَوْلَهَا كَالْحَظِيرَةِ ، ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ فَأَدْفَأَهَا ، وَكَسَرَهَا سَبْعَ جَوَزَاتٍ  
 فَالْكُتَاهَا . فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تُوِّقِدَ النَّصَارَى النَّارَ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ وَتَلْعَبُ بِالْجُوزِ . قَالَ وَقَالَ  
 ١٠ كَعْبُ : إِنَّهَا خَرَجَتْ مِنْفَرَدَةً ، فَلَمَّا فَقَدَهَا زَكَرِيَّا أَهْمَهُ ذَلِكَ ، وَبَعَثَ يَوْسُفَ النَّجَّارَ  
 فِي طَلَبِهَا ، بَغَاءَ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهَا تَحْتَ النَّخْلَةِ . قَالَ : وَلَمَّا شَكَتْ مِنْ أَلَمِ الْوِلَادَةِ  
 مَا شَكَتْ وَقَالَتْ : « يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا » أَيْ لَا تُعْرِفُ  
 وَلَا تَذْكُرُ ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا 》 — قِيلَ : إِنْ الَّذِي نَادَاهَا عِيسَى . وَقِيلَ : جَبْرِيلُ —  
 ١٥ ﴿ أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا 》 وَهُوَ الْجَدُولُ الصَّغِيرُ . قَالُوا : كَانَ  
 نَهْرًا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ ، يَكُونُ بَارِدًا إِذَا شَرِبْتَ مِنْهُ ، وَفَاتِرًا إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ ﴿ وَهَزَّيْ إِلَيْكَ  
 بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا 》 أَيْ نَضِيجًا ﴿ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا 》  
 أَيْ كُلِّي وَأَشْرَبِي مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْبَعَهُ اللَّهُ لَكَ وَقَرِّي عَيْنًا بِهَذَا الْوَلَدِ ﴿ فَلَمَّا تَرَيْنَ  
 مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا 》 أَيْ صَمْتًُا ﴿ فَلَمَّا أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا 》  
 ٢٠ (١) أَوَارِيٌّ جَمْعُ آرِيٍّ وَهُوَ مَحْبِسُ الدَّابَّةِ . (٢) السَّفَرُ : جَمَاعَةُ الْمَسَافِرِينَ .  
 (٣) عَرَّاجِينَ : جَمْعُ عَرَّاجُونَ ، وَهُوَ أَصْلُ الْعَذْقِ الَّذِي يَبْجُوجُ وَتَقْطَعُ مِنْهُ الشَّارِبُخُ فَيَبْقَى عَلَى النَّخْلِ  
 يَابِسًا . سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ . (٤) سُورَةُ مَرْيَمَ آيَةٌ ٢٣ وَمَا بَعْدَهَا .

قال : فلما جاء يوسف النجار كلمها فلم تتكلم ، فتكلم عيسى في حجرها وقال : يا يوسف ، أبشر وقر عيناً وطب نفساً ، فقد أخرجني ربي من ظلمة الأرحام الى ضوء الدنيا ، وسأني بنى إسرائيل وأدعوهم الى طاعة الله .

واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام بعيسى ووقت وضعها إياه ، فقال بعضهم : كان تسعة أشهر كحمل سائر النساء ، وقيل : ثمانية أشهر ، وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر غير عيسى ، وقيل : ستة أشهر ، وقيل : ثلاث ساعات ، وقيل ساعة واحدة . وقال ابن عباس : ما هو إلا أن حملت فوضعت ، ولم يكن بين الحمل والانتباز إلا ساعة واحدة ؛ لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلاً . وقال مقاتل : حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنين ، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى عليه السلام . قال : فأنصرف يوسف الى زكريا وأخبره بولادة مريم وكلام عيسى ، فأزداد زكريا غمًا لما يقوله الناس .

قال التعالبي قال وهب : فلما ولد عيسى عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها ، فقزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك ، فساروا مسرعين حتى جاءوا إبليس وهو على عرش له في الجنة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ، فأثوه وقد خلت ست ساعات من النهار . فلما رأى إبليس جماعته فزع من ذلك ولم يرههم جميعاً منذ فزقهم قبل تلك الساعة إنما كان يراهم أشتاتا ، فسألهم ، فأخبروه أنه حدث في الأرض حادث أصبحت الأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها لما يدخل في أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم ، فيظنون أنها هي التي تكلمهم ، فلما أصابها هذا الحادث صغرها في أعين

بني آدم وأذلّهما ، وقد خَشِينَا أَلَّا يَعْبُدُوها بعد هذا . وأَعْلَمُ إِنَّا لَمْ نَأْتِكْ حَتَّى أَحْصَيْنَا  
 الأرض وقلبنا البحار وكل شيء ، فلم نَزِدْ بِمَا أَرَدْنَا إِلَّا جَهْلًا . فقال لهم إبليس : إِنَّ  
 هذا لَأَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَكُونُوا عَلَى مَكَانِكُمْ . وطار إبليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث  
 ساعات ، فَمَرَّ بِالْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ مُحَدِّثِينَ  
 بِذَلِكَ الْمَكَانِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَادِثَ فِيهِ ، فَأَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ فَوْقِهِ فَإِذَا فَوْقَهُ  
 رُءُوسُ الْمَلَائِكَةِ وَمَنَازِلُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ فَإِذَا  
 أَقْدَامُ الْمَلَائِكَةِ رَاسِيَةً ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَتَحَوُّهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِبْلِيسُ  
 إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا جِئْتُمْ حَتَّى أَحْصَيْتِ الْأَرْضَ كُلَّهَا شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا وَبَرَّهَا وَبَحْرَهَا  
 وَالْخَافِقِينَ وَالْجَوَّ الْأَعْلَى ، وَكُلَّ هَذَا بَلَغْتَهُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَوْلِدِ عِيسَى  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : مَا أَشْتَمَلْتُ قَبْلَهُ أُمٌّ عَلَى وَلَدٍ إِلَّا بَعْلَمِي ، وَلَا وَضَعْتُهُ قَطًّا إِلَّا وَأَنَا  
 حَاضِرُهَا . وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَضِلَّ بِهِ كَثِيرًا مِمَّنْ يَهْتَدِي ، وَمَا كَانَ نَبِيًّا قَبْلَهُ أَشَدَّ  
 عَلَى وَعَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْلُودِ .

٥٥  
 ١٢

قال : ثُمَّ خَرَجَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَوْمٌ يُؤْمِنُونَهُ مِنْ أَجْلِ نَجْمٍ طَلَعَ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
 يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ مَطْلِعَ ذَلِكَ النَّجْمِ مِنْ عِلَامَاتِ مَوْلُودٍ فِي كِتَابِ دَانِيَالٍ ، فَخَرَجُوا يَرِيدُونَهُ  
 وَمَعَهُمُ الذَّهَبُ وَالْمُرُّ وَاللُّبَانُ ، فَتَرَوْا بِمَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ ، فَسَأَلُوهُ أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟  
 فَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهِمْ . قَالَ : فَمَا بِالْذَّهَبِ وَالْمُرِّ وَاللُّبَانِ أَهْدِيْتُمُوهُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ

(١) هو هيرودس الأكبر الذي حكم من ٤٠ — ٤ قبل الميلاد ، والتاريخ المسيحي متأخر عن وقته  
 الأصلي بأربع سنين ، ولذلك يكون ميلاد المسيح في السنة الأخيرة من ملكه . وكان هيرودس هذا حديد  
 الذهن قوى الإرادة مشهورا بالحيل غير أنه كان عنيفا صارما لا يبالى الحق في إجراء مقاصده . (راجع  
 الكتاب المقدس ج ٣ ص ٣ وقاموس الكتاب المقدس للدكتور بوسست وتاريخ الطبري ص ٧٤٠ من  
 القسم الأول) .

كلها؟ قالوا: تلك أمثاله؛ لأن الذهب سيد المتاع كله، وكذلك هذا النبي سيد أهل زمانه. ولأن المتر يجبر به الكسر والجرح، وكذلك هذا النبي يشفي الله تعالى به كل سقيم ومريض. ولأن اللبان يبلغ دُخانَه إلى السماء ولا يبلغها دُخان غيره، وكذلك هذا النبي يرفعه الله تعالى إلى السماء ولا يرفع في زمانه أحدا غيره. فلما قالوا ذلك للملك حدث نفسه بقتله فقال: اذهبوا، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فأني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره. فأنطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم، وأرادوا أن يرجعوا إلى الملك ليعلموه بمكان عيسى، فلقبهم ملك فقال لهم: لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنما أراد بذلك ليقته، فأنصرفوا في طريق آخر. وقال مجاهد: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحديثه، فإذا شغلني عنه شيء سبّح في بطني وأنا أسمع.

قالوا: وكان مولد عيسى عليه السلام بعد مضي آثنتين وأربعين سنة من ملك أغسطس<sup>(٢)</sup>، وخمسين سنة مضت من ملك الأشغانيين ملوك الطوائف. وكانت الملكة ملوك الطوائف، والرياسة بالشام ونواحيها لقيصر ملك الروم، والملك عليها من قبل قيصر هيرودس<sup>(٤)</sup>، وقيل في اسمه هيرادوس.

١٥ (١) هذه عبارة الثعلبي الذي ينقل عنه المؤلف. وفي الأصل: «... .. أهديتوه بهذه الأشياء».

(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٤٠ من القسم الأول). وفي الأصول: «أغسطس» وهو تحريف.

(٣) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٠٦ من القسم الأول). وذكر الطبري أن الأشغانيين استمر ملكهم ستا وستين ومائتي سنة. وفي الأصول: «الأسكانيين».

(٤) كذا في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٣) وقاموس الكتاب المقدس لبوست وتاريخ الطبري ص ٧٤٠ من القسم الأول. وفي الأصول: «هيردوس».

ذكر رجوع مريم بعيسى عليه السلام بعد مولده الى قومها

- قال الكسائي: ثم قامت مريم بعد الولادة وحملت عيسى على صدرها حتى أشرفت به على بنى إسرائيل وزكريا بينهم . وقال الثعلبي قال الكلبي: احتمل يوسف مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت<sup>(١)</sup> مريم من نفاسها، ثم جاء بهما فكلما عيسى في الطريق فقال: يا أمه، أبشري فإني عبد الله ومسيحه . قال الله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ <sup>(٢)</sup> 》 . فلما نظروا اليها بكوا و﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا 》 أى عظيما فظيحا لا يعرف منك ولا من أهل بيتك ، وكانوا أهل بيت صالحين . ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ 》 واختلف في سبب قولهم لها « يا أخت هارون » ، فقال الكسائي: ناداها هارون وكان أخاها من أمها ، وهو من أحبار بنى إسرائيل وعبادهم ، وقال لها: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا 》 ، فمن أين لك هذا الولد ! وقال الثعلبي قال قتادة: كان هارون رجلا صالحا من أتقياء بنى إسرائيل ، وليس هارون أخا موسى . وقال وهب: كان هارون من أفسق بنى إسرائيل وأظهرهم فسادا، فشبهوها به . ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ 》 أى كلموه . ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا 》 ! ، وضربوا بأيديهم على جباههم تعجبا، فتنحى عيسى و﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا 》 . قالوا: فلما سمع ذلك أحبار بنى إسرائيل علموا أنه لا أب له وأن الله تعالى خلقه كما خلق آدم . فقال زكريا: الحمد لله الذى برأنا بقول عيسى من فساق بنى إسرائيل . قالوا: ثم لم يتكلم عيسى بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان . وقيل غير هذا . والله أعلم .
- (١) تعالت المرأة من نفاسها : خرجت منه وطهرت . (٢) سورة مريم آية ٢٧ وما بعدها .

## ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر

وما ظهر له من المعجزات في مسيره ومدة مُقامه إلى أن عاد

٥٦  
١٢

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ <sup>(١)</sup> 》 . اختلف العلماء في الربوة فقال عبد الله بن سلام : هي دمشق . وقال أبو هريرة : هي الرملة . وقال قتادة وكعب : هي بيت المقدس . وقال كعب : هي أقرب الأرض إلى السماء . وقال أبو زيد : هي مصر . وقال الضحاك : هي غوطة دمشق . وقال أبو العالية : هي أيلة . وقال بعض المفسرين : هي قرية من قرى مصر تسمى سَدَمَنْت . وسَدَمَنْت : بلد من بلاد إقليم الفيوم معروفة مشهورة . وقوله تعالى : ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ 》 القرار : الأرض المستوية . والمعين : الماء الظاهر . وكان سبب خروج مريم إلى مصر ما حكاه الكسائي وغيره من أهل السير قالوا : وبلغ الملك هيرودس خبر عيسى فهم بقتل مريم وأبنها ، فخاف زكريا والمؤمنون عليهما من القتل ، وذلك بعد مولد عيسى بأيام قلائل ، فقال زكريا لمريم : إني أخاف عليك وعلى آبنك من هذا الملك ، وأمر يوسف النجار أن ينقلهما إلى أرض مصر ، وأعطاهما أتاناً وزودهم ، فسار يوسف بهما نحو مصر .

✱ ✱

وكان من المعجزات التي ظهرت على يَدَي عيسى عليه السلام في مسيره ومُقامه بمصر أنه بينما هم سائرون إلى أرض مصر رأى يوسف النجار في بعض الطريق أسداً ففزع منه ، فقال عيسى : قترباني إلى الأسد ولا تقرباه أتم ، فقرّبوه ؛ فلما صار بين يَدَي الأسد قال عيسى : أيها الوحش ، ما وقوفك على قارعة الطريق ؟ قال : لنور

(١) سورة المؤمنون آية ٥٠ .

يمز على لا بدلى منه . قال عيسى : هذا الثور لقوم مساكين ليس لهم سواه ، ولكن انطلق إلى برية كذا وكذا ، فإنك ستري جملاً ميتاً فكله ، وأترك هذا الثور لأصحابه ، فضى الأسد نحو الميتة وتركهم . والله أعلم بالصواب .

### معجزة أخرى :

- ٥ قال : ثم ساروا ، فرأوا قوماً قد اجتمعوا بالقرب من دار ملك من الملوك . فقال لهم عيسى : ما وقوفكم هاهنا ؟ . قالوا : امض أيها الصبي لشأنك . قال : أتحبون أن أخبركم بوقوفكم ؟ قالوا نعم . قال : إنكم تريدون دخول هذه الدار إذا جن الليل فتأخذون مال هذا الملك ، فلا تفعلوا فإنه مؤمن ، ودلهم على كنز وقال : إنه كان لقوم ماتوا ، فسار أولئك إليه وأقتسموا منه مالا عظيماً .

### معجزة أخرى :

- ١٠ قال : ثم ساروا حتى دخلوا قرية عامرة وقد اجتمع الناس على باب ماكنها ومعهم صنم من حجر وهم ييكون ويسجدون لذلك الصنم . فقال عيسى : ما شأنكم أيها القوم ؟ فقالوا : إن امرأة هذا الملك قد عسر عليها وضع الولد ، وقد أمرنا الملك أن نسجد لهذا الصنم ونسأله أن يخفف عنها ما هي فيه . قال عيسى : اذهبوا إلى الملك وقولوا له : لو وضعت يدي على بطنها يخرج الولد عاجلاً . فأخبروا الملك فقال : ١٥ ائتوني به ، فأدخلت مريم وعيسى على الملك ، فعجب من نطقه وهو صغير ، وأدخل على المرأة ، فقال عيسى : إن أخبرتك بما في بطنها ونخرج كما أقول أتؤمن بربي الذي خلقني من روحه ؟ . قال نعم . قال عيسى : في بطنها غلام على خده خال أسود ، وعلى ظهره شامة بيضاء ، ثم وضع يده على بطن المرأة وقال : أيها الجنين ، بالذي ٢٠ خلق الخلق وأسبغ عليهم سعة الرزق أخرج . فخرج الولد على ما وصفه عيسى .

فهم الملك أن يؤمن، فقال وزرائه : إن هذه المرأة ساحرة، وهذا الصبي مثلها، وقد طردوهما من بيت المقدس، ولم يزالوا به حتى ردّوه عن الإيمان . فأرسل الله تعالى على الملك وقومه صاعقة فأهلكتهم . ثم مضى يوسف بهما حتى دخلوا مصر، ونزلت مريم دار دهقان هناك<sup>(١)</sup>، ولم يكن لها ما تعيش منه إلا الغزل، فكانت تغزل الكتان والصوف بالأجرة لأهل مصر، ويوسف يحتطب ويدفع الحطب مدّة ليس لهم رزق إلا من ذلك .

### معجزة أخرى :

- ٥٧  
١٢ قال الثعلبيّ قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أهل مصر أنزلها به يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر، وكانت داره يأوي إليها المساكين، فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين، فحزنت مريم لمصيبة الدهقان . فلما رأى عيسى حزن أمه بمصيبة صاحب ضيافتها قال لها : يا أمّاه ، أتحيين أن أدله على ماله ؟ قالت : نعم يا بني . قال : قولي له يجمع لي مساكين داره . فقالت مريم ذلك للدهقان، فجمع له المساكين . فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له : قم به . فقال الأعمى : أنا أضعف من ذلك . فقال عيسى : وكيف قويت على ذلك البارحة ! . فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام . فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى كوة الخزانة . فقال عيسى عليه السلام : هكذا احتالا على مالك البارحة، لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينه . فقال المقعد والأعمى : صدق، فردّا على الدهقان ماله . فقال الدهقان لمريم : خذي نصف المال . فقالت : إني لم أخلق لهذا . قال : فأعطه ابنك . قالت : هو أعظم مني شأنًا . والله أعلم بالصواب .

(١) الدهقان : التاجر أو رئيس الإقليم .



## معجزة أخرى :

قال : ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس أبنا له ، فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر وكان يُطعمهم شهرين . فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب . فلما رأى عيسى آهتاهم بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي ، فكلمها مرّ بيده على جرّة امتلأت شراباً حتى أتى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

## معجزة أخرى :

قال : وبينما عيسى يلعب مع الصبيان بأرض مصر ، إذ وثب غلام منهم على غلام آخر فقتله . فغاء أهله وتعلقوا بجميع الصبيان وفيهم عيسى وأتوا بهم إلى القاضي . فقال القاضي : من قتل هذا ؟ قالوا : هذا ، وأشاروا إلى عيسى . فقال له القاضي : لم قتل هذا الغلام ؟ قال : أراك حاكماً جاهلاً ، كان يجب أن تسألني : أقتله أم لا ! قال القاضي : أراك ذا عقل ، فما أسمك ؟ قال : عيسى بن مريم . قال : يا عيسى ، لم قتلته ؟ قال : يا جاهل ، أبهذا أمرتك ؟ ثم دنا عيسى من الغلام وقال : قم بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم ، فاستوى جالساً وقال له : من قتلك ؟ قال : قتلني فلان بن فلان ، وهذا عيسى بن مريم برىء من دمي . فعجّب الناس من ذلك وقتلوا قاتل الغلام ، وأخذت مريم بيد عيسى وأنطلقت .

## معجزة أخرى :

قال : وأتت به أمه إلى معلّم ليعلمه ، فقال : إنّ ربّي قد أغنانني عن تعليم المعلمين وقد علمني التوراة والإنجيل . قالت : صدقت ، ولكن تكون عند معلّم خير من أن تلعب مع الصبيان . فأتت به إلى معلّم يعلمه ، فعلمه عيسى . قال الثعلبيّ : وروى

محمد الباقر رحمه الله قال : لما وُلِدَ عيسى عليه السلام كان ابنَ يومٍ كأنه ابن شهرٍ ،  
فلما كان ابنَ تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى كتاب وأقعده بين  
يَدَيِ المؤدّب . فقال له المؤدّب : قل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فقالها عيسى  
عليه السلام . فقال المؤدّب : قل : أبجد ، فرفع عيسى رأسه وقال للمؤدّب : هل تدري  
ما أبجد ؟ فعلاه ليضربه . فقال : يا مؤدّب ، لا تضربني ، إن كنت تدري وإلا فسَلْنِي  
حتى أفسّر لك . فقال : فسّره لي . فقال عيسى عليه السلام : الألف آلاء الله ،  
والباء بهجة الله ، والجيم جلال الله ، والدال دين الله . هوز ، الهاء هي جهنم وهي  
الهاوية ، والواو ويل لأهل النار ، والزاي زفير جهنم . حُطّي ، حُطَّت الخطايا عن  
المستغفرين . ككُنْ ، كلام الله غير مخلوق لا مبدل لكلماته . سعنص ، صاع بصاع  
والجزاء بالجزاء . قَرَشْتُ تفرشهم حين تحشرهم ، أى تجمعهم . فقال المؤدّب لأمه :  
أيتها المرأة ، خذى بيدِ ابنك فقد عُلِّمَ ولا حاجة له الى مؤدّب . وقال سعيد بن جبّير :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنْ عيسى عليه السلام أرسلته أمه الى الكتاب  
ليتعلم ، فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال وما باسم الله . قال لا أدري .  
قال الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته " . والله أعلم الموفق .

٥٨  
١١

١٠

### معجزة أخرى :

١٥

قال الكسائي : وأنطلقت به أمه الى صَبَاغٍ ليعلمه صنعة الصباغة . فأخذه  
الصَبَاغ وأمره أن يملأ التِّغَارَات من تِغَارٍ كبيرٍ ، وناوله أصباغا وأمره أن يجعل<sup>(١)</sup>  
في كل تِغَارٍ صَبْغًا ، وأن يصبغ الثياب في تلك التِّغَارَات على اختلاف ألوانها ، وفارقه  
الصَبَاغ ونرج إلى منزله . فعمد عيسى إلى تِغَارٍ واحد وملاه ماء وأخذ جميع تلك

(١) في كتب اللغة : التِّغَار : الإجانة ( بكسر الهمزة وتشديد الجيم ) . والإجانة : إناه تغسل  
فيه الثياب جمعه أجاجين .

٢٠

الأصباغ بفعلها فيه ، ووضع جميع تلك الثياب فيه وأنصرف إلى أمه . فلما كان من الغد جاء الصباغ إلى الخانوت فنظر إلى ما فعله عيسى ، فقال له : يا عيسى أهلكتنى وأفسدت ثياب الناس . قال عيسى : يا صباغ ، ما دينك ؟ قال : دين اليهود . قال : قل : لا إله إلا الله وأتى عيسى روح الله ، وأدخل يدك في هذا التيغار وأخرج كل ثوب على ما تريد . فأمن الصباغ بالله وبعيسى عليه السلام وأدخل يده فأخرج كل ثوب على ما أراده أصحابه . قال : وظهر لعيسى بمصر معجزات كثيرة .

### ذكر خبر زكريا عليه السلام

مع هيرودس الملك وما كان من أمره

- قال الكسائي : ولما كان من أمر عيسى عليه السلام وكلامه ما قدمناه وتنكست الأصنام ليلة مولده ، جاء إبليس لعنه الله إلى الملك في صورة شيخ وقال له : ١٠ أيها الملك ، إن لك عندي نصيحة فأخُلْ معي . فخلا به وقال : ما نصيحتك ؟ قال : قد بلغك ما كان من شأن المولود الذي تكلم في المهد . قال نعم . قال : وقد رأيت ما حلّ بالأصنام من شؤم مولده ، وإنه خلّيق أن يشمل الأرض كلها بشؤمه ، وأنت فلا يمكنك قتله الآن لخروجه من بلادك ، وأرى أن تفعل أمرا يتشاءم الناس بسببه بهذا المولود ويعينونك على قتله ، وأنت مع ذلك تطلبه ، فإن ظفرت به ذبحته . ١٥ قال الملك : فما الذي رأيت ؟ فلعمرى لقد وقع في نفسي إنك خلّيق أن يكون عندك رأي ومكيده . قال : تذبح الولدان ، فإن ذلك يبغضه إلى الناس ويتشاءمون به فيكفوك أمره . قال : لقد أتيت بالأمر على وجهه ، وأمر بذبح الولدان من سنتين فما دونهما ، فوقع الذبح في صبيان بني إسرائيل . قال : ثم انطلق إبليس إلى مجالس بني إسرائيل ونواديهم يقول : الفاحشة في مريم ويقذفها بزكريا ، يعرض ٢٠

بذلك لخيارهم ، ويوبح به ويصرح لشرارهم ، حتى شاعت الفاحشة على زكريّا .  
فلما رأى زكريّا ذلك هرب وأتبعه سفاؤهم وشرارهم ، وسلك في واد كثير النبات ،  
حتى اذا توسّط الوادى انفرجت له شجرة فدخلها وأقبل القوم في طلبه ، وإبليس  
يقدمهم حتى أوقفهم عليه وهو في الشجرة وقد ألتمحت عليه ، فأشار عليهم  
بقطعها ، فُقطعت . ثم قال لهم : أيّ العقوبة والنكال أبلغ في هذا الذي أورث آباءكم  
الطيبين إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذريتهم من بعدهم الفضيحة والعار ؟ ! . قالوا :  
القتل أو النشر . فأشار عليهم بنشره ، فنشروه نصفين ثم أنصرفوا عنه ، وغاب عنهم  
إبليس لعنه الله . وبعث الله تعالى الملائكة فغسلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيام  
ثم دفنوه . وقد قيل في مقتل زكريّا غير هذا ، وقد تقدّم في أخباره . والله أعلم .

## ذكر رجوع عيسى ومريم عليهما السلام

٥٩  
١٢

من مصر

قال الكسائي قال وهب : وأقامت مريم وأبنا عيسى بمصر اثنتي عشرة سنة حتى  
أهلك الله الملك هيرودس . قال : وأوحى الله تعالى إلى مريم بوفاة الملك وأمرها أن  
ترجع إلى بلادها بالشام ، فجاء يوسف النجار فرجع بها . فلم تزل هي وأبنا يسكنان  
بجبل الخليل بقرية يقال لها الناصرة ، وبها سميت النصارى ، وبها أبتدعت النصرانية .  
قال : ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى بعد أن تمت له ثلاثون سنة أن يبرز إلى  
الناس ويدعوهم إلى الله تعالى ، وأنزل عليه الإنجيل . فكان يسير في البلاد ويدعو

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت والكتاب المقدس (ج ٣ ص ٩٧) . وهي مدينة اشتهرت بكونها  
وطن المسيح مدة طفولته وصباه إلى أن ابتدأت خدمته ، وهي تبعد ١٤ ميلا عن بحر الجليل و ٦ أميال  
عن نابور و ٦٦ ميلا عن أورشليم . وفي الأصول : « ناصورية » .

الناس إلى الله عز وجل، ويرغبهم فيما عنده، ويهديهم في الدنيا ويضرب لهم أمثالا، ويدأوى المرضى والزمنى<sup>(١)</sup>، ويبرئ الأكمه والأبرص. فأحبته الناس وسكنوا إليه، وكثرت أتباعه حتى امتنع وعلا أمره. ثم أحيا الموتى بإذن الله تعالى.

قالوا: وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا، فن أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يقدر على ذلك أتاه عيسى يمشى إليه. وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان.

(٢)

### ذكر خبر الحواريين

حين أتبعوا عيسى عليه السلام وآمنوا به

قال الكسائي رحمه الله: ومرة عيسى على قوم يصيدون السمك وهم أربعة: شمعون، وأخ له اسمه أندريوس، ويعقوب، ويوحنا. فوعظهم وزهدهم في الدنيا ووعدهم الجنة ونعيمها فآمنوا به وأتبعوه. قال: ومرة بطائفة أخرى فوجدهم على نهر يغسلون الثياب، منهم لوقا، وتوما، ومرقس، ويوحنا، وأخوان لهم صبيان لم يبلغا الحلم، أحدهما شمعون والآخر يعقوب، وقيل في أسمائهم غير هذا. والله تعالى أعلم. فقال لهم عيسى: يا قوم، إنكم تقصرون هذه الثياب وتنظفونها من أوساخها، فلم لا تفعلون ذلك مع قلوبكم! ثم قال لهم: إني رسول الله إليكم جميعا، وبشركم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد<sup>(٣)</sup>))

(١) الزمنى: أصحاب العاهات.

(٢) الحواريون: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا قصارين وصباغين. وهم خاصة الأنبياء ودخلواهم وأنصارهم كما قال تعالى: «من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله» وقال عليه الصلاة والسلام: «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير». وأسمائهم كما في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ١٦) سمعان وأندراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرتلماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب ابن حلفي وتداوس وسمعان القانوني ويهوذا الإسخريوطي.

(٣) سورة الصف آية ٦

قال : فأمنوا به وأتبعوه ، وكانوا كلهم آثني عشر رجلاً ، أربعة منهم كانوا يصيدون السمك ، وثمانية يقصرون الثياب . وكان من القصارين رجل أسفل النهر يقال له <sup>(١)</sup> يوذ لم يسمع كلام عيسى . فلما رأى أصحابه اتبعوه لحق بهم ، وهو الذي ارتد بعد ذلك ودل اليهود على عيسى ، فصاروا به قبل آرتداده ثلاثة عشر .

### ذكر الخصائص والايات والمعجزات

التي أظهرها الله تعالى على يد عيسى عليه السلام بعد مبعثه

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ الآيات . قوله تعالى : ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ قال الحسن : ذكر النعمة : شكرها ، وأراد بقوله : ﴿ نِعْمَتِي ﴾ نعمي ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> . ثم ذكر تعالى النعم فقال : ﴿ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ وقال : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ <sup>(٣)</sup> . واختلفوا في روح القدس ماهو ؟ فقال الربيع بن أنس : هو الروح الذي نفخ فيه ، أضافه سبحانه الى نفسه

٦٠  
١٢

(١) اسمه « يهوذا الإسخريوطي » كما في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٨٥) .

(٢) سورة المائدة آية ١١٠ (٣) سورة ابراهيم آية ٣٤ (٤) سورة البقرة

آية ٨٧ وورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن روح القدس مانصه : أنه جبريل عليه السلام وهو الأصح . قال النحاس : وسمى جبريل روحاً وأضيف إلى القدس لأنه كان يتكلم بالله عز وجل له روحاً من غير ولادة والد ولده ؛ وقال حسان :

وجبريل رسول الله فينا \* وروح القدس ليس به خفاء

(راجع ج ٢ ص ٢٤ من الطبعة الثانية وج ٦ ص ٣٦٢ من الطبعة الأولى) .

- تَكْرُمًا وَتَخْصِيصًا، نحو : بَيْتَ اللَّهِ، وَنَافَةَ اللَّهِ . وَالْقُدُس : هُوَ اللَّهُ تَعَالَى يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا <sup>(١)</sup> ﴾ . وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدُس : الطَّهَارَةَ ، يَعْنِي الرُّوحَ الطَّاهِرَةَ ، سَمَّى رُوحَهُ قُدْسًا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَضَمَّنْهُ أَصْلَابُ الْفَحْوَلَةِ إِنَّمَا كَانَ أَمْرًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ السُّدِّيَّ وَكُتِبَ : رُوحُ الْقُدُس هُوَ جَبْرِيلُ ، وَتَأْيِيدُ عِيسَى بِجَبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هُوَ أَنَّهُ كَانَ رَفِيقَهُ وَقَرِينَهُ يُوحَى إِلَيْهِ وَيُعِينُهُ وَيَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُمَا سَارَ إِلَى أَنْ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ : هُوَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ، وَبِهِ كَانَ يُجْبَى الْمَوْتَى وَيُرَى النَّاسُ تِلْكَ الْعَجَائِبُ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ ﴾ يَعْنِي الْخَطَّ ، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ يَعْنِي الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ . ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ كَانَ يَقْرَأُهُمَا مِنْ حِفْظِهِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ . قَوْلُهُ : ﴿ تَخْلُقُ ﴾ أَيْ تَجْعَلُ وَتَصَوِّرُ ١٠ وَتَقْدِرُ ﴿ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ أَيْ كَصُورَةِ الطَّيْرِ . فَكَانَ عِيسَى يَصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةَ الطَّيْرِ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَصِيرُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . قَالُوا : وَلَمْ يَخْلُقْ غَيْرَ الْخُفَّاشِ . وَأَمَّا خُصُّ بِالْخُفَّاشِ لِأَنَّهَا أَكَلُ الطَّيْرِ خَلْقًا ، فَتَكُونُ أَبْلَغُ فِي الْقُدْرَةِ ، لِأَنَّ لَهَا نَدِيًا وَأَسْنَانًا ، وَهِيَ تَلِدُ وَتَحِيضُ وَتَطْهَرُ . قَالَ وَهْبٌ : كَانَ يَطِيرُ مَا دَامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا غَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ سَقَطَ مِيتًا لِيَتَمَيَّزَ فِعْلُ الْخَالِقِ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِيَعْلَمَ ١٥ أَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَبَرَّئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ . الْأَكْمَه : الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى وَلَمْ يَرِ الضُّوءَ قَطُّ . قَالُوا : وَلَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ أَكْمَهٌ غَيْرَ قَسَادَةٍ . وَالْأَبْرَص : الَّذِي بِهِ وَصَحَّ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى زَمَنِ عِيسَى الطَّبِّ ، فَأَرَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعِجْزَةَ مِنْ جَنْسِ ذَلِكَ .

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : يروى أن عيسى عليه السلام مرّ بدير فيه  
عُمان ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء قوم طُلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم .  
فقال لهم : ما دعاكم الى هذا ؟ فقالوا : خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى .  
فقال : أنتم العلماء والحكماء والأخبار والأفاضل ، امسحوا بأيديكم أعينكم وقولوا :  
باسم الله . ففعلوا ذلك فإذا هم جميعا يبصرون .

### ذكر خبر سام بن نوح وغيره

الذين أحياهم عيسى بإذن الله عز وجل

قال الكسائي قال وهب : سألت طائفة من بني اسرائيل عيسى بن مريم عليه  
السلام أن يحيي لهم سام بن نوح وقالوا : <sup>(١)</sup>أخي لنا سام بن نوح ليكلّمنا وإلا قتلناك ،  
وإن فعلت آمنا بك وأتبعناك . فأوحى الله تعالى اليه : نادِه ثلاث مرّات فإنه سيُحييك .  
فقام عيسى على قبره وناداه ثلاث مرّات : يا سام بن نوح قم بإذن الله ، فقام  
في الثالثة وهو أشمط <sup>(٢)</sup>الرأس واللحية . فقال له عيسى : أهكذا متّ أبيض الرأس  
واللحية ؟ قال : لا ، ولكنّي سمعت نداءك نخفت أن تكون القيامة فشَمِطْتُ ،  
وأخبر القوم بما أرادوه وكلمهم ، ثم رده عيسى الى قبره ، وما آمن بعيسى منهم  
إلا قليل .

(١) وعبارة الكسائي : « فقالوا : أخي لنا سام بن نوح وسام يومئذ في تابوت من حجر . قال :  
فوشب عيسى وقوضاً وصلى ركعتين ... الخ » وعبارة الثعلبي : « قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة  
نوح عليه السلام : لو بعثت لنا من شهد السفينة فينت لنا ذلك ... الخ » . ووردت العبارة في الأصول  
مضطربة .

(٢) الأشمط : من خالط بياض رأسه سواد .





قالوا : ومن أحياء عيسى بن مريم العازر ، وكان صديقا له ، فأرسل أخته الى عيسى إن أخاك العازر يموت فأتيه ، وكان بينه وبين أن يصل إليه مسيرة ثلاثة أيام ، فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال لأخته : انطلقى بنا الى قبره ، فأنطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مُطَبَّقة . فقال عيسى : اللهم رب السموات ٥ السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم أني أحي الموتى بإذنك فأحي العازر . فقام العازر وأوداجه تقطُر . فخرج من قبره وبقى وولد له .

٦١  
١٢

قالوا : ومّر عيسى عليه السلام برجل جالس على قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا عنده ، فقال له : يا عبد الله ، أراك تكثر القعود على هذا القبر . فقال : ١٠ يارُوح الله ، امرأة كانت لي وكان من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة . فقال عيسى : أتحب أن أدعو الله تعالى فيحييها ؟ قال نعم . فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق . فقال له : ما أنت ؟ قال : يا رسول الله أنا في عذاب منذ أربعائة سنة ، فلما كانت ١٥ هذه الساعة قيل لي أجِبْ فأجبت . ثم قال : يا رسول الله ، قد مرّ عليّ من أليم العذاب ما إن ردّني الله الى الدنيا أعطيته عهدا ألا أعصيه ، فأدعُ الله لي . فرق له عيسى ودعا الله عز وجل ثم قال له : امض ، فمضى . فقال صاحب القبر : يارسول الله ، لقا غلِطت بالقبر ، إنما قبرها هذا . فدعا عيسى عليه السلام ، فخرج من ذلك القبر امرأة شابة جميلة . فقال له عيسى : أتعرفها ؟ قال : نعم هذه امرأتى . فدعا عيسى حتى ردّها الله عليه . فأخذ الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ٢٠ ووضع رأسه في حجر المرأة . فمز بهما ابن ملك فنظر اليها ونظرت اليه وأعجب كل

واحد منهما بصاحبه ، فأشار اليها فوضعت رأس زوجها على الشجرة وأتت  
 ابن الملك . فاستيقظ زوجها ففقدوها وطلبها فدَلَّ عليها ، فأدركها وتعلق بها وقال :  
 امرأتى ، وقال الفتى : جاريتى . فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى فقال الرجل : هذا  
 عيسى وقص عليه القصة . فقال لها عيسى : ما تقولين ؟ قالت : أنا جارية هذا  
 ٥ ولا أعرف هذا . فقال لها عيسى : ردّي علينا ما أعطيناك . قالت : قد فعلت .  
 فسقطت مكانها ميتة . فقال عيسى : هل رأيتم رجلا أماته الله كافرا ثم بعثه قآمن ! .  
 وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحيها فكفرت ! .

قالوا : ومرتوا بميت على سرير ، فدعا عيسى الله تعالى ، بفلس الميت على السرير ونزل  
 عن أعناق الرجال ولبس الثياب وحل السرير على عنقه ورجع إلى أهله وبقي وولده .  
 ١٠ ومن أحياه عيسى بإذن الله تعالى أبنه العازر ، قيل له : أتحيها وقد ماتت  
 بالأمس ! فدعا الله عز وجل ، فعاشت وبقيت وولدت .

قال الكسائي : وسأل بنو إسرائيل عيسى عليه السلام أن يحيي لهم عزيرا ،  
 فقال : التمسوا قبره فالتمسوه ، فوجدوه في صندوق من حجر ، فعالجوه ليفتحوا بابهُ  
 فلم يستطيعوا ذلك . فرجعوا الى عيسى وأخبروه أنهم عجزوا أن يُخرجوه من قبره ،  
 ١٥ فأعطاهم ماء في إناء وقال : انضحوه بهذا الماء فإنه يفتح . فأنطلقوا ونضحوه  
 بالماء فأنفتح طابقه . فأقامه عيسى في أكفانه فترعها عنه ، ثم جعل ينضح جسده  
 بالماء ولحمه ينبت وشعره وهم ينظرون . ثم قال عيسى : يا عزير احيَ بإذن الله ،  
 فإذا هو جالس . فقالوا : ما شهادتك على هذا الرجل ؟ فقال عزير : أشهد أنه  
 روح الله وكلمته ألقاها الى مريم وأنه عبد الله ونبى وأبن أمته . قالوا : يا عيسى ، ادعُ  
 ٢٠ ربك يحييه لنا فيكون بين أظهرنا . فقال عيسى : ردّوه الى قبره فإنه انقطع رزقه  
 وأنقضى أجله ، فردّوه الى قبره .

ومن معجزاته عليه السلام إخباره عن الغيوب

قال الله عز وجل إخبارا عنه : ﴿ وَأَنبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرَحُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝۱ ﴾ . قالوا : لما أبرأ عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله قالوا له : إنك تزعم أنك تُخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما نذخر . قال نعم . قالوا : فإننا نجمع خيَارنا وأخبارنا ورهباننا فنأمرهم أن يأكلوا ويتذخروا في بيوتهم ثم نأتيك فتخبرنا . قال نعم . فانطلقوا الى بيوتهم وأكلوا واذخروا وأقبلوا اليه من الغد ، وسأله كل رجل منهم وهو يخبره بما أكل واذخر .

ومما أخبر به عيسى عليه السلام من المغيبات قصة ابن العجوز . وكان من خبره ما حكاه أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله أن عيسى عليه السلام مر في سياحته بمدينة ومعه الحواريون ، فقال : إن في هذه المدينة كنزا ، فمن يذهب فيستخرجه ؟ . ١٠ قالوا : يا روح الله ، لا يدخل هذه القرية غريب إلا قتلوه . فقال لهم : مكانكم حتى أعود اليكم ، ومضى حتى دخل المدينة فوقف بباب فقال : السلام عليكم يأهل الدار ، غريب أطعموه . فقالت له امرأة عجوز : أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعموني شيئا ! . فبينما عيسى بالباب إذ أقبل ابن العجوز فقال له عيسى : يا عبد الله ، أضفنى ليلتك هذه . فقال له الفتى مثل مقالة العجوز . ١٥ فقال له عيسى : أما إنك لو فعلت ذلك زوجتُك بنت الملك . فقال له الفتى : إنا أن تكون مجنونا ، وإنا أن تكون عيسى بن مريم . قال : أنا عيسى . فأضافه وبات عنده . فلما أصبح قال له : اغد وأدخل على الملك وقل له : جئت أخطب أبنك فإنه سيأمر بضربك وإخراجك . فمضى الفتى حتى دخل على الملك وقال له :

٦٢  
١٢

جئت أخطب إليك آبتك ، فأمر به فُضرب وأُخرج . ورجع الفتي إلى عيسى فأخبره ، فقال له : إذا كان الغد فآذهب إليه وأخطب إليه فإنه ينالك بدون ذلك . ففعل ما أمره عيسى ، فضربه الملك دون ذلك . فرجع إلى عيسى فأخبره ، فقال : إرجع إليه وأخطبها فإنه سوف يقول لك : إني أزوجك إياها على حُكْمِي ، وحُكْمِي قصر من ذهب وفضة ، وما فيه من فضة وزبرجد ، فقل له : أفعل ذلك . فإذا بعث معك فأخرج فإنك سوف تجده فلا تُحدث فيه شيئا . فدخل عليه فخطب إليه ، فقال : تُصِدِّقها حُكْمِي ؟ فقال : وما حكك ؟ فحك الذي سَمَّى<sup>(١)</sup> [له] عيسى . فقال له : نعم ، أبعث من يقبض ذلك . فبعث معه [قوماً]<sup>(١)</sup> ، فدفع إليهم ما سأله الملك . فعجب الملك من ذلك وسلم إليه آبته . فتعجب الفتي وقال لعيسى : ياروح الله ، تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال ! . قال عيسى : لأنني آثرت ما يبقى على هذا الفاني . فقال الفتي : وأنا أدعه وأصحبك . فتخلى من الدنيا وآتبع عيسى . فأخذ بيده وأتى أصحابه وقال : هذا هو الكنز الذي قلت لكم . فكان ابن العجوز مع عيسى حتى مات . والله أعلم .

### ذكر خبر يجمع عدة معجزات من معجزات عيسى عليه السلام

حكى أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله قال وهب : خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض ، فصاحبه يهودي ، وكان مع اليهودي رغيفان ، ومع عيسى رغيف . فقال له عيسى : تشاركني في طعامك ؟ قال اليهودي نعم . فلمّا رأى اليهودي أن عيسى ليس معه إلا رغيف واحد ندم . فقام عيسى إلى الصلاة فأكل اليهودي رغيفا . فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما ، فقال عيسى لليهودي : أين الرغيف الآخر؟

(١) الزيادة عن الثعلبي .

- فقال : ما كان إلا رغيف واحد، فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا، ثم أنطلقا بجاءا الى شجرة، فقال عيسى لصاحبه : لو أننا بتنا تحت هذه الشجرة ! . فناما ثم أصبحا . فأنطلقا فلقيّا أعمى، فقال له عيسى : أرايت إن عاجلتك حتى ردّ الله عليك بصرك هل تشكره؟ قال نعم . فمسّ عيسى عليه السلام بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح . فقال عيسى لليهودي : بالذي أراك الأعمى بصيرا كم كان معك من رغيف؟ فقال : ٥ والله ما كان إلا رغيف واحد، فسكت عيسى عنه . ومرا فإذا هما بمقعد، فقال له عيسى : أرايت إن عاجلتك فعافاك الله تعالى هل تشكره؟ قال بلى . فدعا الله عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجله . فقال صاحب عيسى : ما رأيت مثل هذا قط ! . فقال عيسى : بالذي أراك الأعمى بصيرا والمقعد صحيحا، من صاحب الرغيف الثالث؟ فحلف له اليهودي ما كان معه إلا رغيف واحد، فسكت عيسى . وأنطلقا حتى أتيا ١٠ الى نهر عجّاج جرّار، فقال عيسى : لا أرى جسرا ولا سفينة، فخذ <sup>(١)</sup>بُحْجَزَتِي من ورأى وضع قدمك موضع قدمي، ففعل ومشيا على الماء . فقال له عيسى : بالذي أراك الأعمى بصيرا والمقعد صحيحا وسخر لك هذا البحر حتى مشيت عليه، من صاحب الرغيف الآخر؟ فقال : لا والله ما كان إلا رغيف واحد، فسكت عيسى . وأنطلقا فإذا هما بظباء يرعين، فدعا عيسى بظبي فأثاه فذبجه وشوى منه بعضا وأكله، ثم ١٥ ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال : قُمْ بإذن الله عز وجل فإذا الظبي يعدو . فقال الرجل : سبحان الله ! . فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية، من صاحب الرغيف الآخر؟ فقال : ما كان إلا رغيف واحد . فأنطلقا فتزا بصاحب بقر، فنادى عيسى : يا صاحب البقر، اجز لنا من بقرك هذه عجلا . قال : ابعث صاحبك يأخذه . فانطلق اليهودي بجاء به، فذبجه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه . فقال له عيسى : ٢٠

(١) الحجرة : مقعد الإزار .

- كُلُّ ولا تَكْسِر له عظاما، ففعل . فلمّا فرغ قذف بعظامه في جالده وضربه بعصاه وقال : قُمْ بإذن الله تعالى ، فقام العجل وله خُوار . فقال : يا صاحب البقر خذ عجلك . قال : ويحك ! من أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . قال : عيسى السحّار ! ثم فتر منه . فقال عيسى لصاحبه : بالذى أحيا لك العجل ، كم كان معك من رغيف ؟
- ٥ قال : ما كان معي إلا رغيف واحد ، فسكت عيسى . ومضيا حتى دخلا قرية ، فنزل عيسى في أسفلها واليهودى في أعلاها ، فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال : أنا الآن أبرئ المرضى وأحيى الموتى . قال : وكان ملك تلك المدينة مريضا مُدْنفًا . فأطلق اليهودى ينادى : مَنْ يَبْتَغى طبيبًا ، حتى أتى قصر الملك ، فأخبر بوجعه ، فقال : أدخلوني عليه فأنا أبرئه ، وإن لقيتموه قد مات فأنا أحييه . فقبل له : إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك ، فليس من طبيب يداويه ولا يَشْفِيه إلا صلبه . فقال :
- ١٠ أدخلوني عليه ، فأدخلوه فضرب الملك بعصاه فمات . فجعل يضربه بالعصا وهو ميت ويقول : قُمْ بإذن الله . فأخذ لِيُصَاب . فبلغ ذلك عيسى ، فأقبل إليه وقد رُفِع على الخشبة ، فقال لهم : أرأيتم إن أحييت لكم الملك أتتركون لى صاحبي ؟ قالوا نعم . فدعا الله تعالى عليه السلام فأحياه وقام وأنزل اليهودى من الخشبة ، فقال : يا عيسى ، أنت أعظم الناس على منّة ، والله لا أفارقك أبدا . فقال له عيسى : أنشدك الله الذى أحيا الظبي والعجل بعد ما أكلناهما ، وأحيا هذا بعد ما مات ، وأنزلك من الجذع بعد ما صُلبت ، كم كان معك من رغيف ؟ قال : والله ما كان معي إلا رغيف واحد ، قال : لا بأس . ثم أنطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز وفيها ثلاث لَبَنَات من ذهب . فقال الرجل لعيسى : هذا المال لك ؟ فقال : أجل ! واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث . فقال اليهودى : أنا والله أكلته وأنت تصلى .
- ٢٠ فقال عيسى : هى لك كلها . فأطلق عيسى وتركه قائما ينظر وهو لا يستطيع أن

- يحمل واحدة منهم ، وكلما أراد أن يحمل واحدة ثقلت عليه . فقال له عيسى : دعه  
فإن له أهلاً يهلكون عليه . فجعلت نفس اليهودي تطلع إلى المال ويكره أن يعصى  
عيسى ويعجز عن حمله . فأطلق مع عيسى ، فبينما هما كذلك إذ مرّ بالمال ثلاثة نفر  
فأقاموا عليه . فقال آثنان منهما لصاحبهما : انطلق إلى أهل هذه القرية فأتنا بطعام<sup>(١)</sup>  
وشراب ودواب نحمل هذا المال عليها . فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر :  
هل لك أن نقتله إذا رجع ونقسم المال فيما بيننا ؟ قال نعم . وقال الذي ذهب  
في نفسه : هو ذا أجعل في الطعام سمّاً فإذا أكله ماتا ويصير المال كله إلى ،  
ففعل ذلك . فلما رجع إليهما قتلاه ، ثم أكلا الطعام فماتا . وصرّ عيسى عليه السلام  
بهم وهم موتى حوله ، فقال : هكذا تصنع الدنيا بأهلها ، فأحياءهم بإذن الله عز  
وجل ، فأعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيئاً . فتطلعت نفس اليهودي  
صاحب عيسى إلى المال فقال : أعطني المال . فقال له عيسى : خذه فهو حظك  
من الدنيا والآخرة . فلما ذهب اليهودي ليحمله خسف الله تعالى به الأرض ،  
وأنطلق عيسى عليه السلام .

### ذكر خبر المائدة التي أنزلها الله عز وجل من السماء

- قال وهب : وسأل بنو إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام أن ينزل عليهم  
مائدة من السماء . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ  
رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ  
نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . وقرأ<sup>(٢)</sup>  
عليّ وعائشة وسعيد بن جبّار ومجاهد رضي الله عنهم « هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » ( بالتاء  
المثناة من أعلاها ونصب الباء الموحدة في ربك ) واختاره الكسائي وأبو عبيد

٦٤  
١٢

(١) في التعليق « إلى بعض هذه القرى » . (٢) سورة المائدة آيتي ١١٢ ، ١١٣

على معنى هل تستطيع أن تدعو ربك وتسال ربك . قالوا : لأت الحواريين لم يكونوا شاكرين في قدرة الله تعالى . وقرأ الباقر « يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » (بالياء المثناة من تحتها ورفع الباء) وقالوا : إنهم لم يشكوا في قدرة الله تعالى وإنما معناها هل يُنزل أم لا ، كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع ، وإنما يريد هل يفعل أم لا ، وأجراه بعضهم على الظاهر فقالوا : غلط القوم وكانوا بشرا ، فقال لهم عيسى عليه السلام استعظما لقولهم : « اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُمِينِينَ » معناه أن تشكوا في قدرة الله أو تنسبوه إلى عجز أو نقصان . وقيل : قال لهم : اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم تسأله الأُمم قبلكم . قالوا : إنما سألنا لأننا نريد أن نأكل كل منها فنستيقن قدرته وتطمئن وتسكن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا بأنك رسول الله ، ونكون عليها من الشاهدين ، فنقر لله بالوحدانية والقدرة ، ولك بالرسالة والنبوة . وقيل : ونكون عليها من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم . قال الكسائي : فأمرهم عيسى بصيام ثلاثين يوما وأن الله بعد ذلك يطعمهم ويُنزلها عليهم . فصاموا حتى تم الأجل ، فقام عيسى وصلى وسأل الله تعالى وقال : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ <sup>(١)</sup> » . قال قوله : ﴿ عِيدًا ﴾ أى عائدة من الله علينا وحجة وبرهاننا . والعيد اسم لما أعدته وعاد إليك من كل شيء ؛ ومنه قيل ليوم الفطر ويوم الأضحي عيد ، لأنهما يعودان كل سنة . وقوله : ﴿ لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ . قال الثعلبي : يعنى لأهل زماننا ولمن يبعث من بعدنا . وقرأ زيد بن ثابت : « لِأَوَّلَانَا وَآخِرَانَا <sup>(٢)</sup> » .

(١) سورة المائدة آية ١١٤

(٢) في الأصول : « لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا » . والتصويب من البحر المحيوط لأبي حيان (ج ٤ ص ٥٦) وغيره من كتب التفسير ؛ قال صاحب البحر : وقرأ زيد بن ثابت وابن محيصن والبخاري « لِأَوَّلَانَا وَآخِرَانَا » أنشأوا على معنى الأمة والجماعة .



- وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم . (وَأَيَّةٌ مِنْكَ) دلالة وحجة . قال الله عز وجل مجيبا لعيسى عليه السلام : (إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ) . وقرأ أهل الشام وقتادة وعاصم «مُنَزَّلًا» بالتشديد لأنها نزلت مرّات ، والتفعيل يدل على التكرير مرّة بعد مرّة . وقال تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ) أى يكفر بعد نزول المائدة (فَإِنِّى أَعَذُّهُ عَذَابًا لَّا أَعَذُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) (١) أى عالمي زمانهم . قال : بفحشد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردةً وخنازير . قال الثعلبي : وأختلف العلماء فى المائدة ، هل نزلت أم لا ؟ فقال مجاهد : ما نزلت مائدة ، وهذا مثل ضرب . وقال الحسن : والله ما نزلت المائدة ، إن القوم لما سمعوا الشرط وقيل لهم : (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّى أَعَذُّهُ عَذَابًا لَّا أَعَذُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) . استعفوا وقالوا : لا نريدها ولا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل . قال أبو إسحاق الثعلبي : والصواب أنها نزلت ، لقوله عز وجل : (إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ) ولا يقع فى خبره الخلف ولتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وغيرهم من علماء الدين فى نزولها . قال كعب : أنزلت يوم الأحد ، فلذلك اتخذته النصرارى عيداً .
- واختلفوا فى صفتها وكيفية نزولها ، فحكى الكسائي عن وهب قال : أنزل الله تعالى على عيسى <sup>(٢)</sup> مِكْثَلًا فيه ثلاث سمكات مشويات ليس لها شوك ولا قشر وثلاثة أرغفة ، والملائكة تحملها حتى وضعوها بين يدي عيسى . قال : وقد قيل : إن المائدة كانت سفرة من <sup>(٣)</sup> الأدم الأحمر ، وكان فيها سمكة واحدة مشوية وحولها الخضر

(١) سورة المائدة آية ١١٥

(٢) المِكْثَل : زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره بسبع خمسة عشر صاعاً .  
 (٣) السفرة : هى التى تتخذ من الجلود ولها معاليق تنضم وتنفرج ، فالأفراج سميت سفرة ؛ لأنها اذا حلت معاليقها انفرجت فأفجرت عما فيها فقبل لها السفرة .

والبقول ، وعند رأسها خلّ ، وعند ذنبها ملح وخمسة أرغفة على كل منها زيتون ،  
 وخمس رقمانات وممرات . وقال الشعبي في تفسيره : روى قتادة عن خلاص بن  
 عمرو عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” نزلت المائدة خبزاً<sup>(١)</sup>  
 ولحماً “ . وذلك أنهم سألو عيسى طعاماً يأكلون منه لا ينفد ، فقيل لهم : إنها مقيمة  
 لكم ما لم تخونوا أو تحبّوا أو ترفعوا ، فإن فعلتم ذلك عُدّتم . قال : فما مضى يومهم  
 حتى خبّوا ورفعوا وخانوا . وقال إسحاق بن عبد الله : إن بعضهم سرق منها وقال :  
 لعلها لا تنزل أبداً ، فُرفعت ومُسَخُوا قردة وخنازير . وقال ابن عباس رضي الله  
 عنهما : إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لبني إسرائيل : « صوموا ثلاثين يوماً  
 ثم سلوا الله تعالى ما شئتم يُعطيكم » . فصاموا ثلاثين يوماً ، فلما فرغوا قالوا : يا عيسى ،  
 إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً ، وإنا قد صُمتنا وجُعنا ، فادعُ الله أن  
 يُنزل علينا مائدة من السماء ففعل . فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة  
 أرغفة وسبعة أحوات<sup>(٢)</sup> حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل  
 أولهم . وروى عطاء بن السائب عن راذان وميسرة قالا : كانت المائدة اذا  
 وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم . وقال  
 سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهم : أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز  
 واللحم . قال عطاء : أنزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم . وقال عطية العوفي :  
 نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء . وقال عمار وقتادة : كانت مائدة  
 تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة . وقال وهب بن منبه : أنزل الله تعالى

٦٥  
١٢

(١) نص الحديث كما ورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٦ ص ٣٧٢) : ” أنزلت  
 المائدة من السماء خبزاً ولحماً وأمرؤالا يخونوا ولا يدنوا لند نغانوا وادنوا ورفعوا لند فسَخُوا  
 قردة وخنازير “ .

(٢) أحوات (جمع حوت) : وهو نوع من السمك معروف .

- أُفْرِصَةً مِنْ شَعِيرٍ وَحَيْثَانَا . فَقِيلَ لَوْ هَبَ : مَا كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي عَنْهُمْ ؟ قَالَ :
- لَا شَيْءَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَضْعَفَ لَهُمُ الْبَرَكَةَ ، فَكَانَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ وَيَخْرَجُونَ وَيَبْحَثُونَ  
الْآخَرُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرَجُونَ ، حَتَّى أَكَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَفَضَّلَ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ  
وَمُقَاتِلٌ : اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ ،  
فَمَنْ أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ جَعَلَتْهُ مِثْلَ الْوَلَعَةِ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، قَالُوا : قَدْ  
رَضِينَا . فَدَعَا شَمْعُونُ الصَّفَا وَكَانَ أَفْضَلَ الْخَوَارِئِينَ فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ طَعَامٌ ؟ قَالَ :  
نَعَمْ مَعِيَ سَمَكَانِ وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ . قَالَ : قَدِّمُهَا . فَقَطَعَهُنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قِطْعًا  
صَغِيرًا ثُمَّ قَالَ : اقْعُدُوا فِي رَوْضَةٍ وَتَرَفَّقُوا رِفَاقًا ، كُلُّ رِفْقَةٍ عَشْرَةٌ . ثُمَّ قَامَ عِيسَى  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَنَزَلَ فِيهَا الْبَرَكَةُ ، فَصَارَ خُبْزًا صَحَاحًا وَسَمَكًا  
صَحَاحًا . ثُمَّ قَامَ عِيسَى بِجَعْلٍ يُلْقَى فِي كُلِّ رِفْقَةٍ مَا حَمَلَتْ أَصَابِعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ ،  
بِجَعْلٍ الطَّعَامِ يَكْثُرُ حَتَّى بَلَغَ رُكْبَتَهُمْ ، فَأَكَلُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَفَضَّلَ مِنْهُ ، وَالنَّاسُ نَحْمَسَةُ  
آلَافٍ وَنِيفَ . فَقَالَ النَّاسُ جَمِيعًا : نَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ مَرَّةً  
أُخْرَى ، فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ خُبْزًا وَسَمَكًا ، نَحْمَسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ ، فَصَنَعَ بِهَا  
مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى قُرَاهِمُ وَنَشَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ ضَحَكَ مِنْهُمْ  
مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا ، وَقَالُوا لَهُمْ : وَيَحْكُمُ ! إِنَّمَا سَحَرْنَا أَعْيُنَكُمْ ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ الْخَيْرَ ثَبَّتَهُ  
عَلَى بَصِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ فَتَنَتَهُ رَجَعَ إِلَى كُفْرِهِ . فَسُيِّخُوا خَنَازِيرَ وَلَيْسَ فِيهِمْ صَبِيَّةٌ  
وَلَا أَمْرَأَةٌ . فَمَكَّثُوا بِذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ هَلَكُوا ، وَلَمْ يَتَوَالِدُوا وَلَمْ يَأْكُلُوا وَلَمْ يَشْرَبُوا .  
وَقَالَ كَعْبٌ : نَزَلَتْ مَائِدَةٌ مَكْوَسَةٌ مِنَ السَّمَاءِ تَطِيرُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
عَلَيْهَا كُلُّ طَعَامٍ إِلَّا اللَّحْمَ . وَقَالَ قَتَادَةُ : كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بَكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ حَيْثُ كَانُوا  
كَالْمَنْقُوسِ وَالسَّلَوَى لِبْنِ إِسْرَائِيلَ . وَقَالَ يَمَّانُ بْنُ رِثَابٍ : كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا شَاءُوا .  
وَرَوَى عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ : لَمَّا سَأَلَ الْخَوَارِئُونَ عِيسَى

أَبْنُ مَرْيَمَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَائِدَةُ لِبَسِ صُوفًا وَبُكِيَ وَقَالَ : ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ الْآيَةَ ، وَأَرْزُقْنَا عَلَيْهَا طَعَامًا نَأْكُلُهُ ، وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . فَتَزَلَتْ سُفْرَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ ، غَمَامَةٌ مِنْ فَوْقِهَا وَغَمَامَةٌ مِنْ تَحْتِهَا ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَهْوِي مَنْقُضَةً حَتَّى سَقَطَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . فَبَكَى عِيسَى وَقَالَ : «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا عُقُوبَةً وَمِثْلَةَ<sup>(١)</sup>» وَالشَّهَوْدُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، يَنْظُرُونَ إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَجِدُوا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِهِ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِيُقَمَّ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا فَيُكْشَفُ عَنْهَا وَيَذْكُرَ اسْمُ اللَّهِ وَيَأْكُلَ مِنْهَا . فَقَالَ شَمْعُونُ الصَّفَا رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ : أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا . فَقَامَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى صَلَاةَ طَوِيلَةٍ وَبَكَى بَكَاءَ كَثِيرًا وَكُشِفَ الْمُنْدِيلُ عَنْهَا وَقَالَ : بِأَسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ ، فَإِذَا هُوَ بِسَمَكَةٍ مَشْوِيَةٍ لَيْسَ عَلَيْهَا فُلُوسٌ وَلَا شَوْكٌ تَسِيلُ<sup>(٢)</sup> سَيْلًا مِنَ الدِّسَمِ ، وَعِنْدَ رَأْسِهَا مِلْحٌ ، وَعِنْدَ ذَنْبِهَا جَلٌّ ، وَحَوْلُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ مَا خَلَا الْكَثْرَاتُ ؛ وَإِذَا خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا زَيْتُونٌ ، وَعَلَى الثَّانِي عَسَلٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثِ بَيْضٌ ، وَعَلَى الرَّابِعِ جُبٌّ ، وَعَلَى الْخَامِسِ قَدِيدٌ . قَالُوا : فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عِيسَى قَالَ شَمْعُونُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ : أَنْتَ أَوْلَى يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَمِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا هَذَا أَمْ مِنْ طَعَامِ الْآخِرَةِ ؟ فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا تَرَوْنَ ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ أَفْعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ الْغَالِبَةِ ، كُلُوا مِمَّا سَأَلْتُمْ يُمَدِّدْكُمْ وَيَزِدْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ . قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، لَوْ أَرَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْيَوْمَ آيَةً أُخْرَى ! فَقَالَ عِيسَى : يَا سَمَكَةَ أَحْيِي بِإِذْنِ اللَّهِ . فَاضْطَرَبَتِ السَّمَكَةُ وَعَادَتْ عَلَيْهَا فُلُوسُهَا وَشَوْكُهَا فَفَزَعُوا مِنْهَا . فَقَالَ عِيسَى : مَا لَكُمْ تَسْأَلُونَ أَشْيَاءَ إِذَا أُعْطِيتُمُوهَا كَرِهْتُمُوهَا ،

(١) المثلثة (بالضم) : التنكيل .

(٢) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٦ ص ٣٧٠) : « تسيل سيلان الدم » .

- ما أخوفني عليكم أن تعذبوا ! يا سمكة عودي كما كنت بإذن الله تعالى . فعادت السمكة مشوية كما كانت . فقالوا : يا روح الله ، كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن . فقال عيسى : معاذ الله أن آكل منها ، ولكن يأكل منها من سألها ، نخافوا أن يأكلوا منها . فدعا عيسى عليه السلام أهل الزمانة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال : كلوا من رزق الله ولكم المهنة ولغيركم البلاء . وفي رواية : كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم وآذكروا اسم الله . فأكلوا وصعدوا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شعبان يتجشأ ، ثم نظر عيسى عليه السلام الى السمكة فاذا هي كهيتها حين نزلت من السماء . ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم . فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ، ولا مريض إلا برا ، ولا مبتلى إلا عوفي ، ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات ؛ وندم الحواريون ومن لم يأكل منها إذ لم يأكلوا منها . وكانت اذا نزلت آجتمع الفقراء والأغنياء والصغار والكبار والرجال والنساء فيزدحمون عليها . فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوبة بينهم ، فلبثت أربعين صباحا تنزل تُصْحَى ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفى طارت صعدا وهم ينظرون الى ظلها حتى توارى عنهم . وكانت تنزل غبا ، تنزل يوما ولا تنزل يوما كحاقة صالح . وأوحى الله عز وجل الى عيسى أن أجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء ، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا : أترون المائدة حقا نزلت من السماء ! فقال عيسى : هل كنتم تجهزون لعذاب الله . فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : إني شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . فقال عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

(١) جشأ وتجشأ : أخرج صوتا من فمه عند الشبع .

فإنك أنت العزيز الحكيم . فمسح منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا . وقال الكسائي عن وهب : مسح منهم خمسة آلاف وخمسمائة ، فباتوا على فرشهم مع نسائهم في ديارهم ، فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكسائات وياكلون العذرة . فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام ، وبكى على المسوخين أهلهم . ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكى وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحدا واحدا فيكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرّون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا . وهؤلاء الذين أُنْعِمُوا على لسان عيسى كما قال تعالى : ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية .

### ذكر ما قالته الشياطين الثلاثة في عيسى بن مريم

وأتبعهم الناس بعدهم

قال الكسائي قال وهب : جاء إبليس الى عيسى عليه السلام هو وأصحاب له على صور رجال ذوى هيئة وشيبة وعيسى يقول لبنى إسرائيل : ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية . فقال إبليس : أتخلق وتشفى المرضى وتحيي الموتى وتنبئنا بالغيب ؟ قال عيسى نعم . قال إبليس : هذا الله عز وجل ! يا أيها الناس فانظروا اليه ، فإنه نزل اليكم ليرىكم قدرته . فقال أحد أصحاب إبليس : بئسما قلت يا شيخ ! أخطأت وجرّرت وقلت قولا عظيما ، أتزعم أن الله يتجلى لخلقّه لينظروا الى قدرته ! وهل ينبغي لخلقّه أن ينظروا اليه أو يسمعوا كلامه أو يقوموا لرؤيته ! لا ، ولكنه ابن الله وليس هو الله . فقال الثالث : كلاً كما قال شططا وأخطأ وجار وقال قولا عظيما ، وهل ينبغي لله أن يتخذ صاحبة يكون له منها ولد ! وهل ينبغي لولد هو من الله

أن تستقلّ به قوّة امرأة ويسعه رَحْمَهَا ! ولكنّه إله مع الله وليس بولد لله وليس بالله كما قلتما . قال : فتفرّقوا على ذلك ونطق الناس بقولهم ، فصار ذلك كلام النصارى . قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

### ذكر خبر إبليس حين عارض عيسى عليه السلام

وما خاطبه به وجوابه

قال وهب : ثم جاء إبليس الى عيسى بن مريم فعارضه في عقبة من عقاب الأرض المقدسة يقال لها عقبة فيّيق : فقال له : أنت المسيح بن مريم؟ قال عيسى : أنا المسيح عيسى بن مريم رُوح الله وكلمته وعبدُ الله وأبن أُمته . فقال له إبليس : فأنت إله الأرض . قال : بل إله الأرض ربّي . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيّتك أن تكلمت في المهد صبيّا . قال : بل العظمة للذى أنطقنى في صغرى . قال : بل فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيّتك أنك تخلّق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا . قال عيسى : بل العظمة للذى خلّقنى وخلق ما سخر لى . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيّتك أنك تشفى المرضى . قال عيسى : بل العظمة للذى بإذنه شفيتهم وإن شاء أمرضنى . قال إبليس : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيّتك أنك تُحيى الموتى . قال عيسى : بل العظمة للذى بإذنه أحييهم ، ولا بدّ أنه سيُيت من أحييت ويُميتنى . قال : فأنت الذى بلغ من

(١) سورة المائدة آية ٧٢ (٢) سورة البقرة آية ١١٦

(٣) سورة المائدة آية ٧٣ (٤) العقبة : مرقى صعب من الجبال ، أو الطريق فى أعلاها . ٢٠

- عظم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبطل قدماك ولا ترسخ فيه . قال : بل العظمة  
الذى ذلله . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تعلم الغيب . قال :  
بل العظمة لعالم الغيب والشهادة ، لست أعلم إلا ما علمنى . قال : فأنت الذى بلغ  
من عظم ربوبيتك أنك كُنت من غير أب . قال : بل العظمة للذى كُنتى وكون  
آدم وحواء من قبلى . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك سيأتى عليك  
يوم تعلو فيه الخلائق كلها ، فتكون السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن  
دونك ، وأنت فوق ذلك كله تدبر الأمر وتقسّم الأرزاق . قال : فأعظم عيسى قوله  
وضاق به ذرعا وسبح إعظاما لما قال إبليس . قال : فأتاه جبريل فنفخ بإبليس  
نفخة ذهب يلطم منها على وجهه فلا يملك من نفسه شيئا حتى وقع بالخفاق الأقصى ،  
ثم نهض بالذى أعطاه الله من القوة فسبق عيسى إلى أسفل العقبة فسدها وملا كل  
ثلمة وطريق ، ثم قال لعيسى : لقد غضبت غضب إله عظيم ، وقد أخبرتك بأنك إله  
وما أنت من البشر ، ولو كنت من البشر ما قت ، منذ فارقتك ، أربعين ليلة لم  
تطعم ولم تشرب ولم تتم ولم يضرع لذلك جسمك ، وهذا مالا ينبغي لبشر . قال عيسى :  
إن جسدى ليألم مما يألم منه البشر ، وإني لأطعم وأشرب وأنام وأغفل وأفرح  
وأحزن وأجزع وأهلع وأحتاج إلى أن أتنظف بالماء وكيف تزعم أنى إله وأنت  
تعلم أنى هكذا ! . ولم يزل إبليس لعنه الله يحاوره حتى عرض عليه أن يأمر الشياطين  
بعبادته والاعتراف بربوبيته . فضاق عيسى ذرعا وسبح لله تعالى فقال : « سبحان  
الله عما يقول وبجده ، ملء سمائه وأرضه ، وعدد خلقه ، ورضا نفسه ، ومبلغ علمه ،  
ومنتهى كلماته ، وزنة عرشه » . فهبط جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فنفخه ميكائيل  
نفخة ذهب منها نحو مطلع الشمس حتى صدم عين الشمس عند طلوعها ، فخر
- (١) فى الأصل : « ما قت لى » بزيادة « لى » . وظاهر أنها من زيادات النساخ .  
(٢) يضرع : يصف .



حصيداً محترقاً ، فأتبعه إسرافيل فنفخه نحو مغرب الشمس فانطلق لا يملك من نفسه شيئاً حتى حاذى عيسى فقال : يا ابن مريم ، لقد لقيت منك تعباً . وصرت به النفخة حتى وقع في العين الحامية التي تغرب الشمس فيها ، فلبث سبعة أيام وسبع ليال ، متى أراد الخروج منها غطته الملائكة بأجنحتها ، فما رام عيسى بعد ذلك . والله أعلم .

### ذكر خبر عيسى مع اليهود

٥

حين ظفروا به وأرادوا صلبه وقتله

٦٨  
١٢

قال وهب : لما أوحى الله عز وجل إلى عيسى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾<sup>(١)</sup> جَزَع من الموت جَزَعاً شديداً وقال للحواريين : هذا الزمان الذي يَقْبِضُ الله فيه الراعي ثم تُفَرَّقُ الرعية من بعده ، فعرفوا أنه يعني نفسه ، فبكوا وجزعوا ، فقال : لا تبكوا من حزن الفراق ، فسترون ما هو أشد منه ، ولست مفارقةكم حتى يظفر بي عدوى ثم يأسروني ، فلا تدفعوا عني ولا تمنعوا . قال : وطلبه اليهود ليقتلوه فاستخفى منهم ، فدلم عليه يُوذاً وهو الذي آرتد عنه ، فأخذه من غار جبل بيت لحم وجعلوا على رأسه إكليلاً من الشوك ليمثلوا به ، وجعلوا يطمونه ويضربونه من خلفه ويقولون له : إن كنت نبياً كما تزعم فامنع عن نفسك وأدع ربك فليحل بيننا وبينك ، وهو لا يكلمهم حتى طلع الفجر ، ونصبوا له خشبة ليصلبوه . فلما أرادوا أن يرفعوه عليها أظلم الجو ظلمة عظيمة لم تلبس الأرض مثلها ، وأرسل الله الملائكة فخالوا بينهم وبينه وصلبوا مكانه يُوذاً الذي دل عليه ، وأشرقت الشمس وقلب الله قلوب الناس وأبصارهم فجعلوا ينظرون إلى يُوذاً في صورة عيسى . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . قال : ولما رفعوا يُوذاً على الخشبة قال :

٢٠

(١) سورة آل عمران آية ٥٥ (٢) سورة النساء آية ١٥٧

يا هؤلاء ، إنّي أذكّركم الله في دمي ، إنّي صاحبكم يؤدّا الذي دللتكم على عيسى . ثم أخبرهم خبر الظلمة وأنّ الملائكة حالوا بينهم وبين عيسى وجعلوه مكانه ، وأخبرهم بعلامات يعرفونها . فلما سمعوا ذلك منه زادهم عليه غيظا وحنقا وقالوا : ما أعظم سحره ! كيف اطلع بسحره على سرّنا وما كنّا نطويه دونه ! وقتلوه وهو صاحبهم .

### ذكر خبر رفع عيسى عليه السلام أول مرة

وهبوطه إلى الأرض ووصيته إلى الحواريين ورفعته ثانيا

- قال : رفع الله تعالى عيسى لثلاث ساعات مضت من النهار، فلبث في السماء أيّاما، قيل سبعة أيام، وقيل أربعين يوما . والله أعلم . ثم قال الله له : إنّ أعداءك اليهود أعجلوك عن الوصية والعهد إلى أصحابك، فانزل اليهم وأعهد لهم وأوصهم، وانزل على مريم المجدلانية<sup>(١)</sup> فإنها في غار في جبل الجليل . وكانت مريم المجدلانية من قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدل . وكانت من أوسط نساء بني اسرائيل حسبا، وكانت أجمل نسائهم وأكثرهم مالا، وكانت تُستحاض فلا تطهر أبدا وخطبها أشراف بني اسرائيل وملوكهم وأمتعت من إجابتهم، فظنّوا أنّ ذلك ترقعا منها، وإنما كان بسبب ما يعرض لها . فلما ظهر عيسى عليه السلام وشاع ذكره أُنْتُه في جملة المرضى ليشفيها، فحجّلت أن تسأله لكثرة الناس حوله، فجاءت من ورائه فسّته بيدها فزال عنها ما كانت تشكوه وطهرت وآمنت بعيسى، وأنفقت مالها فيما أمرها به من وجوه البر، وصارت فقيرة وتبتلت وتخلّت للعبادة، وكانت تُعدّ من أصحاب عيسى .
- قال : وأمر الله تعالى عيسى أن يأمرها أن تجمع له الحواريين، وأن يستخلف عليهم شُمعون، وأن يُفرّقهم دعاة إلى الله عز وجل في البلاد، وأن يخبرهم بالعلامة التي تأتيهم من الله . ثم أهبطه الله تعالى على مريم فأشتعل الجبل نورا، وأُنْتُه بالحواريين، فبلغهم
- (١) كذا في الأصول والتعليق . ولعلها نسبة شاذة إلى مجدل . وفي الكتاب المقدس : "المجدلية" .

- رسالة ربهم ، وقال : إن آية ذلك أن تأتيكم الملائكة في ليلتكم هذه بمغارف فيها نور من نور الله ، فيكلّ مَنْ تناول مِغْرَفَةً منها فليَلَحِيسِ النور الذي فيها فإنه يصبح وقد تكلم بلغاة القوم الذين بُعِثَ إليهم ويُصبح وهو على باب مدينتهم . قال :
- والليلة التي هبط عيسى فيها هي الليلة التي تدخّن فيها النصارى باللُّبَانِ . قال : فلمّا فرغ عيسى من وصيته الى الحواريين رُفِعَ بعد سبعة أيام ، وتوفاه الله تعالى لثلاث ساعات من النهار ، ثم كساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه المطعم والمشرب وصار ملكياً إنسياً . قال وهب : برز عيسى عليه السلام للناس يوم برز وهو ابن ثلاثين سنة ، ولبت فيهم في نبوته وفيما كان الناس يرونه منه من العجائب والآيات ثلاث سنين ، ورفع الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وحكى أبو إسحاق الثعلبيّ عن أهل التاريخ أن الله تعالى أوحى الى عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة . وقد ورد في الحديث ما يدلّ على أنه رُفِعَ وله مائة وخمس وعشرون سنة . وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في آخر السيرة النبوية على ما تقف إن شاء الله عليه هناك .

٦٩  
١٢

### ذكر وفاة مريم بنة عمران عليها السلام

- قال الكسائيّ قال كعب : ماتت مريم بنة عمران أمّ عيسى عليهما السلام قبل رفعه ، فدفنها في مشاريق بيت المقدس . وحكى الثعلبيّ رحمه الله أنها ماتت بعد رفع عيسى عليهما السلام . وقال في خبره : إنه لما صُلب المشبه بعيسى جاءت مريم ابنة عمران وأمرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بيكان عند المصلوب ، فحياهما عيسى عليه السلام فقال لهما : على ما ذا تبكيان ؟ فقالتا عليك . فقال : إن الله تعالى رفعني فلم يُصِبنِي إلا خيراً ، وإنّ هذا شيء شُبّه لهم . ثم قال أيضاً في قصة

وفاة مريم عن وهب : لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين  
الحواريين وأمر رجلين منهما وهما شمعون ويوحنا أن يلزما أمه ولا يفارقانها، فانطلقا  
ومعهما مريم إلى نيرون ملك الروم يدعوانه إلى الله عز وجل ، وقد بعث الله إليه  
قبل ذلك بولس<sup>(١)</sup> . فلما أتوه أمر بشمعون وبولس فقتلا وصلياً منكسرين ، وهربت  
مريم ويوحنا ، حتى إذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب ، فخافا فأنشقت لهما  
الأرض فغابا فيها ، فأقبل نيرون ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا  
شيئاً فردوا التراب على حاله ، وعلموا أنه أمر من الله عز وجل . فسأل ملك الروم  
عن حال عيسى فأخبر به فأسلم . وقد قيل في إسلامه غير هذا ، على ما نذكره إن شاء  
الله تعالى .

- ١٠ (١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٣١ من القسم الأول) . وفي الأصول : « بارون » .  
(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٣١ من القسم الأول) وكما سيذكره المؤلف في الصفحة التالية .  
وفي الأصول : « بودس » .

## الباب السادس من القسم الثالث

من الفرق الخامس في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام  
وما كان من أمرهم مع من أرسلوا اليه وخبر جرجيس

### ذكر خبر أخبار الحواريين

- قال الكسائي قال وهب : وأصبح الحواريون على أبواب المدائن التي بُعثوا  
اليها ، يتكلم كل رجل منهم بلغة الأمة التي بُعث اليها . فَبعث الى أهل رُومِيةَ  
رجلين من الحواريين ، وبعث إندراوس ولوقا الى أرض الحبشة ، وبعث رجلا  
الى بابل ، وبعث رجلا الى إفريقية ، ورجلا الى أصحاب قرية الكهف ، ورجلا  
الى بربّر ، ورجلين الى أنطاكية ، ورجلا الى السند والهند ، وأقام شمعون مكانه  
وهو رأسهم ، وأمروا أن يستظهروا به فيما يهتمهم .

### ذكر خبر يوحنا وبولس اللذين توجّها إلى إنطاكية

- قال الكسائي : لما أصبح يوحنا وبولس على باب إنطاكية دخلها عند فتوح  
بابها ، ومَلِكُها يومئذ مَخْلُطِيس بن مَخْلُطِيس ، وكان ظالما جبارا متكبرا ، فلم يقدر  
على الوصول اليه ، وما أمكنهما أن يذكر ما جاء فيه مخافة أن يُقتل قبل أن يبلغاه  
رسالة الله تعالى . فكانا كذلك مدة ، حتى شَخَصَ الملك من منزله الى مُسْتَرزله فنادياه  
من بعيد بالإنذار . فلما سمع أصواتهما أرسل من يسمع مقالتهما فبلغاه رسالة الله  
عز وجل ، فأمر الملك بجلد كل منهما مائة جلدة وحلّق رؤوسهما حلّق الشمامسة

٧٠  
١٦

(١) في الطبري (ص ٧٩٠ من القسم الأول) : « انطيوخس بن انطيوخس » .

- يُمَثِّل بهما، ثم أمر بهما إلى السجن ليخلداً فيه . فأوحى الله تعالى إلى شمعون بنجرهما وأمره بالانتصار لهما . فخرج حتى بلغ أنطاكية فدخلها، وتلطف حتى صحب خواص الملك وبطانته وأنسوا به وذكروه للملك . ثم طرق السجن ليلاً، وكان له باب من حديد طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ، وكان إذا فُتح صرصر حتى يُسمع صريه أقصاهم وأذناهم . فأرسل الله تعالى ملكاً فأقتلع الباب من موضعه فلم يُسمع له صوت ، وألقى الله عز وجل السُّبَّات على أهل السجن وحراسه . فدخله شمعون، واجتمع ييوحنا وبولس وبشراً عن الله بالثواب والخير وأنصرف عنهما ، وردَّ الملك باب السجن إلى موضعه . وكان شمعون يدخل مع الملك وأصحابه إلى بيوت أصنامهم ويسجد لله ويكي ويكثر العبادة وهم لا يشكّون أنه يعبد أصنامهم، فأحبّه الملك وقربه وسأله عن نسبه ، فأخبره أنه من بنى إسرائيل وأنه بقيّة قوم أنقرضوا، ولم يكن له من يأنس به فاعتمدتكم رغبة في قربكم، وحرصاً على إخوانكم . فقال الملك : قد قبلنا قولك وسودناك علينا ، فأنت أفضلنا وسيّدنا . فلبث فيهم زمناً يصدرون عن رأيه . فلما تمكّن أمره من الملك قال له : أيها الملك ، بلغني أنك سجنّت رجلين كانا قد جاءاك يدعوانك إلى غير دينك وإلى عبادة إله غير إلهك ، ويزعمان أنّ الله أرسلهما إليك ، وعجبتُ كيف اجتراً عليك . فماذا قلت لهما وما قالاك ؟ وهل أجبتهما بما كان ينبغي لك من الجواب ؟ وهل سألتهما حين عظما لك ربهما أن يذكراك سائر عظمتهم ، أو أحيا لك ميتاً ، أو غير ذلك مما تعرف به مصداق قولهما ؟ قال الملك : لقد حال الغضب دون ما تقول . قال : فهل لك أن تدعوهما ؟ قال نعم . فأحضرهما بين يديه ، فقال لهما شمعون : أخبراني من أرسلكما إلى هذا الملك وقومه ؟ قالوا : أرسلنا الله الذي هو على كل شيء قدير . فقال شمعون : صف لي عظمتهم . قالوا : هي أعظم من أن تُحصَى . قال : فأخبراني ماذا يبلغ من قدرته ؟

- قالا : إن شئت وصفنا لك ما نُطِيق وصفه ، وصِفْتُهُ أعظم من طاقتنا ، وإن شئت وصفنا لك ذلك في كلمتين تكفيان من كلام كثير . قال : نعم ، صِفْهُ وأوجِزْ .
- قالا : إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فوضع شمعون يده على رأسه كالمنكر لما قالوا ، ثم أقبل عليهما وقال : إني أسألكما أمرا فإن قدر إلهكما عليه آمنا بكما .
- قالا : سل . قال : هل يقدر أن يخلق خلقا ونحن ننظر إليه ؟ قالوا نعم . قال : اعلمنا ما تقولان ! قالوا : قد علمنا ، فمتى شئت أريناك . فعندها خلا شمعون بالملك وقال : أيها الملك ، إن هذين الرجلين ليسا ببعيدين من أن يكون ربهما كما قالوا ، ولا أظنهما عرّضا أنفسهما لملك لمثل هذا الموقف إلا وعندهما ثقةٌ من إلههما . وإني أخشى أن يدعوا ربهما فيخلق خلقا ينظر إليه الناس فيمريض ذلك قلوبهم ويزهدون في إلهك الذي تعبدونه ويذهبان بالصوب والشرف . فهل لك أن تدعوا إلهك فيخلق هذا الخلق الذي نريد أن نتمناه عليهما فيكون لك وإلهك شرف هذا اليوم وصوبه ؟
- قال له الملك : ليس دونك سرّ ، إن هذا الإله الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضّر ولا ينفع ولا يحيي ولا يميت . فقال لهما شمعون : اعرضّا على بعض قدرة إلهكما فإن أجابكما وخلق الشيء على أعيننا ونحن ننظر إليه فقد صدقنا والقول قولكما .
- وآجتماع الناس لينظروا . فأوحى الله إليهما أن سَلَاهُ ماذا يريد ، فإني مستخر لكما ما سألكما . قالوا : قد أوحى إلينا أنه فاعلٌ ما تسألنا ، فسلنا . وكان شمعون قد عهد في المدينة غلاما مطموس الوجه لم يُخلَق له عينان ، فأُتي به فقال : ادعوا ربكما أن يخلَق له عينين ونحن ننظر . قالوا نعم . فأوقفاه بين أيديهما ودعوا الله وأعانهما شمعون سرّا ، فأجابهم الله تعالى ، فأخذ كل واحد منهما حثوةً من تراب وعجنه وجعله كالبنديقة ، ووضعوا البنديقتين في موضع العينين من وجه الغلام فأنشَق

(١) الصوب : ضد الخطأ ، مثل الصواب .

- لها البصر، ثم صارت البندقيتان عيين . فخاف الملك، فقال له شمعون : لا تخف  
 إن عندى حيلة . قال له الملك : لعلهما ساحران، أرنا ما لا يكون وما ليس بكائن .  
 قال شمعون : ليس هذا من السحر، ولكنى أخاف أن يأتى من إلهكما ما يُعجز  
 حيلتنا . فدعا شمعون بغلام مطموس وعمل كما عملا فأَنشَقَ بصره، كما أَنشَقَ بصر  
 الأول، ففرح الملك وأصحابه بذلك . فقال شمعون : إنما صنع ما ترون  
 إله اخترته لنفسى وهو الذى أظهر فُلُجكم<sup>(١)</sup>، فَاسْجُدُوا لهذا الإله الذى أظفركم بعدوكم  
 لعله يُعينكم على ما يكون بعد هذا . فقال الملك : كيف نسجد لغير إلهنا ! . قال  
 شمعون : ألم تُخبرنى أنه لا يُبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، فما قُدْرته عليك إن  
 سجدتَ لغيره ! قال : صدقت . وسجد الملك وسجد قومه لسجوده . ثم قال شمعون  
 ليوحنا وبولس : إني أسألكما عن أمر، فإن قَدَرَ عليه إلهكما فالجّة إذا لكما والقول  
 قولكما . قالا : سَلْ عما بدالك . قال : تسألان ربكما أن يُحيى لنا ميتا حتى يكلمنا  
 ويخبرنا ما خبره، ويُعلمنا ما كان فيه وما لقي بعدنا . قالا : نعم، إن الذى سألتَ  
 يسيرٌ على الله وهينٌ عليه . فوضع شمعون يده على رأسه كالمُعْظِمِ والمنكر لما قالا .  
 ثم خلا بالملك وقال : إنك قد رُميتَ بأمر عظيم، وإني أخاف إن أحيا إلهكما الموتى  
 أن يميل الناس إليهما . قال الملك : إنا نرجو ألا يأتيا بشيء إلا أتيتَ أنتَ بمثله .  
 قال شمعون : إني لا أغرّكم، إن إلهى لا يُحيى الموتى، ولا أعلم فى الأرض من يقدر  
 على ذلك . قال الملك : فهل تدعهما يدعانا وتدعهما، فإن ألبا قاتلناهما ؟ . قال  
 شمعون : كيف نقاتل من لهما إله يُحيى الموتى ! ولكن أرجو أن أدعو الإله الذى  
 صنع ما رأيتم فُيعيننا على ما نريد . قال شمعون : هل يقدر إلهكما على أن يُحيى  
 الموتى ؟ قالا نعم . قال الملك : إن عندنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن

(١) الفلج (بالضم) : بمعنى الفوز والظفر .



- دِهْفَان مَدِينَتَنَا، فَدَعَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَحْضَرَ فِي نَعَشٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَرْوَحُ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ :
- دُونَكُمْ ادْعُوا أَنْ يُجِيبَهُ إِلَهُكُمْ . فَدَعَوْا اللَّهَ، فَمَا لَبِثَ أَنْ تَفْتَقَتْ عَنْهُ أَكْفَانُهُ وَرَدَّ اللَّهُ
- إِلَيْهِ رُوحَهُ . فَسَأَلُوهُ مَتَى مَاتَ وَمَاذَا لَقِيَ . فَقَالَ : مُتَّ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ عُرِضْتُ
- عَلَى عَمَلِي فَقُذِفْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنْ نَارٍ، وَذَكَرَ مَا فِي الْأَوْدِيَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحَيَّاتِ
- وغير ذلك . قَالَ : فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى الْوَادِي السَّابِغِ خُفِّفَ عَنِّي الْعَذَابُ . قَالُوا : هـ
- فَنَ أَيْنَ خُفِّفَ عَنْكَ الْعَذَابُ؟ قَالَ : أَحْيَانِي اللَّهُ وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، بِخَافِي شَيْءٍ مِثْلَ
- الرَّيْحِ فَدَخَلَ فِي رَأْسِي، فَلَمَّا صَارَ فِي جَسَدِي حَيِّتُ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ فَوْقَكَ،
- فَشَخَّصْتُ<sup>(٣)</sup> بَبَصْرِي وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرَجُلٍ شَابٍّ حَسَنِ الْوَجْهِ
- نَحِيفِ الْجَسَمِ أَبْيَضٍ يَخَالُطُهُ حُمْرَةُ مَتَلَقٍّ بِالْعَرْشِ يَشْفَعُ لِهَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الثَّلَاثَةِ ، يَعْنِي
- عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ رَهْطٍ تَعْنِي؟ . قَالَ : هَذَا الشَّيْخُ الْأَجْلَخُ<sup>(٤)</sup>،
- وَهَذَا الْكَهْلُ الْأَنْزَعُ<sup>(٥)</sup>، وَهَذَا الْفَتَى الرَّجُلُ<sup>(٥)</sup> . فَمَا زَالُوا مُجْتَهِدِينَ فِي الدَّعَاءِ حَتَّى شَفَعُوا،
- وَالشَّافِعَ لَهُمْ مُصْنِعٍ إِلَيْهِمْ بِأَذْنِهِ كَأَنَّهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ فَيَدْعُو بِهِ . فَلَمَّا
- فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ قَالَ : إِنِّي أَحْذَرُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِثْلَ مَا كُنْتُ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ
- عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَشَمْعُونَ وَبُولُسَ وَيُوحَنَّا . قَالَ شَمْعُونُ : اعْتَصَمْنَا بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْنَا
- عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ الْمَلِكَ بِخَبْرِهِ وَخَبَرَ أَصْحَابَهُ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَهُمْ مِنْ آمَنَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
- تَوَلَّى . وَكَانَ الْمَلِكُ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ فِي عَصَبَةِ يَسِيرَةٍ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ
- صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ .

- قَالَ : وَكَانَ قَدْ نُبِّئِيَ إِلَى الدَّهْقَانِ أَبْنَاهُ ، وَكَانَ اسْمُ الدَّهْقَانِ حَبِيبَا النَّجَّارِ ،
- ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَتْهُ الْبَشَارَةُ بِحَيَاةِ أَبْنَاهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهُ ، وَأَخْبَرَ خَيْرَ الْحَوَارِيِّينَ ،
- ٢٠ (١) أَرْوَحُ : أَنْتَن . (٢) شَخَّصَ بَصْرَهُ وَبَبَصْرَهُ : رَفَعَهُ . (٣) الْأَجْلَخُ : الَّذِي
- انْخَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبِي رَأْسِهِ . (٤) الْأَنْزَعُ : الَّذِي انْخَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبِي جَبْهَتِهِ .
- (٥) الرَّجُلُ (بِسُكُونِ الْجِيمِ) : الَّذِي شَعَرَ رَأْسِهِ بَيْنَ السُّيُوطَةِ وَالْجُعُودَةِ .

فآمن بهم قبل أن يراهم ، فأقبل مسرعا . فلما قص عليه ابنه قصته ازداد  
إيمانا و يقينا . قال وهب : فيقال — والله أعلم — إن هذا هو الذي ذكره  
الله تعالى في قوله : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا  
الْمُرْسَلِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ . فأوجب الله له بكلامه الجنة ، وخير أن يعمر هو وأبنته مائة عام  
أو يعجل بهما إلى الجنة ، فأختارا الجنة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ اتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً  
إِنْ يُرِذِنِ الرَّحْمَنُ <sup>(٢)</sup> ذُرِّيَّةً ﴾ . قال : ولم يزل يجاهد قومه قبل أن تأخذهم الصيحة  
ويدعوهم إلى الله حتى قتلوه ، ففيل له : ادخل الجنة ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا  
غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

٧٢  
٢

### ذكر خبر توما الخوارى مع ملك الهند وإيمانه به

قال الكسائي قال وهب : وجاء توما إلى أرض الهند والسند . فبينما هو يتردد  
على ساحلهم إذا هو بغلام لملك الهند يقال له حيان ، وكان تاجرا . فأتاه توما فقال  
له : هل لك أن تبتاعني للملك ؟ فقال له حيان : من أنت أيها الرجل الكريم ؟ .  
قال له توما : إني كنت عبدا مملوكا فأعتقني سيدي وأمرني بالطلب لنفسى ، فلم  
أصادف من الحرية ما كنت أظن ، وكان حالى يوم كنت عبدا خيرا منه اليوم  
وأحسن . فقال له حيان : ما أرى عليك ميسم العبودية ، وإني لأرى عليك أثر الخير ،  
ثم قال له : ما الذى تمحس من الأعمال ؟ قال : أعمل سائر الأعمال . فأشتراه بثلاثمائة  
مثقال من الذهب وأنطلق به إلى الملك . فلما رآه أجله وعظمه ، وسأل التاجر عنه  
فأخبره أنه اشتراه على أن يعمل سائر الأعمال . فقال له الملك : أريد أن تنبى لى

(٢) سورة يس آية ٢٣

(١) سورة ين آية ٢٠

(٣) سورة يس آية ٢٧

- قصرًا لم يُعمل مثله لأحد قط . قال تومًا : لك ذلك على ، ولكن أرضك حارة ، وإذا بُنيَ في زمن الحَر كان حارًا لا يُسكن من حرّه ، وكذلك في زمن البرد يكون باردًا ، وإني لأرى أن يُعمل في زمن الاعتدال ، فوافقهُ الملك على رأيه . وعرض للملك غَزاةً فخرج اليها واستخلف أخاه على المُلك ، وأمره أن يدفع تومًا ما يحتاج إليه من الأموال للنفقة على القصر ، فصرف له أموالًا كثيرة ، ففرّقها توما في الفقراء .
- والمساكين حتى أغناهم ، ثم مَرِضَ أخو الملك مرضًا شديدًا وغاب عن حسّه وحركته سبعة أيام . فقدم الملك وهو على تلك الحال ، فلما رَدَّ الله عليه رُوحه قال الملك لتوما : ما فعلت في القصر ؟ قال : قد فرغت منه . فقال الملك لأخيه : ما الذى أعطيتَه من مالى ؟ قال : جميع ما فى بيت مالك . قال : فهل رأيتَ القصر ؟ قال : إنه قبض منى المال ثم اشتكيت فقلت لتوما : أين بنيتَ هذا القصر ؟ قال : بنيته لك فى السماء . قال : وكيف لى بسُلم أنال به السماء ؟ قال : تنال السماء بالسُلم الذى نالها به أخوك . فقال له أخوه : اسمع منى أيها الملك أُخبركَ بالعجب ؛ فإنك لو تعلم ما أدخل عليك هذا الرجل من الخير وصرف عنك من الشر لقبلت قدميه وجعلته فوق رأسك . قال : أخبرنى خبره .
- قال : أخبرك أن الله عزَّ وجلَّ عرَّج برُوحى ، فعرضنى على النار فرأيتُ أمرًا عظيمًا مهولًا ووصفه لأخيه ، ووصف له صفة ما يُعَذَّب به أهل الشُّرك بالله وعَبادة الأوثان . قال : ثم قيل لى : إن الله عرضك على النار فأراك ما رأيت لتكون لمن خَلَقك نذيرًا ، وسيريك الجنة ، لتبشِّر بها قومك ، ولتُخبر من خَلَقك بما رأيت . قال : فأدخلتُ الجنة فرأيت كذا وكذا ، ووصف الجنة ونعيمها وما فيها . قال : وآنهيتُ إلى قصر عظيم من أعظم قصورها وأبوابه مُغلقة ، فقلت لحرّنة الجنة : إني أحب أن أشاهد باطن هذا القصر فإنى لم أر مثله . قالوا : إن صاحبه الآن فى الدنيا

ومفاتيحه عند ملك من الملائكة . قلت : فلمن أدخِر هذا القصر ؟ قالوا : هذا لأخيك فلان وهو الآن في الدنيا ، وعنده رسول من عند الله يقال له توما الحواري من حوارتي عيسى بن مريم . فإذا رجعت إليه فبشره وأخبره أنه القصر الذي بناه له توما في السماء ، وأنفق فيه بيت ماله . ثم ردَّ الله بعد ذلك على رُوحى ، وأنت تعلم يا أنسى أن لى شَطْر مالك ومُلْكك وخزائنك ، وتعلم ما لى بعد ذلك من الأموال والخزائن ، وأنا أعطيك جميع ذلك على أن تُعطيني قصرك الذي رأيته لك في الجنة . قال : يا أنسى ، ما كنت لأعطيك الباقي بالفانى . ثم أقبل على توما وآمن به هو وأهل مملكته ، ولم تزل تلك الأمة على دين عيسى حتى أبادها الموت .

### ذكر خبر لُوقا الحواري مع ملك فارس

٧٣

٢

قال : وأصبح لُوقا على باب مدينة من مدائن فارس ، وهى التى يسكنها الملك ، فإذا غلمان من أبناء الملوك وأبناء الوزراء جلوس على قارعة الطريق يلعبون . فجلس الحواري الى جانب غلام منهم وسأله كيف يلعب ، فغلب جميع أولئك . فلما تفرقوا دعاه الغلام الى منزله ، فقال له : اذهب الى أبيك وأستأذنه فى ذلك . فأنطلق الغلام الى أبيه وأخبره بخبر الشيخ ، فأذن له أن يأتيه به ، فرجع اليه وقال له : إن أبى يدعوك ، فأقبل معه . فلما وُلجَّ باب الدار قال : بأسم الله ، فخرج كل شيطان فى الدار ، وصاحب الدار ينظر الى ذلك ، وكانت الشياطين تظهر لهم وتشاركهم فى طعامهم وشرابهم ، فعجب صاحب الدار من ذلك . وقَدَّم الطعام فأقبلت الشياطين لتأكل على عاداتها ، فقال لُوقا : بأسم الله ، فنفرت الشياطين وفزت من الدار . فقال الشيخ : قد رأيت منك اليوم ما لم أراه من أحد ، وإِنَّ لك لشأنا ، وخلا به وقال : لا بد أن تُخبرنى خبرك ولا تكتمنى أمرك . قال : على أن تكتمه ولا تذكره إلا أن

- آذَنَ لَكَ ، قَالَ نَعَمْ . فَاسْتَوْتَقَ مِنْهُ وَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ لَوْ قَا : أَخْبِرْنِي أَيْ مَالِ الْمَلِكِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعْجَبَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : مَا شِئٌ مِنْ مَالِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعْجَبَ عِنْدَهُ مِنْ يَرْدُونٍ حَتَّى إِنَّهُ يَرْكَبُهُ مِنْ سَرِيرِهِ . ثُمَّ أَقَامَ مَدَّةً ، فَقَدَّمَ الْيَرْدُونُ إِلَى الْمَلِكِ لِيَرْكَبَهُ عَلَى عَادَتِهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى جَانِبِ السَّرِيرِ نَحَرَ مَيْتًا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ وَآلَمَهُ وَقَالَ : وَدِدْتُ لَوْ فِدَيْتُهُ بِمَالٍ عَظِيمٍ ، وَحَزِنَ جِلْسَاءُ الْمَلِكِ وَخَوَاصُّهُ لِحَزْنِهِ . قَالَ : وَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى لَوْ قَا وَقَدْ حَزِنَ الْحُزْنَ الْمَلِكُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ فَذَكَرَ لَهُ قِصَّةَ الْيَرْدُونِ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ وَقُلْ لَهُ : إِنِّي أُحْيِيهِ لَهُ إِنْ أَطَاعَنِي فِيمَا أَقُولُ . فَرَجَعَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا عَبَّرَ إِلَى مَنَزَلِي نَفَرْتُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَلَمْ تَطْعَمْ مِنْ طَعَامِنَا ، وَكَانَتْ تَأْكُلُ مَعَنَا قَبْلَ ذَلِكَ وَتَشْرَبُ كَمَا عَلِمْتَ ، وَقَدْ قَالَ :
- ١٠ إِنْ أَطَاعَنِي الْمَلِكُ أَحْيَيْتُ لَهُ يَرْدُونَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ نَفْسِي لَتَطِيبُ بِكُلِّ شَيْءٍ أَحْيَى بِهِ هَذَا الْيَرْدُونُ ، فَعَلَى بِالرَّجُلِ ، فَأَحْضَرَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ لَمْ يَبْقَ بِهَا شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ . ثُمَّ جَلَسَ لَوْ قَا إِلَى جَانِبِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، فَأَخْبَرَنِي يَرْدُونِي هَذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنْ أَطَعَنِي فِيمَا أَقُولُ لَكَ أُحْيِي يَرْدُونَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ . قَالَ : أُدْعُ ابْنَكَ وَأَمْرَأَتَكَ ، وَكَانَ ابْنُهُ وَلَى عَهْدِهِ وَأَمْرَأَتُهُ مِنْهُ بِمَكَانٍ ، فَدَعَاهُمَا ، فَأَخَذَ لَوْ قَا بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْيَرْدُونِ ، وَكَلَّ مِنَ الْمَلِكِ وَأَبْنِهِ وَأَمْرَأَتِهِ بِقَائِمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ الْخَوَارِجُ بِالْفَارَسِيَّةِ : «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، أَحْيِ هَذَا الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِي » فَتَحَرَّكَ ذَلِكَ الْعَضْوُ . ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ : قُلْ كَمَا قُلْتُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ مِثْلَ قَوْلِهِ . فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِهِ . ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ : قُلْ كَمَا أَقُولُ ، فَقَالَ :
- ٢٠ فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الثَّلَاثَ ، ثُمَّ قَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : قُولِي كَمَا قُلْتُ ، فَدَعَتْ بِدَعَائِهِ ، فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : قُولُوا جَمِيعًا كَمَا أَقُولُ ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ : «اللَّهُمَّ

ربّ السموات والأرض خالق السموات والأرض وما فيهما لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أحي هذا البرذون» . فقام البرذون حياً ينقض ناصيته . فعجب الملك والناس من ذلك . وسأله الملك عن خبره فأخبره أنه رسول عيسى بن مريم إليه وإلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى ، فأمنوا به . وقد قيل : إن الذي أرسل إلى أرض فارس متى الحوارتي ، وإنه لما دخل على الملك كان الملك سكرانا ، فلما أحيا الفرس أمر الملك أصحابه بقتل متى فقتلوه . فلما أفاق الملك من سكره سأل عنه فقيل له : إنك أمرت بقتله فقتلناه ، فقال : ما علمت بذلك . فقاموا إليه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . ويقال : إن الله تعالى بعد دفنه خسف بالملك وأولاده وأهله . والله أعلم . ولنصل أخبار الحوارتين بنجر جرجيس وإن لم يكن منهم ، فقد كانت له قصة عجيبة تلتحق بهم .

### ذكر خبر جرجيس رحمة الله عليه

٧٤  
٢

قال أبو اسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في كتابه المترجم به «يواقيت البيان في قصص القراء» بإسناده عن وهب بن منبه قال : كان بالموصل ملك يقال له داديه ، وكان قد ملك الشام كله ودان له أهله ، وكان جبارا عاتيا ، وكان يعبد صنما يقال له أفلون ، وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارتي عيسى عليه السلام ، وكان تاجرا عظيما كثير المال عظيم الصدقة ، وكان لا يأمن ولاية المشركين

(١) في الطبري (ص ٧٩٦ من القسم الأول) : « داذانه » وقد أشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ « دادايه » و « دازانه » . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٢٦٤ طبع أوروبا) « داذانه » وأشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ « رازانه » .

- عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه . فخرج يريد الموصل<sup>(١)</sup> ومعه مال يريد أن يهديه إليه حتى لا يجعل لأحد من الملوك عليه سلطانا دونه . فجاءه حين جاءه وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب وأوقد نارا، فمن لم يسجد لصنمه أُلقي في النار . فلما رأى جرجيس ذلك قُطِع به وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهادته، وألقى الله تعالى في نفسه بغضه ومجاهدته . فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل مملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال . ثم أقبل عليه وقال له : إنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك، وإن فوقك رباً هو الذي ملكك وغيرك، وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك، وإنك عمدت إلى خلق من خلقه قال له : كن، فكان أصم أبكم لا ينطق ولا يسمع ولا يُغنى عنك من الله شيئا، فزينته بالذهب والفضة فتنة للناس، ثم عبدته من دون الله . فكان من جواب الملك إياه أن سألته عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو . فأجابه جرجيس : أنا عبد الله وأبن عبده وأبن أمته أذل عباده وأفقرهم إليه ، من التراب خلقت واليه أصير . فقال له الملك : لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرئي عليك أثره كما رئي أثرى على من حولى وفي طاعتي . فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره وقال : أتعديل أفلون الأصم الأبكم الذي لا يُغنى عنك شيئا برّب العالمين الذي قامت السموات والأرض بأمره ! . أو تعديل طرقلينا<sup>(٢)</sup> وما نال بولايتك فإنه عظيم قومك بما نال إلياس

(١) الموصل : مدينة بأرض الجزيرة على نهر دجلة على جانبه الغربي، قديمة العهد لا يعلم من بناها . وفي قبالتها على البر الشرق منها أطلال مدينة نينوى قاعدة ملك آشور ، وهي التي أرسل إليها النبي يونس عليه السلام . وكانت قاعدة ملك بنى حمدان ، ثم انتقلوا منها إلى حلب ، ثم كانت قاعدة الدولة الزنكية .

(٢) راجع معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم أمين واصف بك ( ) .

(٢) في الطبري ( ص ٧٩٨ من القسم الأول ) : « طرقلينا » . وأشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ : « طرقلينا » . وفي تاريخ ابن الأثير ( ج ١ ص ٢٦٤ طبع أوربا ) : « طرقلينا » .

بولاية الله تعالى ؛ فإن إلياس كان في بدء أمره آدمياً يأكل الطعام ويمشي  
في الأسواق فلم تزل به كرامة الله تعالى حتى أنبت له الريش وألبسه النور فعاد  
إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً يطير مع الملائكة ! أم تعدل مَحْلُطِيس<sup>(١)</sup> وما نال بولايتك  
فإنه عظيم قومك ، بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فإن الله فضله على رجال  
العالمين وجعله [وأمه] آية للمعتبرين ! أم تعدل أمر هذه الروح الطيبة التي اختارها  
الله لمكلمته وسودها على إمامه وما نالت بولاية الله تعالى ، بأزبيل<sup>(٢)</sup> وما نالت بولايتك  
فإنها كانت من شيعتك وعلى ملكك ، فأسلمها الله مع عظم ملكها حتى أقتحمت عليها  
الكلاب في بيتها فأتهشت لحمها وولغت في دمها ، وقطعت الضباع أوصالها ! .  
فقال الملك : إنك لتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأثنى الرجلان اللذين ذكرت أمرهما  
حتى أنظر إليهما ، فإني أنكر أن يكون هذا من البشر . قال له جرجيس : إنما جاءك  
الإنكار من قبل الغيرة بالله تعالى . وأما الرجلان فلن تراهما ولا يرياناك إلا أن تعمل  
بعملهما فتزول منازلهما . فقال له الملك : أما نحن فقد أعذرنا إليك وتبين لنا كذبك  
لأنك نفرت بأمر عجزت عنها . ثم خيره الملك بين العذاب وبين السجود لأفلون .  
فقال جرجيس : إن كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أصبت ، وإلا  
فاخسأ أيها النجس الملعون . فلما سمعه الملك غضب وسبه وسب إلهه وأمر بنحشة  
فَنُصِبَتْ له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده  
وعروقه ، ونضح خلال ذلك الخلل والخردل ، فحفظه الله تعالى من ذلك الألم والهلاك .  
فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحميت ، حتى إذا جُعِلَت ناراً سمر

(١) في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) : « مجليطيس » . وأشار مصححه في الهامش إلى

أنه ورد في بعض النسخ : « مجليطيس » و « محلطيس » و « مجليطيس » . وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٢٦٥) : « مجليطيس » . (٢) زيادة عن الثعلبي .

(٣) كذا في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) والثعلبي . وفي الأصول : « بأزبيل » .



- بها رأسه حتى سال دماغه ، حفظه الله من الألم والهلاك . فلما رأى ذلك لم يقتله  
 أمر بجَوْض من نحاس وأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في جوفه  
 وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد [حرّه] <sup>(١)</sup> . فلما رأى أن ذلك لم يقتله دعا به فقال :  
 يا جرجيس ، أما تجد ألم هذا العذاب الذى تُعَذِّب به ؟ فقال : إن ربى الذى  
 أخبرتك به حمل عني [ألم العذاب] وصبرنى لأختج عليك . فلما قال له ذلك أيقن الملك  
 بالشر وخافه على نفسه ومملكه ، وأجتمع رآيه أن يخلّده في السجن . فقال له الملاء من  
 قومه : إنك إن تركته طليقاً في السجن [يكلم الناس] <sup>(١)</sup> يوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن  
 مرّ له بعذاب في السجن يشغله عن كلام الناس . فأمر به فبطح [في السجن] <sup>(١)</sup> على  
 وجهه ثم أوتد [له] <sup>(١)</sup> في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد [في كل ركن منها وتد] ، ثم أمر  
 ١٠ بأسطوان من رخام فوضع على ظهره ، وحمل ذلك الأسطوان ثمانية عشر رجلاً ، فظل  
 يومه [ذلك] <sup>(١)</sup> موتداً تحت الحجر . فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى [إليه] <sup>(١)</sup> مائكا فقلع  
 عنه الحجر ونزع الأوتاد وأطعمه وسقاه وبشّره وعزّاه . فلما أصبح أخرجه من  
 السجن وقال له : الحَقُّ بعدوك بخاهده في الله حق جهاده ، فإن الله يقول لك :  
 أبشر واصبر فإنى قد ابتليتك بعدوك هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع  
 ١٥ مرّات ، في كل ذلك أردّ إليك رُوحك ، فإذا كانت الرابعة تقبّلت رُوحك  
 وأوفيتك أجرك . قال : فلم يشعر الملك وأصحابه إلا وجرجيس قد وقف على  
 رؤوسهم وهو يدعوهم إلى الله تعالى . فقال له الملك : يا جرجيس من أخرجك  
 من السجن ؟ قال : أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك  
 مليء غيظاً ودعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئاً . فلما رآها جرجيس أوجس  
 ٢٠ في نفسه خيفةً وفزعاً منها ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون .

(١) زيادة عن النعلبي .

- فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبتين ثم وضعوا سيفاً على مفترق رأسه  
فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار قطعتين ، فعمدوا إلى أجزائه فقطّعوها  
قطعا ، وللك سبعة أسود ضارية ، وكانوا صنفا من أصناف عذابه ، فرموا بجسده  
إليها . فأمرها الله تعالى فخضعت له برؤوسها وأعناقها وقامت على براثنها ، فظل  
يومه ذلك ميتا وهي أول مorte ماتها . فلما أدركه الليل جمع الله جسده الذى  
قطّعوه بعضه إلى بعض حتى سواه ، ثم ردّ الله تعالى إليه روحه وأرسل ملكا  
فأخرجه من قعر الحبّ فأطعمه وسقاه وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له  
الملك : يا جرجيس ، قال : آيبك ! قال : اعلم أن القدرة التى خلق الله تعالى بها آدم  
من التراب هى التى أخرجتك من قعر الحبّ ، الحقّ بعدوك وجاهده فى الله حقّ  
جهاده ومُت موت الصابرين . فلم يشعّر الملك وأصحابه إلّا وقد أقبل جرجيس  
وهم فى عيد لهم عكوف عليه صنعوه فرحا بموت جرجيس . فلما نظروا إليه وقد أقبل  
قال الملك : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنه هو . قال الملك : ما يجرجيس  
من خفاء إنه لهو ، ألا ترون الى سكوت ريجه وقلة هيئته . قال جرجيس :  
أنا هو ، بنس القوم أتم ! قتلتم ومثلتم فأحيانى الله بقدرته ، فهلمّوا الى هذا الرب  
العظيم الذى أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم على بعض وقالوا :  
ساحرٌ سحر أعينكم . وجمعوا من كان ببلادهم من السحرة . فلما جاءوا قال الملك  
لكبيرهم : اعرض على من كبير سحرك ما يُقرّ عيني . قال : ادعُ لى بشور من البقر .  
فلما أتى به نفث فى إحدى أذنيه فأنشقت بأثنتين ، ثم نفث فى الأخرى فإذا هو  
ثوران ، ثم دعا ببذر خبث وبذر ، فشبّ الزرع وأستحصد ، ثم دُرس ودُرى وطُحن  
ونُجّن وخبز ، كلّ ذلك فى ساعة واحدة . فقال الملك : هل تقدر أن تمسخه لى  
دابة ؟ قال الساحر : أى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلبا . قال : ادعُ لى بقدح من ماء .

فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال : اعزِمُ عليه أن يشربه ، فشربه بِحَرْجِيسٍ حتى أتى على آخره . فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلا خيراً ، قد كنت عطِشْتُ فلطَفَ الله بي بهذا الشراب فقَوَّاني به عليكم . فأقبل الساحر على الملك فقال له : اعلم أيها الملك إنك لو كنت تُقاسى رجلاً مثلك إذا لقد كنت غلبته ، ولكنك تُقاسى جبار السموات والأرض . وهو الملك الذى لا يرام .

- قال : وكانت امرأةٌ مسكينةٌ من أهل الشام سمعت بِحَرْجِيسٍ وما يصنع من الأعاجيب ، فأنته وهو فى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا حَرْجِيسُ ، إننى امرأةٌ مسكينةٌ ولم يكن لى مالٌ إلا ثورا أحرث عليه فمات ، فبُئيتك لترحنى وتدعو الله تعالى أن يُحيى لى ثورى . فذرفت عيناه ، ثم دعا الله تعالى أن يُحيى لها ثورها ، وأعطاهما عصاً وقال لها : اذهبي الى ثورك فاقريه بهذه العصا وقُولِي له : اِخَى بِأذن الله . فقالت : يا حَرْجِيسُ ، مات ثورى منذ أيام ومزقته السباع ، وبينى وبينه أيام . فقال : لو لم تجدى منه إلا سنّاً واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام بِأذن الله تعالى . فأطلقت حتى أنت مَصْرَعٌ ثورها ، وكان أولُ شىء بدا لها أحد رَوْقيهِ وشعر أذنيه ، فجمعت أحدهما الى الآخر ثم قرعهما بالعصا وقالت كما أمرها ، فقام الثور بِأذن الله تعالى وعملت عليه . قال : فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك ، وكان أعظمهم من بعد الملك ، إنكم قد وضعتم أمرَ هذا الرجل على السحر ، وإنكم عَذَّبْتوه فلم يصل اليه عذابكم ، وقتلتموه فلم يَمُتْ ، فهل رأيتم ساحراً يدرأ عن نفسه الموت وأحيا ميتاً قط ؟ فقالوا له : إن كلامك لكلام رجلٍ قد صغى إليه فلعله استهواك . فقال : بل آمنتُ بالله ، وأشهدوا أنّى برىء مما تعبدون . فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه . فلما رأى القوم ذلك اتَّبَعَ حَرْجِيسُ أربعة آلاف رجل . فعمد اليهم الملك فأوثقهم ، ثم لم يزل يعذبهم بأنواع العذاب حتى أفنأهم . فلما

فرغ منهم قال لجرجيس : هَلَّا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قُتلوا  
بجريرتك ! . فقال له جرجيس : ما خُلِّي بينك وبينهم حتى حان لهم . فقال رجل من  
عظماء أصحابه يقال له مَحْلَنْطِيس : إناك زعمت يا جرجيس أن إلهك هو الذي يبدأ  
الخلق ثم يُعيدُه ، وإني سائلك أمرا إن فعله إلهك آمنتُ بك وصدقتك وكفيتك ،  
إن حولنا أربعة عشر كرسيًا ومائدة ، وبيننا أقْداحٌ وصحافٌ وهي من أشجار شتى ،  
فادعُ إلهك ينشئ هذه الكراسي والأواني كما بدأها أول مرة حتى تعود خضراء يُعرف  
كلُّ عود منها بلونه وورقه وزهره . فقال له جرجيس : قد سألت أمرا عزيزا على  
وعليك ، وإنه على الله لهين ، ودعا الله عز وجل ، فما برحوا من مكانهم حتى أخضرت  
تلك الكراسي والأواني كلها وساخت عروقها وألبست اللحاء وتَشَعَّبَت فأورقت  
وأزهرت وأثمرت . فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مَحْلَنْطِيس الذي تمنى عليه ما تمنى  
فقال : أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يَضِلُّ عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه  
صورة ثور أجوف واسع ، ثم حشاه نَفْطًا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ، ثم أدخل جرجيس  
مع الحشو في جوفه ، ثم أوقد تحت الصورة حتى ألهبت وذاب كل شيء فيها  
وآختلط ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله عز وجل ريحا عاصفا  
فملأت السماء سحابا أسودَ مظلمًا ، فيه رعد وبرق وصواعق ، وأرسل الله تبارك  
وتعالى إعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى آسود ما بين السماء والأرض ،  
ومكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار ، وأرسل الله  
تعالى ميكائيل فأحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض  
ففرج من روعها أهل الشام أجمعون نخزوا على وجوههم صَعِقِينَ ، وأنكسرت  
الصورة فخرج منها جرجيس حيًا . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين  
السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل يقال له طَرْفَلينا : لا ندرى

- يا جرجيس أنت تصنع هذه الأعاجيب أم ربك! فإن كان ربك هو الذى يصنع هذا فأدعه يُخَيِّ موتانا ؛ فإن فى هذه القبور أمواتا منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف .
- فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويرىكم هذه الأعاجيب إلا كانت عليكم حجة ، فتستوجبوا غضبه ، ثم أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل على الدعاء ، فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر إنسانا : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ، واذا فيهم شيخ كبير . فقال له جرجيس : يا شيخ ، ما اسمك ؟ فقال : يا جرجيس اسمى نوسيل . قال : متى مُتَّ ؟ قال : فى زمان كذا وكذا . فحسبوا فإذا هو مات منذ أربعمائة سنة . فلما نظر الملك وأصحابه الى ذلك قالوا : ما بقى من أصناف العذاب شىء إلا وقد عذبتموه به إلا الجوع والعطش ، فعذبوه بهما . فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة ، وكان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد ، فخصروه فى بيتها ولا يصل اليه من عند أحد طعام ولا شراب .
- فلما بلغ به الجوع قال للعجوز : هل بقى عندك من طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذى يُخَلَّف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا ، وسأخرج أتمس لك شيئا . فقال لها جرجيس : هل تعرفين الله تعالى ؟ قالت نعم . قال : فإياه تعبدين ؟ قالت لا . فدعاها الى الله عز وجل فصمّته ، وانطلقت تطلب له شيئا ، وفى بيتها دعامه من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فاخضرت تلك الدعامه وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تُعرف ، حتى كان فيها اللوبيا واللبن مثل البردى<sup>(١)</sup> يكون بالشام ، وظهر للدعامه فروع من فوق البيت أظلمته وما حوله . فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رَغدا . فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت : آمنت بالذى أطعمك ، فأدع هذا الرب العظيم ليشفى أبنى . قال : أدنيه منى ، فأدنته ، فبصق

(١) كذا فى التلغى . وفى الأصول : « وآلها وهو شىء يكون بالشام الخ » .

في عينيه فأبصر، ونفث في أذنيه فسمع . قالت له : أطلق لسانه ورجليه رحمك  
 الله . قال : خذيه فإن له يوما عظيما . وخرج الملك يوما ليسير في مدينته ، إذ وقع بصره  
 على الشجرة ، فقال : إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به . قالوا : تلك شجرة  
 نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع ، فهو فيما شاء وقد شبع منها  
 ٥ وأشبع المعجوز الفقيرة وشفى لها أبنا . فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة لنقطع .  
 فلما هموا بقطعها أيسمها الله تعالى ورتها كما كانت أول مرة ، فتركوها . وأمر  
 بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد ، وأمر بعجلة وأوقردا أسطوانا  
 وجعل في أسفل العجلة خناجر وشفارا ، ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجلة  
 نهضة واحدة وجرجيس تحتها ، فأنقطع ثلاث قطع ، فأمر بقطعها فأحرقت بالنار ، حتى  
 ١٠ إذا عادت رمادا بعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر ، فلم يبرحوا  
 من مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء : يا بحر، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك  
 من هذا الجسد الطيب ، فإني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله تعالى الريح  
 فأخرجته ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة كهيئته قبل أن يذروه ، فخرج منه جرجيس  
 مغبرا ينفض رأسه ، فرجعوا ورجع جرجيس ، فأخبروا الملك خبر الصوت [الذي  
 ١٥ سمعوا] والريح التي جمعته ، فقال : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه ؟  
 ولولا أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لاتبعتك وآمنت بك ، ولكن اسجد لأفلون  
 سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ، ثم إني أفعل ما يسرك . فقال له : نعم ، مهما شئت  
 فعلت ، فأدخلني على صنمك . ففرح الملك بقوله فقام وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال : إني  
 أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم إلا عندي ، ولا تبیت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى  
 ٢٠ فراشي ، حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ، ويرى الناس كرامتك علي ،

- فأخلى له بيت فظل فيه جرجيس ، حتى اذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور ، وكان أحسن الناس صوتا . فلما سمعت امرأة الملك استجابت له ، فلم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها جرجيس الى الإيمان فأمنت به ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلما أصبح غدا به الملك الى بيت الأصنام ليسجد لها . [وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها : هل علمت أن جرجيس قد فتن بعبدك فأصغى الى الدنيا وقد خرج به الملك الى بيت أصنامهم ليسجد لها ]<sup>(١)</sup> فخرجت العجوز تحمل آبنها على عاتقها وتوئج جرجيس والناس مشغولون عنها . فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظر فإذا العجوز وآبنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما ، فدعا آبن العجوز بأسمه فنطق وأجابه ولم [ يكن ] يتكلم قبل ذلك ، ثم أقبحم عن عاتق أمه يمشي على رجليه وهما مستويتان وما وطئ على الأرض قبل ذلك قط . فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب فأدع لي هذه الأصنام وهي حينئذ سبعون صنما على منابر من ذهب ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها . فقال له الغلام : كيف أدعو الأصنام ؟ قال : قل لها إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلا أجبتيه . قال : فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تدحرج الى جرجيس ، فلما انتهت اليه ركض الأرض برجله نحسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هاربا فرقا من الحسف ، فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته ، نخضع له وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أيها الروح النجسة والخالق الملعون ، ما الذي يملكك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس وأنت تعلم أنك وجئتك تصيرون الى جهنم ؟ فقال له إبليس : لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وأظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته طرفة عين لأخترته على ذلك كله ، وإنه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلائق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى

(١) زيادة عن النعالي .

أَسْجِدْ لِأَبْنِكَ آدَمَ بِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ وَأَمْتَنَعْتُ أَنَا مِنَ السَّجُودِ وَقُلْتُ  
 أَنَا خَيْرُ مِنْهُ ! . فَلَمَّا قَالَ هَذَا أَخْلَاهُ جَرَجِيسُ . فَمَا دَخَلَ إِبْلِيسُ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ  
 جَوْفَ صَنْمٍ وَلَا يَدْخُلُهُ بَعْدَهَا فِيمَا يَذْكُرُونَ أَبَدًا . [ فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا جَرَجِيسُ خَدَعَنِي  
 وَغَدَرَنِي وَأَهْلَكْتَ<sup>(١)</sup> آلَهُتِي . ] فَقَالَ جَرَجِيسُ لِلْمَلِكِ : إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِتَعْتَبَرَ وَلِتَعْلَمَ  
 أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ آلِهَةٌ لَا مَتْنَعَتْ مِنِّي فَكَيْفَ ثَقَنْتُكَ - وَبِكَ - بِآلِهَةٍ لَمْ تَمْنَعْ أَنْفُسَهَا مِنِّي !  
 وَإِنَّمَا أَنَا مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ لَا أَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنِي رَبِّي . فَلَمَّا قَالَ جَرَجِيسُ هَذَا كَلَّمَتْهُمْ  
 أَمْرَأَةُ الْمَلِكِ وَكَشَفَتْ لَهُمْ إِيْمَانَهَا ، وَعَدَّدَتْ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> [ أَفْعَالَهُمْ ] جَرَجِيسَ وَالْعِبَرَ الَّتِي  
 أَرَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَتْ لَهُمْ : مَا تَنْتَظِرُونَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ إِلَّا دَعْوَةً فَيُخَسِّفُ اللَّهُ  
 بِكُمْ الْأَرْضَ كَمَا خَسَفَ بِأَصْنَامِكُمْ . اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي أَنْفُسِكُمْ ! . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ :  
 وَيَحِيكَ يَا سَكَنْدَرَةُ ! مَا أَسْرَعَ مَا أَضْلَكَ هَذَا السَّاحِرُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَا أَقَاسِيهِ  
 مِنْذُ سَبْعِ سِنِينَ فَلَمْ يُظْفَرْ مِنِّي بِشَيْءٍ قَطُّ ! فَقَالَتْ : أَمَّا رَأَيْتَ اللَّهُ كَيْفَ يُظْفَرُهُ بِكَ  
 وَيَسْلُطُهُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ لَهُ الْقَلْجُ وَالْمِجَّةُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ! . فَأَمْرَبَهَا الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ  
 فَحُمِلَتْ عَلَى خَشَبَةٍ جَرَجِيسَ الَّتِي كَانَ عَالِمًا عُلَّقَ ، وَحُمِلَتْ عَلَيْهَا الْأَمْشَاطُ الَّتِي جُعِلَتْ  
 عَلَى جَرَجِيسَ . فَلَمَّا تَأَلَّمَتْ قَالَتْ : ادْعُ رَبَّكَ يَا جَرَجِيسُ فَيَخَفِّفْ عَنِّي فَإِنِّي قَدْ  
 أَلْمَنِي الْعَذَابَ . فَقَالَ لَهَا : انْظُرِي فَوْقَكَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ ضَحِكَتْ . فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي  
 يُضْحِكُكَ ؟ قَالَتْ : أَرَى مَلَكَينَ فَوْقَ مَعَهُمَا تَاجٌ مِنْ حُلِيِّ الْجَنَّةِ يَنْتَظِرَانِ بِهِ رُوحِي  
 أَنْ تَخْرُجَ . فَلَمَّا خَرَجْتُ أَتَيْتُ بِذَلِكَ التَّاجِ ثُمَّ صَعِدَا بَهَا إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ : فَلَمَّا  
 قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهَا أَقْبَلَ جَرَجِيسَ عَلَى الدَّعَاءِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَكْرَمْتَنِي بِهَذَا  
 الْبَلَاءِ لِتُعْطِيَنِي فَضَائِلَ الشُّهَدَاءِ ، فَهَذَا آخِرُ أَيَّامِي الَّتِي وَعَدْتَنِي فِيهِ الرَّاحَةَ مِنْ بَلَائِكَ ،  
 فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَلَّا تَقْبِضَ رُوحِي وَلَا أَزُولَ مِنْ مَكَانِي هَذَا حَتَّى تُنْزِلَ بِهِؤْلَاءَ الْقَوْمِ مِنْ



سطوتك ونِقمَتك مالا قَبَل لهم به حتى تشفى به صدرى وتُقَرِّبه عيني؛ فإنهم ظلموني وعدَّبوني . اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ أَلَّا يَدْعُوَ بَعْدِي دَاعٍ فِي بَلَاءٍ وَكَرْبٍ فَيَذْكُرَنِي وَيُشِيرَ بِأَسْمِي إِلَّا فَزَجْتَ عَنْهُ وَرَحِمَتَهُ وَأَجَبْتَهُ وَشَفَعْتَنِي فِيهِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ أَمَطَرُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ عَمِدُوا إِلَيْهِ وَضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ غِيظًا عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ لِيُعْطِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقِتْلَةِ الرَّابِعَةِ مَا وَعَدَهُ . ثُمَّ احْتَرَقَتِ الْمَدِينَةُ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا وَصَارَتْ رَمَادًا ، فَحَمَلَهَا اللَّهُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا ، فَكَشَتْ زَمَانًا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا دُخَانٌ مُتَنٍّ لَا يَشْمُهُ أَحَدٌ إِلَّا سَقِمَ سَقَمًا شَدِيدًا . وَكَانَ مَنْ آمَنَ بِجَرَجِيسٍ وَقُبِّلَ مَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَامْرَأَةُ الْمَلِكِ . قَالُوا : وَكَانَ جَرَجِيسٌ فِي أَيَّامِ مَلُوكِ الطَّوَاتِفِ .

- ١٠ . وَحَيْثُ أَنْتَهَى بِنَا الْقَوْلِ فِي سَرْدِ مَا شَرَحْنَاهُ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمَا آتَصَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ؛ فَلْنَذْكُرِ الْآنَ التَّنْذِيلَ الَّذِي شَرَحْنَاهُ فِي تَرْجُمَةِ هَذَا الْقِسْمِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ . وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانِ .

### التنذيل على القسم الثالث من الفن الخامس

- يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَظْهَرُ قَبْلَ نَزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَا يَكُونُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ ، وَخُرُوجِ مَنْ يَخْرُجُ وَيَتَغَلَّبُ عَلَى الْبِلَادِ ، وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَالْدَّجَالِ وَنَزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَقَتْلِهِ الدَّجَالَ ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَلَاكِهِمْ ، وَوَفَاةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ وَالْحَشْرِ وَالْمَعَادِ . مِمَّا أوردَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ النَّبَوِيِّ ، وَمِنْ كِتَابِ الْمُبْتَدَأِ لِلْكَسَائِيِّ ، وَمِنْ كِتَابِ الْعَاقِبَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ .
- ٢٠ .

## الباب الأول

من التذليل على القسم الثالث من الفن الخامس

في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم

- ولنبداً بذكر الملاحم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ستصالحكم الروم  
صُلحاً آمناً ، ثم تغزون أنتم وهم عدو فتتصرون وتغنمون وتسلمون ثم تنصرفون حتى تنزلوا  
بمرج ذى تلؤل ، فيرفع الرجل من أهل الصليب الصليب فيقول غالب الصليب ، فيغضب  
رجل من المسلمين فيقوم اليه فيدقه ، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون للملحمة فيأتون  
حينئذ تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً “ . وعنه صلى الله عليه وسلم :  
” اذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالي هم أكرم العرب فرساً وأجوده  
سلاحاً يؤيد الله بهم الدين “ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” الملحمة  
الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر “ . وعنه صلى الله عليه  
وسلم : ” لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين ذُلف الأنوف كأث وجوههم  
المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر “ . وفي الحديث

- (١) أى عدوا آخرين بالمشاركة والاجتماع بسبب الصلح الذى بينكم وبينهم أو أنتم تغزون عدوكم  
وهم يغزون عدوكم بالانفراد . (٢) الغاية هنا : الرابة . (٣) وروى ابن ماجه أيضا  
في سننه (ج ٢ ص ٢٧٥) : « بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة » .  
(٤) الذلف (بالجر يك) : قصر الأنف وانبطاحه . وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته .  
(٥) المجان : جمع المجن وهو الترس . والمطرقة : هى التى ألبست طرافاً ، أى جلداً يغشاها .  
شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدورها ، وبالمطرقة لغلظها وكثرة طمها (راجع صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٤) .  
(٦) نعالهم الشعر ، أى يتخذون النعال من الشعر . ويحتمل أن يراد أن ذوائبهم لطلوها ولوصولها  
الى أرجلهم كالنعال .

الآخر : ” إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه كأن وجوههم  
المجان المطرقة . وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما ينتعلون الشعر “ . وعنه  
صلى الله عليه وسلم : ” لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض  
الوجوه كأن أعينهم حدق الجراد كأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون  
الدراق يربطون خيولهم بالنخل “ . <sup>(١)</sup> نخرج هذه الأحاديث ابن ماجه .  
٥

### ذكر خبر المتغلبين على البلاد

وذلك مما يظهر من الفتن قبل نزول عيسى عليه السلام

قال أبو الحسن الكسائي عن كعب الأحبار : ولا بد أن يحدث بين يدي  
نزول عيسى علامات وحروب وفتن ، فأقول من يخرج ويغلب على البلاد رجل  
أسمه الأصهب من بلاد الجزيرة ، ويخرج الجهمي من بلاد الشام ، ويخرج  
القحطاني بأرض اليمن ، وهو أمثل هؤلاء الثلاثة شوكة . فينا هؤلاء الثلاثة  
في مواضعهم وقد تغلبوا على أمكنتهم بالظلم والجور إذا هم بالرجل السفيفي قد خرج  
من غوطة دمشق ، وقيل : إنه يخرج من الشام ، وقيل : إنه يخرج من الوادي  
اليابس . وأخواله من كلب ، وأسمه معاوية بن عبسة ، وهو ربع من الرجال ،  
دقيق الوجه ، طويل الأنف ، محدوب ، جهوري الصوت ، يكسر عينه اليمنى ؛  
يحسبه الذي يراه كأنه أعور وليس بأعور ، يظهر في أول أمره بالزهد ويبذل  
الأموال ، ويخطب له على منابر الشام ، ويكون جريئا على سفك الدماء لمن خالفه ،  
ويعطل الجمعة والجماعة . وعلامة بدء أمره أنه يخرج في كل مدينة دجال يدعو  
إلى نفسه ، ويظهر الفسق حتى إنهم يفجرون في المساجد ، فيخرج عليهم السفيفي

٢٠ (١) النخل : موضع غربي مسجد الأحزاب . وقيل : هو على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) راجع كتاب سنن ابن ماجه (ج ٢ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ) .

حتى ينزل أرض دمشق ، فيجتمع اليه القوم ويبايعونه ، ويفترق الأموال الكثيرة بينهم حتى يقولوا هذا خير أهل الأرض . ثم يسير في الشام وعلى مقدمته رجل من جُهينة يقال له ناجية حتى ينزل العراق ، فيُخرج اليه القَحْطَانِيّ جيشا كثيرا فيهمزهم ناجية هزيمة قبيحة ، فعند ذلك يُوجّه السُفْيَانِيّ ثلاث جيوش : جيش الى الكوفة فيقتلون قتلا ذريعا ، وجيش الى خراسان فيقتلون ويحرقون ، وجيش الى الروم حتى يكثر القتل منهم في الدنيا وفي كل طريق . فعند ذلك يجتمع الصالحون على السُفْيَانِيّ ويخوفونه عقوبة الله في سفك الدماء ، فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهاد في جميع الآفاق . فعند ذلك يجتمع المسلمون على رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له محمد بن عليّ فيبايعونه ويسمّونه المهديّ . والله أعلم .

### ذكر خبر خروج المهديّ

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يبايع بين مكة والركن ، ويكون أول أمره على عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا . وقيل : إنه يخرج [ قبل هذا وليّ ] من قرية من قرى حرس في ثلاثين رجلا ، ثم يجتمع اليه المؤمنون من كل ناحية ، ثم ينكسف القمر ثلاث ليال متواليات ، ثم يظهر المهديّ بمكة ويشيع أمره ، فيبلغ ذلك [ الزهرانيّ صاحب ] السُفْيَانِيّ ، فيبعث الى المهديّ جيشا ثلاثين ألفا فيتلون في البرية . ثم يخرج السُفْيَانِيّ الى البداء ، فإذا استقر بالموضع خسف الله تعالى بهم الأرض ، فiaخذهم الى أعناقهم حتى لا يُفلات منهم إلا رجلا ن يخرجان بفرسيهما ، فإذا وصلوا الى القوم رأوهم وقد خسف الله بهم ، فيخسف الأرض بواحد منهما ، ويحوّل الله وجه الآخر الى قفاه ، فيبقى كذلك مدة حياته . ثم يخرج المهديّ

(١) الكلمة عن الكسائي . (٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « مرجوش » .

- بمن معه الى بلاد الروم فيسير حتى يسمع بهلاك السفيناتي وأصحابه . قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ <sup>(١)</sup> ﴾ . فيحمد المهديّ الله تعالى على ذلك ، ويخرج الى بلاد الروم في نحو مائة ألف فيصل الى القُسْطَنْطِينِيَّة ، فيدعو ملك الروم الى الإسلام فيأبى فيقاتله ، ويدوم القتال بينهم شهرين ، ثم ينهزم ملك الروم . ويدخل [المسلمون] <sup>(٢)</sup> الى القسطنطينية ، فينزل المهديّ على بابها ، ولها سبعة أسوار ، فيكبر سبع تكبيرات فينهدم كل سور منها بتكبيره . ويدخلها المهديّ ويقتل خلقا كثيرا ويقتل ملك الروم ، ثم يرفع [عنهم] <sup>(٣)</sup> السيف ، يأخذ المسلمون من الغنائم ما لا يحصى ، حتى إن الرجل ليأخذ من الجوهر ما يعجز عن حمله . فبينما هم كذلك إذ يأتيهم الخبر من خليفة المهديّ بخروج الدجال واجتماع الناس عليه ، فيتركون تلك الغنائم وينصرفون الى بلادهم مسرعين لمحاربة الدجال . فيقال : ١٠ إن المهديّ يسير نحو الدجال وعلى رأسه عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلتقون ويقتتلون قتالا شديدا ، فيقتل من أصحاب الدجال أكثر من ثلاثين ألفا ، ثم ينهزم الدجال فيمتر نحو بيت المقدس ، فيأمر الله الأرض بإمساك قوائم خيله ، ويرسل عليهم ريحا حمراء فتقتل منهم أربعين ألفا . قال : ثم يُقْبِلُ المهديّ بجيشه زهاء <sup>(٤)</sup> مائة ألف ، في أيديهم الرايات البيض . فيقول المهديّ [لعسكر الدجال] : ويلكم ! ١٥ أتشكون في هذا الأعور الكذاب أنه الدجال ؟ فيقولون : لا ، ولكنّا نعيش في طعامه . فيمسحون في الحال قردة وخنازير . ثم ينزل عيسى بعد ذلك الى الأرض ويصلي خلف المهديّ ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) سورة سبأ آية ١٥ (٢) زيادة عن الكسائي .

(٣) في الأصول : « بجيشه زهاء على مائة ألف ... الخ » بزيادة « على » . ٢٠

(٤) عبارة الكسائي : « أتشكون في هذا الأعور الدجال أنه كذاب » .

## ذكر خبر خروج الدجال وصفته

وما يكون من أمره الى أن ينزل عيسى عليه السلام

قال كعب : إن الدجال رجلٌ طويلٌ ، عريضُ الصدر ، مطموسُ العين اليمنى ،  
واليسرى كأنها كوكبٌ دريٌّ ، مكتوبٌ بين عينيه : "كافر" ، يقرؤه كل كاتب  
أو غير كاتب . ويدعى أنه الرب ، ومعه يومئذ جبل من خبز ، وجبل من لحم ،  
وأجناس الفواكه والخمور ، ومعه أصحاب الملاهي يمشون بين يديه بالطبول  
والطناير والمعازف والعيدان والنايات والصنوج وغير ذلك ، فلا يسمعه أحد إلا وتبعه  
وفتنه إلا من عصمه الله . ويكون معه نارٌ وجنة ، وهو يقول : مَنْ أطاعني أدخلته  
الجنة ، وَمَنْ عصاني ولم يسجد لي ألقينه في النار . قال : وعامة خروجه أن تهب  
ريحٌ مثل ريح قوم عاد ، وتسمع صيحة عظيمة مثل صيحة قوم صالح ، ويكون مسخا  
كمسخ أصحاب الرس ، وذلك عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .  
فإذا أخذوا في سفك الدماء واستحلوا الربا وشيدوا البنيان وشربوا الخمر ، وأكتفى  
الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، فعند ذلك يخرج الدجال من جهة المشرق من قرية يقال  
لها سيرا باد بين الأهواز وأصفهان ، ويخرج على حمار له . قال : وهو أحمر الحاجبين ،  
أشعر الأنف ، تخرج من خلل أسنانه رائحة لا يسمها أحدٌ إلا صار إليه نتنه ، في جبهته  
قرنٌ مكسور تخرج منه الحيات والعقارب ، محدوب الظهر ، قد صوّرت آلات السلاح  
في جسده حتى الرمح والفأس والمهمم والدّرق . وهو يتناول السحاب بيده ، وينحوض  
البحار الى كعبه ، ويستظل في ظلّ أذن حماره خلق كثير من أولاد الزنا ، عليهم  
خفاف مخروطة ، لحفافهم مناقير كمنابر العقبان ، لأصابعهم أظافر كالمناجل ، ومعه قوم

- من السَّحرة يَقلِبون الجبال خبزا والأنهار شرابا ، ولا يُطعم ولا يَسقي إلا من آمن به .  
ومعه صاحب لوائه من قريته ينادى بأعلى صوته : هذا ربكم فاعرفوه . فإذا سار  
الدجال سارت معه جبال طعامه وأنهار شرابه ، وإذا وقف وقفت . يطوف الأرض  
شرقها وغربها حتى يدخل أرض بابل فيلقاه الخضر ، فيقول له الدجال : أنا رب  
العالمين . فيقول له الخضر : كذبت يا دجال ! إنَّ ربَّ العالمين ربُّ السموات  
والأرضين . فيقتله الدجال ويقول : لو كان لهذا إله كما يزعم لأحياءه . فيُحيي الله  
الخضر من ساعته فيقوم ويقول : ها أنا يا دجال ، قد أحياني الله ربِّي . ثم يُقبل  
الخضر على أصحابه ويقول : ويلكم ! لا يفتننكم هذا الكافر . ويقال : إنه يقتل  
الخضر ثلاث مرَّات ويُحييه الله تعالى . ثم يخرج الدجال نحو مكة ، فإذا دنا منها رأى  
الملائكة<sup>(١)</sup> مُحْدِقِينَ بالبيت الحرام قد نشروا أجنحتهم على الكعبة ، يخرج من خلل  
أجنحتهم مثل شرر النيران ، فلا يقدر على دخولها . ثم يسير إلى المدينة فيجدها  
كذلك . ثم يمضي إلى بيت المقدس فلا يقدر على دخوله لكثرة من حوله من  
الملائكة . وأختلف في مدة إقامته في الأرض ، ف قيل أربعين سنة ، وقيل أربعين  
يوما ، على ما نورد ذلك من الحديث الصحيح النبوي الذي يشمل ذكر هذه الفتن  
كلها . قال : وأما المسلمون فإنهم يصومون ويصلون كما كانوا غير أنهم في غم ،  
قد تركوا المساجد ولزموا البيوت ، وتطلَّع الشمس متلونة : مرَّة بيضاء ، ومرَّة  
صفراء ، ومرَّة حمراء ، ومرَّة سوداء ، وتكون الأرض في الزلزلة والرجفة ، ثم يكون  
بينه وبين المهدي ما قدمنا ، ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام .

(١) كذا في الكسائي . وفي الأصلين : « ينظر إلى الملائكة » .

## الباب الثاني من التذييل

### على القسم الثالث من الفن الخامس

في خبر نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال

- ونخرج يأجوج ومأجوج وفسادهم وهلاكهم ، ووفاة عيسى عليه السلام  
 لما رأيت أهل السَّير قد أكثروا من القول في نزول عيسى عليه السلام وزادوا  
 في القول ونقصوا منه ، عدلت عن أقوالهم ، وأوردت ما أذكره من ذلك من الحديث  
 الصحيح النبوي ، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم . وختمتُ هذا  
 الباب بالحديث الشامل في خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وغير  
 ذلك . وهذه الأحاديث خرجتها من كتاب السنن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد  
 ابن يزيد بن ماجه القزويني ، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

### ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فتنة الدجال وما يلاقيه الناس  
 منه ، قال : ” فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء  
 شرق دمشق بين مهرودين واضع كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ،  
 وإذا رفع رأسه يتحدر منه جمان كاللؤلؤ ، ولا يحل لكافر أن يجدر بحرق نفسه إلا مات .  
 ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فينطلق حتى يدرك الدجال فيقتله عند باب لد<sup>(١)</sup> .  
 قال : ” ثم يأتي نبي الله عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله فيمسح وجوههم  
 ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة “ . والله أعلم .

- (١) أي بين حلتين شبيهتين بالمصبوغ بالهرد . والهرد (بالضم) : عروق تصبغ بها .  
 (٢) كذا في سنن ابن ماجه . وفي الترمذي « واضعا » بالنصب وهو الظاهر . على أنه يجوز أن يقرأ هنا  
 بالنصب لأن أهل الحديث كثيرا ما يكتبون المنصوب بصورة المرفوع . أما الرفع فعلى تقدير مبتدأ محذوف .  
 (٣) قطر : ذهب وأسرع . (٤) لد (بالضم والتشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين .



## ذكر خبر يأجوج ومأجوج

- صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إن يأجوج ومأجوج ليعحفرون  
السدَّ كلَّ يوم حتى إذا كادوا يرَوْن شُعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه  
غدا فيعيدده الله عز وجل أشدَّ ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم  
إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرَوْن شُعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه  
غدا إن شاء الله وأستثنوا فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون  
على الأرض فينشقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى  
السماء فيرجع عليهم الدم الذى أجفط فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء  
فبيعت الله عليهم نغفاً في أقفاهم فيقتلهم بها“ . قال صلى الله عليه وسلم : ” والذى نفسى  
بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم“ . وفى الحديث  
الآخر : ” إن الله تعالى يوحى إلى عيسى أتى قد أخرجت عبداً إلى لا يدان لأحدٍ بقتالهم  
فأحرز عباده إلى الطور . ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله تعالى ﴿ مِنْ كُلِّ  
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ فيمتر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمز آحرهم فيقولون  
لقد كان فى هذا ماء مرةً وليحضر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون  
رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه  
إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصباحون فرسى كموت نفيس<sup>(٤)</sup>  
واحدة ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبرٍ إلا قد ملأه زهمهم<sup>(٥)</sup> ونقتلهم  
ودماؤهم فيرغبون إلى الله عز وجل فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم

(١) أجفط (بالجم) : أتقن . (٢) النغف : الدود . (٣) شكرت الدابة شكرا

٣٠ (وزان فرح) : سمنت . (٤) فرسى كقتلى لفظاً ومعنى ؛ يقال : فرس الذئب الشاة إذا قتلها .

(٥) الزهم (بالضم) : الريح المنتنة .

فتطرحهم حيث شاء الله عز وجل . ثم يُرسل الله <sup>(١)</sup> مطرا لا يَكُنْ منه بيتٌ مَدْرٍ ولا وبرٌ فيغسله حتى يتركه كالزَّلْفَةِ <sup>(٢)</sup> ، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها <sup>(٣)</sup> ، ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة <sup>(٤)</sup> من الإبل تكفي الفئام <sup>(٥)</sup> من الناس ، واللقحة من البقر تكفي القبيلة ، واللقحة من الغنم تكفي الفخذ <sup>(٦)</sup> . فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقيض روح كل مسلم ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمير ، فعليهم تقوم الساعة . وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :  
 ” لما كان ليلة أُسْرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم ، فردّ الحديث إلى عيسى بن مريم فقال قد عهد إلى فيما دون وجبتها ، فأقنا وجبتها فلا يعلمها إلا الله ، فذكر خروج الدجال قال فأنزل فأفقه ف يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فلا يمزون بماء إلا شربوه ولا بشئ إلا أفسدوه ، فيجئرون إلى الله تعالى فأدعو الله أن يمتهم فتنت الأرض من ريحهم ، فيجئرون إلى الله فأدعو الله فيُرسل السماء بالماء فيحملهم

(١) زيادة عن سنن ابن ماجه .

(٢) الزلفة (فتحتين) : الصخرة الملساء ، والصدفة ، والمرأة ، وصانع الماء .

(٣) بقحفها (بالكسر) : بقشرها تشبيها بقحف الرأس .

(٤) الرسل (بكسر الراء وسكون السين المهملة) : اللبن .

(٥) اللقحة (بالفتح والكسر) : الناقة القرية العهد بالتاج .

(٦) الفئام (ككتاب) : الجماعة الكثيرة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(٧) الفخذ : هو دون القبيلة وفوق البطن .

(٨) يتهارجون : يتسافدون .

(٩) وجبتها : قيامها .

- فِيَاتِهِمْ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُدْمَدُ الْأَرْضُ مَدًّا أَدِيمًا فَعُهِدَ إِلَى مَتَى كَانَ ذَلِكَ كَانَتِ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَأُهُمْ بَوْلَادَتُهَا .
- قال العوام بن حوشب وهو من رواة هذا الحديث : وَوُجِدَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ <sup>(١)</sup> . وفي الحديث الآخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : ” يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيُخْرِجُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ فَيَعْمُونَ الْأَرْضَ وَيَخَازِ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى تَصِيرَ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَيَضْمُونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، حَتَّى إِنْهُمْ لَيَمْتَزُونَ بِالنَّهْرِ فَيُشْرِبُونَهُ حَتَّى مَا يَذْرُونَ فِيهِ شَيْئًا ، فَيَمُتُّ آخَرُهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ لَقَدْ كَانَ بِهَذَا الْمَكَانِ مَرَّةً مَاءٌ . وَيُظْهِرُونَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَّغْنَا مِنْهُمْ وَلَمَّا نَزَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ لَيَمُتُّ حَرْبَتُهُ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مَخْضِبَةً بِالدَّمِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دَوَابَّ كَتَغَفَّ الْجَرَادُ فَتَأْخُذُ بِأَعْنَاقِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوْتَ الْجَرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَيَصْبِحُ الْمُسْلِمُونَ لَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ حِسًّا ، فَيَقُولُونَ مَنْ رَجُلٌ يَشْتَرِي نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ مَا فَعَلُوا ، فَيَنْزِلُ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى ، فَيُنَادِيهِمْ أَلَا أَبْشَرُوا فَقَدْ هَلَكَ عِدْوُكُمْ ، فَيُخْرِجُ النَّاسَ وَيُخْلُونَ سَبِيلَ مَوَاشِيِهِمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ رِعْيٌ إِلَّا لِحُومِهِمْ فَتَشْكُرُ عَلَيْهَا كَأَحْسَنِ مَا شَكَرْتُ مِنْ نَبَاتٍ أَصَابَتْهُ قَطْرٌ ” . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : ” سَيُوقَدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَيْسَى يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَنُشَابِهِمْ وَأَتْرَسَتُهُمْ سَبْعَ سِنِينَ ” . والله المعين .

$$\frac{٨٣}{١٢}$$

(١) سورة الأنبياء، آية ٩٦ وما بعدها .

الحديث الجامع لأخبار عيسى بن مريم عليه السلام والدجال  
قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه :  
حدثنا علي بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن إسماعيل بن رافع أبي رافع  
عن أبي زُرعة السَّيباني<sup>(١)</sup> يحيى بن أبي عمرو عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أ كثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحدثناه ،  
فكان من قوله أن قال : " إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ<sup>(٢)</sup> الله ذرية آدم صلى الله  
عليه وسلم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال .  
وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة . فإن يخرج وأنا بين ظهرانيتكم  
فأنا حجيبي لكل مسلم ، وإن يخرج من بعدى فكل أمرئ حجيبي نفسه ، والله خليفتي على  
كل مسلم . وإنه يخرج من حلة بين الشام والعراق فيبعث يمينا ويعيث شمالا يعباد الله  
فأثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي : إنه يبدأ فيقول أنا نبي ، ولا نبي  
بعدي ، ثم يثني فيقول أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور وإن ربكم عز  
وجل ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه « كافر » يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب .  
وإن من فتنته أن معه جنة ونارا ، فداره جنة ، وجنته نار . فمن ابتلي بِناره فليستغث  
بالله وليقرأ فاتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم . وإن من  
فتنته أن يقول لأعرابي أ رأيت إن بعثت لك أباك وأهلك أتشهد أني ربك فيقول  
نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك . وإن من  
فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى تأتي شقين ، ثم يقول

(١) السيباني (بفتح السين المهملة) : نسبة الى سيبان ، بطن من حمير . وفي الأصول :

« الشيباني » بالشين المعجمة وهو تحريف . (٢) ذرأ : خلق .

(٣) يعيث : يفسد .

- انظروا الى عبدى هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيرى، فيبعثه الله ويقول له الخبيث من ربك؟ فيقول ربى الله وأنت عدو الله أنت الدجال، والله ما كنت بعداً أشد بصيرة بك منى اليوم“ . قال أبو الحسن الطنّافى: “فحدثنا المَحَارِبى” حدثنا عبيد الله ابن الوليد الوصافى عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “ذلك الرجل أرفع أمتى درجة في الجنة“ . قال قال أبو سعيد : والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله . قال المَحَارِبى ثم رجعنا الى حديث أبي رافع قال : “وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتُمطر، ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت . وإن من فتنته أن يمر بالحقى فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت . وإن من فتنته أن يمر بالحقى فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتُمطر ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدرّه ضروراً . وإنه لا يبقى شئ من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلّة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج اليه ، فتنفى الخبيث منها كما ينفى الكبر خبت الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص . فقالت أم شريك بنت أبي العكر يارسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال هم يومئذ قليل وجلّهم بيت المقدس وإمامهم رجلٌ صالح . فبينما إمامهم قد تقدّم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح ، فرجع ذلك

٨٤  
١٢

- (١) النقب (بفتح فسكون) : الطريق بين الجبلين . (٢) صلّة : أى مجردة ؛ يقال : أصلت السيف إذا جرّده من غمده . (٣) الظريب لعل المراد به الجبل . (٤) كذا فى الأصول وكتاب سنن ابن ماجه الذى ينقل عنه المؤلف ، وهو خطأ . والصواب أن أم شريك هذه هى بنت دودان ابن عمرو بن عامر ابن رواحة الدوسية . وكانت تحت أبي العكر الدوسى واسمها غزية ، ويقال غزيلة . من المهاجرات . (راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٥ ص ٩٤ و تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٧٢) .

الإمام ينكص (يمشى القهقري) ليتقدم عيسى عليه السلام يصلي بالناس، فيضع عليه السلام يديه بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم، فإذا آنصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب<sup>(١)</sup> فيفتح ووراء الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء فينطلق هاربا، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة<sup>(٢)</sup> لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللذ الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة<sup>(٣)</sup> إلا الغرقة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال أقتله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالليلة، وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي. فقيل له يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكا<sup>(٤)</sup> عدلا وإماما مقسطا، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة فلا يسعى على

- ١٥ (١) الباب، أي باب المسجد. (٢) الساج: الطيلسان الأخضر. (٣) الغرقة: ضرب من شجر العضاء. (٤) حكا، أي حاكيا بين الناس بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم لا نبيا مرسلًا بشريعة أخرى. (٥) مقسطا، أي عادلا في الحكم. (٦) يدق الصليب، أي يكسره بحيث لا يبقى من جنس الصليب شيء حتى لا يعبد إلا الله تعالى. (٧) ويذبح الخنزير، أي يحرم أكله أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض أيا كله أحد. (٨) ويضع الجزية، أي لا يقبلها من أحد من الكفرة بل يدعوهم إلى الإسلام مرة واحدة وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم بأن الجزية في دينه إلى زمان عيسى لا أن عيسى يأتي بنسخها. (٩) ويترك الصدقة، أي الزكاة لكثرة الأموال.
- ٢٠

- شاة ولا بعير، وتُرفع الشحنة والتباغض، وتُترع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتفتر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملا الأرض من السلم كما يُملا الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتُسأب قريش مُلكها، وتكون الأرض كما ثور الفضة - وقيل كفائور الفضة - تُنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرقانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدرهمات. قالوا يا رسول الله: وما يُرخص الفرس؟ قال: لا يركب لحرب أبدا. قيل له: فما يغلي الثور؟ قال تُحرث الأرض كلها. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تُنبت خضرا، ولا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله عز وجل. قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام. قال المحاربى: ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤذب حتى يعلمه الصبيان في المكاتب.

(١) الحمة: السم أو الابة التي يضرب بها الزبور والحية ونحو ذلك أو يلدغ بها.

(٢) تفتر أى تفتح فاه. (٣) لم نجد كلمة « فائور » في كتب اللغة، على أن هذه الكلمة

ليست في سنن ابن ماجه. والفائور: الخوان من رخام، أو طست أو جام من ذهب أو فضة.

## الباب الثالث من التذييل

### على القسم الثالث من الفن الخامس

في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم عليه السلام الى أن ينفخ إسرافيل  
في الصور النفخة الأولى

#### ذكر خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تخرج  
الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران ، فتجلبو وجه المؤمن بالعصا ،  
وتخبط أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل الحواء ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن  
ويقول هذا يا كافر " . وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال :

- ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا  
أرض يابسة حولها رمل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تخرج الدابة  
من هذا الموضع " فإذا فتر في شبر . قال ابن بريدة : فخرجت بعد ذلك بسنين فأرانا  
عصا له ، فإذا هي بعصاي هذه كذا وكذا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس  
من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها ؛ فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها  
لم تكن آمنت من قبل " . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : " أول الايات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج  
الدابة على الناس ضحى " . قال عبد الله : فأيتهما ما خرجت قبل الأخرى

(١) تجلبو وجه المؤمن أي تتوره . (٢) تخبط أي تسمه بها ، من خطمت البعير اذا كويته خطا  
من الأنف الى أحد خديه . (٣) الحواء (بكسر الحاء المهملة والمدة) : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .



منها قريب . قال عبد الله : ولا أظنها إلا طلوع الشمس من مغربها . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضُه سبعون سنة ، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا “ . والله الهادي للصواب .

### ذكر خبر قيام الساعة والنفخة الأولى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما زال صاحبُ الصور مذوكل به مُستعدا ينظر نحو العرش إلى أن يُؤمرَ فينفخ قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيهِ كوكبان دريان “ . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الصور؟ فقال : ” قَرْنٌ يُنفخ فيه “ . وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : ” الصور كهيئة القرن “ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونٌ كَذَابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلَّهُمْ يزعم أنه رسول الله ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَسَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُمْرَ رَبُّ الْمَسَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُتَ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا . وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتْبَاعَانَهُ وَلَا يَطُوبِيَانَهُ . وَلَتَقُومَنَّ

الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لفحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يلط<sup>(١)</sup> حوضه فلا يسقي فيه. ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها<sup>(٢)</sup>.

هذا من صحيح البخارى. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر خبر الدجال وقتله<sup>(٣)</sup> قال: "..... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من

خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقيضه. قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبيون! فيقولون فما تأمرنا؟

فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليئا ورفع ليئا<sup>(٤)</sup>. قال وأرل من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله — أو قال ينزل الله — مطرا كأنه الظل

أو الظل — الشك من الراوى — فتنبت منه أجساد الناس؛ ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم. ويروى أن هذا المطر الذى تنبت منه الأجساد كنى الرجال.

(١) يلط حوضه : يطينه ويصلحه . يقال : لاط حوضه يلوطه ويلطه .

(٢) راجع (ج ٨ ص ٩٥ طبع بلاق سنة ١٢٩٦ هـ) .

(٣) راجع صحيح مسلم (ج ٨ ص ٢٠١ طبع الاستانة) .

(٤) خفة الطير وأحلام السباع ، أى يكونون فى سرعتهم الى الشروقضاء الشهوات والفساد .

(٥) دار رزقهم ، أى كثير .

(٦) الليت (بكسر اللام) : صفحة العنق وهى جانبه .

## الباب الرابع

$$\frac{٨٦}{١٢}$$

من التذييل على القسم الثالث من الفرق الخامس  
في أخبار يوم القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور

## ذكر يوم القيامة وأسمائه

- هـ هو اليوم الذي وصفه الله عز وجل بالعظيمة فقال : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ  
آتَقَوْا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ  
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ  
اللَّهِ شَدِيدٌ <sup>(١)</sup> . ووصفه الله بالطول فقال : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ \*  
فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا <sup>(٢)</sup> .
- ١٠ وليوم القيامة أسماء جاء بها القرآن ، وقد ذكرها عبد الحق في كتاب العاقبة فقال :  
”يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ! يوم الحسرة والندامة ، يوم يجد كل عامل عمله  
أمامه ، يوم الدمدمة ، يوم الزلزلة ، يوم الصاعقة ، يوم الواقعة ، يوم الراجفة ، يوم  
الرادفة ، يوم الغاشية ، يوم الداهية ، يوم الآزفة ، يوم الحاقة ، يوم الطامة ، يوم  
الصاخة ، يوم التلاق ، يوم الفراق ، يوم الميثاق ، يوم الانشقاق ، يوم القصاص ،  
١٥ يوم لات حين مناص ، يوم التناد ، يوم الأشهاد ، يوم الميعاد ، يوم المآب ، يوم  
العذاب ، يوم الفرار ، يوم القرار ، يوم المرصاد ، يوم السائلة ، يوم المناقشة ، يوم  
الحساب ، يوم القضاء ، يوم الجزاء ، يوم البكاء ، يوم البلاء ، يوم تمور السماء مورا  
وتسير الجبال سيرا ، يوم الحشر ، يوم النشر ، يوم الجمع ، يوم البعث ، يوم العرض ،
- (١) سورة الحج آتي ١ ، ٢ (٢) سورة المعارج آتي ٤ ، ٥

يوم الوزن ، يوم الحق ، يوم الحُكْم ، يوم الفصل ، يوم الحزى ، يوم عقيم ، يوم عظيم ، يوم عسير ، يوم عبوس ، يوم قطير ، يوم النشور ، يوم المصير ، يوم الدين ، يوم اليقين ، يوم النفخة ، يوم الصيحة ، يوم الرجفة ، يوم الرجة ، يوم الزجة ، يوم الشدة ، يوم الفزع ، يوم الجزع ، يوم القلق ، يوم العرق ، يوم الميقات ، يوم تخرج الأموات وتظهر الخبآت ، يوم الإشفاق ، يوم الأنشقاق ، يوم الانكدار ، يوم الانتشار ، يوم الانفطار ، يوم الافتقار ، يوم الوقوف ، يوم الانصداع ، يوم الانقطاع ، يوم معلوم ، يوم موعود ، يوم مشهود ، يوم تبلى السرائر ، يوم تُخرج الضمائر ، يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، يوم يُدعى فيه إلى النار ، يوم تُسجر فيه النار ، يوم تُقلب فيه الوجوه في النار ، يوم البروز فيه إلى الله ، يوم الصدور إلى الله ، يوم لا تنفع المезде ، يوم لا يرضى إلا المغفرة . قال : وأهل أسمائه وأشنع ألقابه : يوم الخلود ، يوم لا آتقطاع لعذابه ، ولا آخر لعقابه ، ولا يكشف عن كافر ما به . نعوذ بالله من غضبه وبلائه ، برحمته وآلائه . والله معين العاجزين .

### ذكر الحشر والمعاد والنفخة الثانية

جاء في بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup> قيل : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . قال : ثم يأمر الله ملك الموت أن يقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم يأمر ملك الموت أن يموت فيموت ولا يبقى إلا الله ، فينادى جلّ جلاله : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾<sup>(٣)</sup> فلا يجيبه أحد ، فيقول : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

٢٠ (١) تسجر : توقد . (٢) سورة الزمر آية ٦٨ (٣) سورة غافر آية ١٦



صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> قال : ”يقوم أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ \* إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يَنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾“ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي ويتفذهم البصر“ يريد أرضا مستوية لا جبل فيها ولا أكمة ولا ربوة ولا وهدة ، أرض بيضاء لم يسفك عليها دم قط ، ولا يحمل عليها خطيئة ولا ارتكب فيها محرم . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> . وفي حديث ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال : ”هم في الظلمة دون الحسر“ والحسر هو الصراط . وفي حديث عائشة ”إنهم على الصراط“ . قال الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾<sup>(٤)</sup> أى يقول بعضهم لبعض سراً ، فيقول أعدلهم قولاً وأرحمهم عقلاً : إن لبثتم إلا يوماً . قال الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾<sup>(٥)</sup> . وروى عن مجاهد أنه قال : للكفار هجمة قبل يوم القيامة يجردون فيها طعم النوم ، فإذا بعثوا قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ! فتخرج الخلائق مذعورين خائفين وجليين ، وإذا المنادى ينادى : ﴿ يَا عِبَادِيَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، فيطمع في ذلك النداء المؤمنون والكافرون ، فينادى المنادى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا

(١) سورة المطففين آية ٦ (٢) الرشح (بفتح السين) : العرق

(٣) سورة القيامة آيتي ١١ ، ١٢ (٤) سورة إبراهيم آية ٥٨

(٥) سورة يونس آية ٤٥ (٦) سورة طه آية ١٠٣

(٧) سورة طه آية ١٠٤ (٨) سورة الزخرف آية ٦٨

- وَكَانُوا مُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup> . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ رُكْبَانًا وَمُشَاةً وَعَلَى وُجُوهِهِمْ “ . قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : ” إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا لَهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ “ .
- وفي حديث مسلم بن الحجاج عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله ، كيف يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قال : ” أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ “ . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جدًا لو استقصيناها لطال الكلام وأنبسط القول ، ونخرج التأليف عن شرطه الذي قدّمناه . فلنختم هذا الباب بحديث لقيط بن عامر العُقَيْلِيّ فإنه حديث جامع لأكثر ما في هذا الباب .

١٠

### حديث لقيط بن عامر

قال أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر العُقَيْلِيّ قال : خرجت أنا وصاحب<sup>(٣)</sup> لي حتى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ لِأَنْسِلَاخِ رَجَبٍ . فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [فَوَافِينَاهُ<sup>(٥)</sup>] حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ<sup>(٦)</sup>

$$\frac{٨٨}{١٢}$$

- (١) سورة الزخرف آية ٦٩ (٢) الحدب : ما ارتفع من الأرض وغلظ . وقد ورد هذا الحديث في صحيح الترمذى (ج ١١ ص ٣٠٠ طبع مصر) .
- (٣) هو نهبك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، كما في مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٣) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٥ ص ٨٠ طبع مصر) .
- (٤) في البداية والنهاية : « انسلاخ رجب » بدون اللام .
- (٥) التكملة عن مسند الامام أحمد والبداية والنهاية .
- (٦) كذا في مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد ج ١ ص ١٣٥ طبع بلاق وفي الأصل : « مصله » .

٢٠

فقام [في الناس] خطيباً فقال : <sup>(١)</sup> ”أيها الناس ! ألا إني قد خبأت لكم صوقي منذ أربعة أيام لأستمعكم اليوم . ألا فهل من أمرى بعثه قومه [فقالوا أعلم لنا ما يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . ألا ثم لعلمه أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال] . ألا إني مسئول هل بلغت . ألا أسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا“ <sup>(٢)</sup> بخلس الناس وقت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قالت : يا رسول الله ، ما عندك من علم الغيب ؟ [فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنى أبتغى لسقطه] <sup>(٣)</sup> فقال : ”ضن ربك عز وجل بمماتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله“ . فقلت : وما هن يا رسول الله ؟ قال : ”علم المنية [قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه] . <sup>(٤)</sup> وعلم المنى حين يكون في الرحم [قد علمه ولا تعلمونه] <sup>(٥)</sup> وعلم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه . وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزليين مستئين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب“ . قال لقيط : لم لن نعدم من رب يضحك خيراً . ”وعلم يوم الساعة“ . قلت : يا رسول الله ، إني سائلك عن حاجتي . قال : ”سل عما شئت“ . قلت : يا رسول الله ،

- (١) زيادة من مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . (٢) في المواهب اللدنية : ١٥ « ألا اسمعوا تعيشوا » أى تحيوا حياة أبدية سعيدة فانها الحياة المطلوبة . (٣) في مسند أحمد والبداية والنهاية : « ألا اجلسوا ألا اجلسوا » . (٤) النكلة عن مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . وفي العقد الفريد : « ابتغى سقطه » بدون اللام . (٥) في الأصل : « ضن ربك بخمس » . (٦) زاد في مسند أحمد والبداية والنهاية هنا : « وأشار بيده » . (٧) زيادة من مسند أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . (٨) في الأصل « متى » . (٩) في الأصل : « وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم غدا » . (١٠) أزل الرجل : صار في شدة وضيق . (١١) كذا في البداية والنهاية . ومسنون : أصابتهم سنة ، أى لحظ وجذب . وفي سائر المصادر : « مشفقين » . (١٢) زاد في العقد الفريد هنا : « فلا تعجلني » .



عَلَّمَنَا مَا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ وَمَا تُعَلِّمُ فَإِنَّا مِنْ قَبِيلٍ لَا يَصْدُقُونَ تَصْدِيقَنَا أَحَدًا مِنْ مَذْجِ  
الَّتِي تَدْنُو إِلَيْنَا، وَخُتْمُ الَّتِي تَوَالِيَنَا، وَعَشِيرَتُنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا <sup>(٢)</sup> . قَالَ : ” تَلَبَّثُونَ  
مَا لَيْسَتْكُمْ ثُمَّ يُتَوَقَّى نَيْدِيكُمْ ثُمَّ تَلَبَّثُونَ مَا لَيْسَتْكُمْ ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّيْحَةُ، فَلَعَمْرُؤُا إلهك مَا تَدَّعِ عَلَى  
ظَهْرَهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ <sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ السَّمَاءَ [بِهَضْبٍ] <sup>(٥)</sup> مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ، فَلَعَمْرُؤُا إلهك  
مَا تَدَّعِ عَلَى ظَهْرَهَا مِنْ مَضْرَعٍ قَتِيلٍ وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ إِلَّا شَقَّتْ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُقَهُ  
مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَهْمٌ لِمَا كَانَ فِيهِ، فَيَقُولُ : يَا رَبُّ أَمْتَنِي <sup>(٦)</sup>  
أَمْسَ الْيَوْمَ، لَعَهْدِهِ بِالْحَيَاةِ يَحْسِبُهُ حَدِيثًا بِأَهْلِهِ “ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَجْعَلُنَا

(١) كَذَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا تَعَلَّمَ النَّاسُ وَمَا تَعَلَّمَ » . وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَد :

« عَلَّمَنَا مَا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ وَمَا تَعَلَّمَ » .

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ مَسْنَدِ أَحْمَدَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْقَرِيدِ .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ : « فَيَصْبِحُ » .

(٤) فِي كِتَابِ التَّذَكُّرَةِ لِلْقُرْطُبِيِّ (نَسْخَةٌ مَخْطُوطَةٌ فِي دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ بِرَقْمِ ١ مِ تَصُوفُ) :

« قَالَ عَلَمَاؤُنَا : قَوْلُهُ فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْبِلَادِ وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، إِنَّمَا هُوَ تَفْهِيمٌ وَتَقْرِيبٌ إِلَى أَنْ  
يَجْمَعَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَمُوتُ وَأَنَّ الْأَرْضَ تَبْقَى خَالِيَةً وَلَيْسَ يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ مَنْ  
عَلَيْهَا فَإِنَّ يَوْمَئِذٍ الْآيَةُ .

(٥) التَّكْلُفَةُ مِنْ مَسْنَدِ أَحْمَدَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ، وَفِيهَا : « تَهْضُبُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَفِي كِتَابِ

التَّذَكُّرَةِ : « فَأَرْسَلَ رَبُّكَ مِنَ السَّمَاءِ بِهَضْبَةٍ » . وَفِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ : « فَيَرْسِلُ رَبُّكَ بِهَضْبٍ » .  
وَالْهَضْبُ : الْمَطْرُ .

(٦) مَهْمٌ : كَلِمَةٌ اسْتَفْهَامٌ عَنِ الْحَالِ وَالشَّأْنِ . وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ مَهْمٍ) : « فَيَسْتَوِي

جَالِسًا فَيَقُولُ رَبُّ مَهْمٍ » .

(٧) كَلِمَةُ « أَمْتَنِي » لَيْسَتْ فِي الْمَوَاصِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا . وَالْعِبَارَةُ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ .

« يَقُولُ أَمْسَ الْيَوْمَ فَاغْهَدِهِ ... » .

جزوب  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ

بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ قال : ” أنبئك بمثل ذلك في إل الله الأرض<sup>(١)</sup>  
 أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقات لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليها<sup>(٢)</sup>  
 إلا أياما حتى أشرفت عليها فإذا هي شرية واحدة<sup>(٣)</sup> ، فلعمرك لهُك لهُو أقدر على أن يجمعهم  
 من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتنتظرون<sup>(٤)</sup>  
 إليه ساعة وينظر إليكم “ . قلت : يا رسول الله ، [ وكيف ] ونحن ملء الأرض<sup>(٥)</sup>  
 وهو شخص واحد ينظر إلينا وينظر إليه ؟ قال : ” أنبئكم بمثل ذلك في إل الله  
 الشمس والقمر آية [ منه ] صغيرة ترونها ساعة واحدة ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما<sup>(٦)</sup>  
 ولعمرك لهُك لهُو أقدر على أن يراكم وترويه منهما أن تروهما ويرياكم لا تضارون<sup>(٧)</sup>  
 في رؤيتهما “ . قلت : يا رسول الله ، فماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تُعرضون<sup>(٨)</sup>  
 عليه بادية [ له ] صفحاتكم لا يخفى عليه [ منكم ] خافية ، فيأخذ ربك [ بيده ] غرقة من<sup>(٩)</sup>  
 الماء فينضح [ بها ] قبلكم ، فلعمرك لهُك ما تخطئ وجه واحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم<sup>(١٠)</sup>  
 (١) إل الله : ربوبيته وإلهيته وقدرته ، ويجوز أن يكون في إل الله أى في عهده (راجع  
 النهاية لابن الأثير .  
 (٢) في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية « عليك » .  
 (٣) الشرية : الحنظلة ، أى إن الأرض تخضر بالنبات فتصير في اخضرار الحنظلة ونضارتها . ويرى  
 « شربة » بالوحدة . أى يكثر الماء فن حيث أردت أن تشرب شربت . قال الزنجشمرى : « ولوروى  
 شرية — بالنحر يك — فهي حوض في أصل النخلة .  
 (٤) الأصواء هنا : القبور .  
 (٥) التكلة عن مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد القرين .  
 (٦) في الأصل : « ... ترونها ساعة واحدة فيريانكم » وفي مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية :  
 « ترونها ويريانكم ساعة واحدة » .  
 (٧) في الأصل : « لا تضامون » .  
 (٨) في الأصل : « ... لهُو أقدر على أن يراكم وترويه منهما أو ترونها ويريانكم ولا تضامون »  
 وهو تحريف .

٥

١٠

١٥

٢٠

فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرِّبْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطِمُهُ بِمِثْلِ الْحُمِيمِ الْأَسْوَدِ. <sup>(٢)</sup> أَلَا تَمَّ  
 يَنْصَرِفُ [نَبِيَّكُمْ] <sup>(٣)</sup> وَيَتَفَرَّقُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَتَسْلُكُونَ جَسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمْ  
 الْجَمْرَةَ يَقُولُ حَسْبُ <sup>(٤)</sup>، فَيَقُولُ رَبِّكَ وَإِنَّهُ <sup>(٥)</sup>. أَلَا فَتَطْلَعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ لَا يَظْمَأُ وَاللَّهُ نَاهِلُهُ  
 فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يَسْطُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ <sup>(٦)</sup> يَطْهَرُهُ مِنَ الطَّوْفِ وَالْبَوْلِ <sup>(٧)</sup>  
 وَالْأَذَى . وَتُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،  
 فَبِمَ يُنْبِصِرُ الْأَرْضُ ؟ <sup>(٨)</sup> قَالَ : ”بِمِثْلِ سَاعَتِكَ هَذِهِ“ وَذَلِكَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ  
 أَشْرَقَتْهُ الْأَرْضُ وَوَاجَهَتْهُ الْجِبَالُ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبِمَ تُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا <sup>(٩)</sup>  
 وَحَسَنَاتِنَا ؟ قَالَ ”الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ“ . قُلْتُ :

(١) الرِّبْطَةُ : المَنْدِيلُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْحُمِيمُ » . وَاحْتِمٌ : التَّحْمُ . وَتَخْطُمُهُ ، أَيْ تَصِيبُ خَطْمُهُ وَهُوَ أَنْفُهُ ، يَعْنِي تَصْيِيهِ  
 فَتَجْعَلُ لَهُ أَثَرًا مِثْلَ أَثَرِ الْخَطَامِ فَتَرُدُّهُ بِصَغْرِ (عَنْ كِتَابِ النَّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ) .

(٣) التَّكَلُّفُ عَنْ مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٤) كَلِمَةٌ يَقُولُهَا الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَهُ مَا مَضَى وَأَحْرَقَهُ غَفْلَةً كَالْجَمْرَةِ وَالضَّرْبَةَ وَنَحْوَهَا .

(٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالنَّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ وَالْفَائِقِ لِلزَّخَشَرِيِّ . وَفِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ

أَيْدِينَا « أَوَانَهُ » . وَاعْنَى إِنَّهُ أَيْ نَعْمَ وَالْهَاءُ لِلسَّكْتِ ، أَوْ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ بِحَذْفِ الْخَبَرِ ، وَالْمَعْنَى  
 ١٥ إِنَّهُ كَذَلِكَ .

(٦) فِي الْفَائِقِ وَالنَّهَايَةِ : « ... قَدَحٌ مَطْهَرَةٌ مِنَ الطَّوْفِ وَالْأَذَى » قَالَ الزَّخَشَرِيُّ : قَوْلُهُ (مَطْهَرَةٌ)

مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدَحٌ فَهِيَ أَقْدَاحٌ كَثِيرَةٌ . وَفِي النَّهَايَةِ : « الطَّوْفُ :

الْحَدَثُ مِنَ الطَّعَامِ . الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ شَرِبَ تِلْكَ الشَّرْبَةَ طَهَرَ مِنَ الْحَدَثِ وَالْأَذَى . وَأَنْتَ الْقَدَحُ لِأَنَّهُ ذَهَبَ بِهَا

إِلَى الشَّرْبَةِ » .

٢٠

(٧) كَذَا فِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ . وَفِي الْأَصُولِ : « وَالْإِيلِ » .

(٨) كَلِمَةٌ « الْأَرْضُ » لَيْسَتْ فِي غَيْرِ الْأَصْلِ .

(٩) كَذَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ . وَفِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ : « فِي يَوْمٍ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ وَوَاجَهَتْ بِهِ الْجِبَالُ » .

وَفِي الْأَصْلِ : « فِي يَوْمٍ أَشْفَرَتْهُ وَوَاجَهَتْهُ الْجِبَالُ » .

يا رسول الله، ما الجنة وما النار. <sup>(١)</sup> قال: «لَعَمْرُ إلهك <sup>(٢)</sup> إن للنار لسبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما. وإن للجنة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما». قلت: يا رسول الله، فعلام نَطْلَعُ من الجنة؟ قال: «على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، [وفاكهة لَعَمْرُ إلهك ما تعلمون] وخير من مثله معه وأزواج مطهرة». قلت: يا رسول الله، ولنا فيها أزواج أو منهن مصالحات؟ قال: «الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذذكنكم غير أن لا توالدَ فيها».

انتهى التذييل على القسم الثالث بعون الله تعالى وحسن توفيقه. والله الموفق

للمصواب. ١٠

(١) في العقد الفريد: «في الجنة أم النار». وفي سائر المصادر التي بين أيدينا: «أما الجنة وأما النار».

(٢) كذا في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية. وفي الأصول: «لعمرك إلهك لها».

(٣) ما بين المربعين عبارة مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد. وفي الأصل: «وماء غير آسن خير مما تعملون وخير من مثله معه».

(٤) في الأصل: «إن لنا فيها أزواجا أو منهن مصالحات».

## القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأصقاع ، وملوك الأمم والطوائف ، وخبر سبل العرِم  
ووقائع العرب في الجاهلية ، ويشتمل على خمسة أبواب

## الباب الأول

في أخبار ذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل  
في كتابه العزيز في سورة الكهف

- قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكَّانًا  
لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآيَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّحًا <sup>(١)</sup> ۚ وَآخِثًا فِي تَسْمِيَتِهِ ذَا الْقَرْنَيْنِ ، فَقِيلَ :  
لبلوغه أطراف الأرض ، وإن الملك الموكل بمجبل قاف سماه بذلك . وهذا القول  
محكى عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقيل : إنما سُمِّيَ بذلك لأنه كانت له ذؤابتان  
من الذهب . ويُعزى هذا القول إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه . وقيل :  
إنما سُمِّيَ بذلك لأنه رأى في منامه أنه يدنو من الشمس فيضع يده في قرنيها من شرقيها  
وغربيها ، فقتص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين ، وهذا القول مروى عن وهب .  
وقيل : إنما سُمِّيَ به لأن الله تعالى كان قد بعثه إلى قوم فضر به على قرنه فمات ،  
فأحياه الله ثم بعثه إليهم فضر به على قرنه الآخر فمات ، ثم أحياه الله ، فسمي ذا القرنين .  
وقيل : إنما سُمِّيَ بذلك لأنه أفنى قرنين من الناس . وقيل : لأنه كريم الطرفين  
من أهل بيت شريف من قبل أبيه وأمه . وقيل : لأنه أُعطي علم الظاهر والباطن .

وقيل : لأنه دخل الظلمة والنور . وقيل : لأنه ملك فارس والروم . وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

قال وهب : كان ذو القرنين رجلا من أهل الإسكندرية يقال له الإسكندروس . والعجبُ كونه نُسِبَ أنه من أهل الإسكندرية ، وقد نقل جماعة من أهل التاريخ أن الإسكندر هو الذي أنشأ الإسكندرية وبنائها ، فكيف يكون من أهلها وهو الذي أنشأها واليه نُسِبَ ! . ورُوي عن وهب أيضا أن ذا القرنين كان خارجيا في قومه ، ولم يكن بأفضلهم نسبا ولا حسبا ولا موضعا ، ثم قال بعد ذلك : إن الله تعالى بعثه نبيا ورسولا . ولا يكون الأنبياء إلا من أفضل قومهم حسبا وأشرفهم نسبا . وقد يكون هذا النقل لاختلاف الروايات . وما آفة الأخبار إلا رواتها . ١٠

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره عن ابن إسحاق قال حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مرذبة اليوناني من ولد يونان بن يافث ابن نوح . قال وقال ابن هشام : اسمه الإسكندر ، وهو الذي بنى الإسكندرية ، فنُسِبَ إليه . قال وقيل : اسمه هرمس ، ويقال هرديس . وقال ابن هشام : هو الصعب بن ذى يزن الحميري . وقال وهب : هو رومي . وقيل : إنه أفريدون [ الذي قتل بيوراسب بن أرونداسب <sup>(٣)</sup> ] الملك الفارسي <sup>(٤)</sup> . ١٥

(١) وقد ساق ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (ج ٢ ص ١٠٣) بعض الأقوال التي لم تذكر هنا .  
(٢) كذا في السيرة النبوية لابن هشام (ص ١٩٧ طبع أوربا) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٢ ص ١٠٥ طبع مصر) . وفي تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٤٥ طبع دار الكتب المصرية) : «مرزبان بن مرذبة» . وفي الأصول : «مرزبان بن مرذبة» . (٣) التكلة عن تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٤٧) .  
(٤) في تفسير القرطبي : «الملك الطاغى على عهد إبراهيم عليه السلام ، أو قبله بزمان» . ٢٠

- وقال أبو إسحاق الشعلي رحمه الله تعالى في قصصه - وذكر الخلاف في نبوته -
- قال : الصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مُرْسَل ، كما روى عن وهب وغيره من أهل الكتب . قل وقالوا : كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره ، وكان اسمه إسكندروس . قال ويقال : كان اسمه ابن عياش ، وكان عياش عبداً صالحاً . قال وهب : ونشأ ذو القرنين في علم وأدب وثروة وعفة ، ولم يزل يتخلف بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور حتى بُعدت همته ، واشتد أمره ، وعلا صوته ، وعز في قومه ، وألقى الله تعالى عليه الهيبة ، وحدث نفسه بمعالي الأمور . قال الشعلي : فلما استحكم ملكه واستجمع أمره أوحى الله تعالى إليه : يا ذا القرنين - إني بعثتك إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين ، وجعلتك حجتى عليهم ، وهذا تأويل رؤياك . وإني باعثك إلى أمم الأرض كلهم وهي سبع أمم مختلفة ألسنتهم ، منهم ١٠ أمتان بينهما عرض الأرض ، وأمتان بينهما طول الأرض ، وثلاث أمم في وسط الأرض ، وهم الإنس والجن وأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، والأخرى [ بجاها عند مطلع الشمس ] يقال لها منسك . وأما الأمتان اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل ، والأخرى بجاها في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل . فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت ، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها بأى قوة أكاثرهم ، وبأى حيلة أجمع أكابرهم ، وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم ، وبأى سمع أسمع أقوالهم ، وبأى بصر أنفذهم ، وبأى
- (١) كذا في الشعلي . وفي الأصول : « ابن عباس » . (٢) كذا في الشعلي . وفي الأصل « عرض الأرض » . (٣) زيادة عن الشعلي . (٤) في الأصل : « طول الأرض » . (٥) في الشعلي : « لا يقدر عليه ذو قدرة إلا أنت » .

تجة أخاصمهم ، وبأى عقل أعقل عنهم ، وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم ،  
وبأى قسط أعديل بينهم ، وبأى حلم أصابرهم ، وبأى معرفة أفصل بينهم ،  
وبأى علم أنقن أمرهم ، وبأى يد أسطو عليهم ، وبأى رجل أطوهم ، وبأى طاقة  
أحصيهم ، وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفيق أتألفهم ، وليس عندي يا إلهي شيء مما  
ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم وأنت الرؤوف الرحيم ، الذي لا تكلف نفسك إلا وسعها ،  
ولا تتحملها إلا طاقتها ، ولا تُشقيها ، بل أنت ترحمها . فقال الله تعالى له : إني سأطوقك  
ما حملتك ، وأشرح لك صدرك وسمعتك فتسمع وتعي كل شيء ، وأوسع لك فهمك فتفقه  
كل شيء ، وأبسط لك لسانك فتتطيق بكل شيء ، وأفتح لك بصرك فينقذ في كل شيء ،  
وأحصي لك قوتك فلا يفوتك شيء ، وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء ، وأشيد لك  
ركبك فلا يغلبك شيء ، وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء ، وأشد لك يديك فتسطو على كل  
شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، وأختر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من  
جنودك ، يهديك النور من أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك . قال : فلما قيل لـ  
ذلك حدث نفسه بالمسير ، وألح عليه قومه بالمقام ، فلم يفعل وقال : لا بد من طاعة  
الله تعالى . قال وهب : وكان أقول ما بدأ به أن أخذ قومه بالإسلام فأسلموا قهرا  
من عند آخرهم ، ثم أمرهم أن ينزلوا له مسجدا ويجعلوا طوله أربعمائة ذراع ،  
وعرضه مائتي ذراع ، وثمك حائطه اثنين وعشرين ذراعا ، وأرتفاعه في السماء  
مائة ذراع ، وأمرهم أن ينصبوا فيه سوارى . قالوا : ياذا القرنين ، كيف لنا بخشب  
يبلغ ما بين الحائطين ؟ فلما بكل البناء أمرهم بردمه بالتراب ، ثم فرض على المؤمنين قدره  
من الذهب وعلى المؤمنين قدره ، وأمرهم أن يجعلوا ذلك الذهب كقلامة الظفر

(١) كذا في التعلبي . وفي الأصل : « أقوم لهم وأقوى عليهم » .

(٢) كلمة « قوتك » ليست في التعلبي . (٣) كذا في التعلبي . وفي الأصل : « بدنك » .



ويخاطوه بالتراب وكبسوا التراب حتى ساوى البناء ، ثم أمرهم بعد ذلك أن يتخذوا أعمدة من النحاس بدلا من الخشب فصنعوها ، وجعلوا على كل حائط اثني عشر ذراعا ، فكان طول كل عمود من النحاس مائتين وأربعة وعشرين ذراعا ، فتمكنوا من ذلك بسبب الردم . فلما استقر السقف بما فيه أمر الإسكندر المساكين أن يحدوا التراب ، ومن خرج له شيء من الذهب فهو له ، فسارعوا إلى ذلك ونقلوه واستغنوا بما فيه ، ثم جند القوم أربعين ألفا ، وهم أول جند اتبعوه .

- وقال الثعلبي رحمه الله : إن الإسكندر جند المساكين بما حصل لهم من قراضة الذهب ، وكانوا أربعين ألفا ، جعلهم أربعة أجناد ، في كل جند عشرة آلاف . قال : ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل غير المساكين ، وهم أربعون ألفا ، ثم انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس ، ١٠ فسار لا يتر بأمة إلا دعاهم إلى الله تعالى ، فإن أجابوه قيل ذلك منهم ، وإن أبوا عليه غشيتهم الظلمة فلبست مدائنهم ومنازلهم وأعشت أبصارهم ، فتيحروا حتى يجيئهم ، أو يأخذهم عتوة . ولم يزل كذلك حتى بلغ مغرب الشمس . قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حِجَّةٍ ﴾ (٢) أى ذات حمأة ، ومن قرأ حامية فعناه حارة ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ يُسْرًا ﴾ . قال الثعلبي : فوجد جمعا وعددا لا يحصىه إلا الله تعالى ، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى ، ورأى ألسنا مختلفة وأهواء متشتتة ، وهذه الأمة هي ناسك . فلما رأى ذلك كثرتهم بالظلمة فضررب حولهم ثلاث عساكر فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، ٢٠
- (١) كذا في الثعلبي . وفي الأصل : « استقل » . (٢) سورة الكهف آية ٨٥ وما بعدها .

فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخلهم الظلمة ، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأذانهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ، فصاحوا وتحيروا وأشفقوا من الهلكة ، فعيّجوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته ، فخذ منهم أمما عظيمة وجعلهم جنّدا واحدا ، ثم أنطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامهم ، وسار يريد الأمة التي في قطر الأرض التي يقال لها هاويل ، فكان إذا انتهى إلى بحر أو نهر بنى سقفا من ألواح صغار أمثال النعال ونظمها في ساعة ، ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم والجنود ، فإذا قطع ذلك البحر أو النهر فتقها ثم دفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكرّثه حمّله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ففعل بهم كما فعل بالأمة التي قبلها . قال : ولما فرغ منها مضى حتى انتهى إلى مُنسك وهي الأمة التي عند مطلع الشمس . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطَايِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ۚ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۖ ﴾ . قال : وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ۖ ﴾ وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ، وكانوا يكونون في أسراب<sup>(٢)</sup> لهم ، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معاشهم وحروثهم . وقال الحسن<sup>(٣)</sup> : كانت أرضهم أرضا لا تحتل البناء ، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم تهوّروا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما تراعى البهائم . وقال الكلبي : هم أمة يقال لها مُنسك عُرأة حُفأة عُمأة عن الحق . قال : وحدثني عمرو بن مالك بن أمية قال : وجدت رجلا بسمرقند يتحدث الناس

(١) سورة الكهف آية ٨٩ وما بعدها .

(٢) الأسراب : جمع سرب (بالنحر يك) وهو الحفير تحت الأرض .

(٣) عبارة الحسن في تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٥٤) : (كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ، وكانت لا تحمل البناء فاذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فيتراعون كما تراعى البهائم) .

- وهم مجتمعون حوله ، فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين<sup>(١)</sup> تطلع عليهم الشمس ، قال : خرجت حتى جاوزت الصين ، ثم سألت عنهم ف قيل : [لى] إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فاستأجرت رجلا<sup>(٢)</sup> [يرينهم] ، فسرت بقية عشتى وليلى حتى صبحتهم ، فإذا أحدهم يفتش أذنه ويلبس الأخرى . وكان صاحبي يحسن لسانهم فسالوه فقال : جئنا ننظر كيف تطلع الشمس . قال : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مثل الصاصلة ، فغشى على فوقعت ، فلما أفقت وجدتهم يمسحونى بالدهن فإذا الشمس طلعت على الماء ، وهى عليه كهيئة الزيت ، وإذا طرف السماء كهيئة القسطاط ، فلما ارتفعت دخلوا فى سرب لهم وأنا وصاحبي ، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه فى الشمس فينضج .
- ١٠ نرجع إلى تمة أخبار الإسكندر ومطلع الشمس . قالوا : ولما بلغ الإسكندر مطلع الشمس فعل بمنسك كما فعل بالأمم التى قبلها وجند منها جنودا ، ثم كثر حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى وهى بدء تاويل ، وهى الأمة التى بحيال هاويل ، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض . فلما بلغها عمل فيها كما عمل بمن قبلها . ولما فرغ من الأمم الذين هم بأطراف الأرض وطاف الشرق والغرب عطف منها إلى الأمم التى هى فى وسط الأرض من الجن والإنس وأجوج وأجوج . فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس :
- ١٥ ياذا القرنين ، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الإنس ، وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترسها السباع ، ويأكلون هوائا الأرض من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله تعالى .
- ٢٠ وليس لله خلق يندون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم . فإن أتت مدة على ما نرى من

(١) التكلة عن القرطبي . (٢) فى تفسير القرطبي : « ويلتحف » .

نمائهم وزيا دتهم فلا شك أنهم سيملئون الأرض ويُحْمِلُون أهلها منها ويظهرون عليها فيفسدون فيها . وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم أن يطلع علينا أولهم من [ بين <sup>(١)</sup> هذين الجبلين <sup>(٢)</sup> ] .

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك الأنطاقي في كتابه عن وهب بن منبه : إن ياجوج وماجوج أجفلوا في زمن ذى القرنين يريدون أرضاً وأمة من الأمم ، وكانوا إذا توجهوا لوجه لم يعدلوا عنه ولا يميلون ولا يعرجون ، وكانت تُسمع همهمهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم . فلما سمعت تلك الأمة حسهم استغاثوا بذي القرنين ، وهو يومئذ في ناحية أرضهم من شرق أرض الترك والخزر وقالوا : يا ذا القرنين ، إنه قد بلغنا ما آتاك الله من السلطان والمُلك ، وما ألبسك من الهيبة ، وما آيدك به من جنود أهل الأرض ومن النور والظلمة ، وإنا جيران ياجوج وماجوج ، وليس بيننا وبينهم إلا شواقي الجبال ، وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الصدفين <sup>(٤)</sup> ، فهل نجعل لك خرجاً [ على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ] <sup>(١)</sup> . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَباً ﴾ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً <sup>(٥)</sup> قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً <sup>(٥)</sup> أي جعلاً وأجرأ ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أي حاجزاً فلا يصلون إلينا ﴿ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي ﴾ أي قواني ﴿ خَيْرٌ ﴾ من خراجكم ولكن ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ حاجزاً كالخائط . قالوا : وما تلك القوة ؟ قال : فعلة وصناع

٩٢  
١٢

(١) التكملة عن الثعلبي . (٢) هما جبلان من قبل إرمينية وأذربيجان ، كما في تفسير

القرطبي . (٣) أجفلوا : أسرعوا الهرب . وهي هنا غير واضحة في السياق .

(٤) الصدفان : جانباً الجبل ، لأنهما يتصادفان أي يتقابلان .

(٥) سورة الكهف آية ٩٢ وما بعدها .

- يُحَسِّنُونَ الْبِنَاءَ وَالْعَمَلَ وَالْآلَةَ . قَالُوا : وَمَا تِلْكَ الْآلَةُ : قَالَ ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾  
 يعنى قِطْعَه ، واحدها زُبْرَةٌ . وآتوني بالنحاس . قَالُوا : مَنْ أَيْنَ لَنَا الْحَدِيدَ وَالنَّحَاسَ  
 [ مَا يَكْفِي هَذَا الْعَمَلُ ] ؟ قَالَ ، سَأَدِّلكُمْ عَلَى مَعَادِنِ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ ، فَضَرْبَ لَهم  
 فِي جَبَلَيْنِ حَتَّى فَلَقهُمَا ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَ مِنْهُمَا مَعْدِنَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ . قَالُوا : فَبِأَيِّ  
 قُوَّةٍ نَقْطَعُ الْحَدِيدَ وَالنَّحَاسَ ؟ فَاسْتَخْرَجَ مَعْدِنَ السَّامُورِ وَهُوَ أَشَدُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ بَيَاضًا ،  
 وَهُوَ الَّذِي قَطَعَ بِهِ سَلِيمَانُ صَخُورَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَوَاهِرَهُ ، كَمَا تَقْدِّمُ . قَالَ الثَّعْلَبِيُّ :  
 وَلَمَّا شَغَلَهُمُ الْإِسْكَانُ فِي اسْتَخْرَاجِ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ سَارَ نَحْوَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ  
 لِيَعْلَمَ عَلَيْهِمُ ، فَأَنْطَلَقَ يُؤْتِمُهُمْ حَتَّى أَتَوْهُمُ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَتَوَسَّطَ بِلَادَهُمْ ، فَوَجَدَهُمْ عَلَى مَقْدَارِ  
 وَاحِدٍ ذَكَرَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ ، يَبْلُغُ طَوْلُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مِثْلَ نِصْفِ الرَّجُلِ الْمَرْبُوعِ مَنًّا .  
 ١٠ وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْهُمْ مَنْ طَوَّلَهُ شَبْرٌ ، وَمِنْهُمْ  
 مَنْ هُوَ مُفَرِّطٌ فِي الطَّوْلِ ، لَهُمْ مَخَالِبٌ فِي أَيْدِيهِمْ مَوْضِعُ الْأَظْفَارِ ، وَأَنْيَابٌ وَأَضْرَاسٌ  
 كَالسَّبَّاحِ ، يُسَمَّعُ لَهَا حَرَكَةٌ إِذَا أَكَلُوا كَتَمَ صَمِّ الْبَغْلِ الْمُسَنَّ أَوْ الْفَرَسِ الْقَوَى ، وَلَهُمْ  
 مِنَ الشَّعْرِ فِي أَجْسَادِهِمْ مَا يُوَارِيهِمْ وَمَا يَتَّقُونَ بِهِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
 أُذُنَانِ عَظِيمَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا وَبَرَةٌ وَالْأُخْرَى زَغَبَةٌ ، يَفْتَرِشُ إِحْدَاهُمَا وَيَلْتَحِفُ  
 (٢)  
 ١٥ الْأُخْرَى ، وَيَصْتِفِ فِي إِحْدَاهُمَا وَيَشْتَقِي فِي الْأُخْرَى . وَقَالَ الْأَنْمَاطِيُّ فِي خَبَرِهِ :

(١) زِيَادَةُ عَنْ الثَّعْلَبِيِّ .

(٢) وَرَدَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ (ج ٢ ص ١١٠ طَبْعُ مِصْرَ) رَدًّا عَلَى هَذَا مَا نَصَّهُ :

« مِنْ زَعَمِ أَنَّهُمْ عَلَى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَطْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ جَدًّا ، فَهُمْ مِنْ هُوَ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، وَمِنْهُمْ  
 مَنْ هُوَ غَايَةُ فِي الْقَصْرِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْتَرِشُ أُذُنًا مِنْ أُذُنَيْهِ وَيَتَغَطَّى بِالْأُخْرَى ؛ فَكُلُّ هَذِهِ أَقْوَالُ بِلَا دَلِيلٍ ،وَرَجَمَ بِالْغَيْبِ بَغِيرَ بَرَهَانٍ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ وَعَلَى أَشْكَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ » ١ هـ .  
 ٢٠ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ الْقَصَصِ مِنْ صِفَاتِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَعَالِيهِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ  
 قِبَلِ الْخُرَافَاتِ وَالْإِسْرَافَاتِ الَّتِي هِيَ كَذِبٌ مُحَضٌّ ، تَنَاقَلَهُ أَوْلِيَاءُ الرِّوَاةِ وَالْكَاتِبُونَ بِدُونِ تَحْزُزٍ وَلَا تَدْقِيقٍ =

ولهم أخفاف كأخفاف الإبل . قالوا : وليس منهم ذكرٌ ولا أنثى إلا قد عرف  
أجله الذى يموت فيه . وذلك أن الذكر منهم لا يموت حتى يخرج من صلبه ألف  
ولد ، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد<sup>(١)</sup> ، فإذا كان ذلك أيقن بالموت

== وقد أثبت المحققون من رجال التاريخ أن أصل المغول والنتر من رجل يقال له « ترك » . وسماه  
أبو الفداء باسم « مأجوج » . فيظهر من هذا أن المغول والنتر هم مأجوج وكانوا يشغلون الجزء  
الشمالى من آسيا الكبرى من التبت جنوبا الى المحيط المنجمد الشمالى ، وتنتهى بلادهم غربا بماء بلى بلاد  
التركستان .

وما ذكره الله تعالى من إفسادهم فى الأرض فقد ذكر المؤرخون أن هذه الأمم كانت تغير على من  
جاورها من الأمم فى أزمنة مختلفة وأهلكوا الحرث والنسل وخرّبوا البلاد . وذكروا أن منهم الأمم  
المتوحشة والجيوش الجارفة التى انحدرت من هضبات آسيا الوسطى الى أوروبا وآسيا الغربية مقتر الأنبياء  
( صلوات الله وسلامه عليهم ) . كل ذلك قبل نزول القرآن وظهور النبي صلى الله عليه وسلم الى أن ظهرت  
تلك الداهية الدهية والغارة الشعواء فى أوائل القرن السابع من الهجرة إذ ظهر منهم رجل يسمى  
« تموجينى » وهو جنكركان المتوفى سنة ٦٢٤ هـ فأكتسح بجموعه قسما عظيما من البلاد الإسلامية وأبادوا  
جموعها حتى وصلوا الى الشام بدون أن ينال فسادهم الحرمين الشريفين ولا القدس كما أخبرت به الأحاديث .  
وقد انسابوا على البلاد الإسلامية من كل حدب ؛ وذلك هو مصادق القرآن الكريم . ومن أراد  
الاستفاضة فى هذا فليراجع تفسير العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ( ج ٩ ص ١٩٧ — ٢٠٨ )  
والدعاية الى سبيل المؤمنين للعلامة الشيخ ابراهيم أطفيش الجزائرى ( ص ١٤٩ — ١٥٣ ) وفاكهة  
الخلافة . ( ص ٢٢٦ ) .

وقال المرحوم أمين واصف بك فى كتابه معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية عن مأجوج  
ومأجوج ما نصه : « يؤخذ مما قرره الباحثون أن هذه الأقوام هى أُم السكيكيون ( Les Scythes )  
عند اليونان ؛ وكانت منازلهم بالشمال الشرقى من بحر الخزر ، وهم قبائل رحل ، وكانوا على حدود بلاد  
ماوراء النهر مما بلى فرغانة والشاش ؛ ومنهم قبائل الخزر والمساغيت أو من سلاتهم » اهـ .  
( ١ ) ورد فى البداية والنهاية أيضا ردا على هذا مانصه :

« ما قبل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفا فإن صح فى خبر قلنا به وإلا فلا نرده إذ يحتمله  
العقل ، والنقل أيضا قد يرشد إليه . بل ورد حديث مصرح بذلك إن صح قال الطبرانى — وذكر السند —  
قال : ( إن مأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك  
من ذريته ألفا فصاعدا ... ) وهو حديث غريب جدا وإسناده ضعيف وفيه نكارة شديدة » .

وترك طلب المعيشة . قالوا : وهم يُرزقون التين في أيام الربيع ، يقذفه عليهم السحاب من البحر في كل عام مرة . فإذا تأخر عنهم وقت عادته استطروه كما يُستمطر الغيث لحينه ، فإن قُذِفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وكثروا وأكلوا منه حولا كاملا لا يأكلون غيره ، ويقددونه فيعمهم على كثرتهم . قال : وهم يتداعون تداعي الحمام ، ويعوون عواء الذئاب ، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا . فلما عاينهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصّدفين فقام ما بينهما ، ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس فصنع منه زُبرا أمثال الصخور العظام ، ثم أذاب النحاس بفعله كالطين والأط به تلك الصخور الحديد ثم بناه .

- قالوا : وكيفيّة بنائه على ما ذكره أهل السير : أنه لما قام ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ، ثم حفّره الأساس حتى بلغ الماء ، وجعل عرضه ١٠ خمسين فرسخا ، ثم وضع الحطب بين الجبلين ، ثم نسج عليه الحديد ، ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم يزل يحول الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى ساوى بين الصّدفين ، وهما الجبلان ، ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، ثم قال انفخوا ثم جعل يُفرغ القطر وهو النحاس المذاب ، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس ، فصار كأنه برد حبة من ١٥ صُفرة النحاس وحمرته ، وسواد الحديد وغُبرته ، فصار سدا طويلا عظيما حصينا .
- قال الله تعالى : ﴿ قَا أَسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ <sup>(١)</sup> . وقد روى أن رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سدّا يأجوج ومأجوج . قال : ” إنعته لي ” . قال : كالبرد المُجَبَّر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : ” قد رأيته ” .

(١) في الأصل : « يفرغ مفرغ القطر » وهو تحريف . (٢) برد حبة (على الوصف والإضافة) : ضرب من البرود اثمانية المخططة . (٣) سورة الكهف آية ٩٧

(١) وقد ذكرنا خبر السدّ فيما سلف من كتابنا هذا عن سلام التّرجمان حين أرسله الوثائق إلى السدّ فرآه ، وهو في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

قال الأنماطيّ قال وهب : فبأعنا — والله أعلم — أنهم يأتونه في كل سنة مرة ، وذلك أنهم يسيحون في بلادهم حتى إذا آتمّوا إلى ذلك الرّدم حبسهم فرجعوا يسيحون في بلادهم ، فهم كذلك حتى تقرب الساعة ، فإذا جاء أشراطها فتبّحه الله عز وجل ، فذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (٣) . والله أعلم .

## ذكر خبر دخول ذى القرنين الظلمات

٩٣  
١٢

مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة

قال أبو إسحاق الثعلبيّ رحمه الله : قال عليّ رضي الله عنه : ملك ذو القرنين ما بين المشرق والمغرب ، وكان له خليل من الملائكة اسمه رفايل يأتيه ويزوره . فبينما هما ذات يوم يتحدّثان إذ قال ذو القرنين : يا رفايل ، حدّثني عن عبادتكم [ في السماء ] (٤) . فبكى وقال : يا ذا القرنين ، وما عبادتكم [ بشيء ] (٥) عند عبادتنا ! إنّ في السماء من الملائكة من هو قائم أبدا لا يجلس ، ومنهم من هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ، ومنهم الراكع لا يستوى أبدا قائما ، يقولون : سبحان الملك القدّوس ، ربّ الملائكة والروح ، ربنا ما عبدناك حقّ عبادتك . فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال : إني لأحبّ أن

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٤ — ٣٧٨ من هذه الطبعة) . (٢) سورة الأنبياء آية ٩٦

(٤) زيادة عن الثعلبي .

(٣) سورة الكهف آية ٩٨



- أعيش فأبلغ من عبادة ربّي حقّ طاعته . قال رفائيل : أوتحبّ ذلك ؟ قال نعم .
- قال : فإنّ الله عينا في الأرض تسمّى عين الحياة فيها من الله عزيمّة<sup>(١)</sup>، إنّ من يشرب منها شربة لم يمّت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربّه الموت . قال ذو القرنين : هل تعلم موضع تلك العين ؟ قال الملك : لا ، غير أنّا نتحدّث في السماء أنّ الله تعالى في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جات ، فنحن نظن أنّ العين في تلك الظلمة . فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم : أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله وما جاءكم من أحاديث الأنبياء ومن كان قبلكم أنّ الله وضع في الأرض عينا سماها عين الحياة ؟ قالوا لا . وقال عالم من العلماء : إنّى قرأت وصيّة آدم . وصّى أنّ الله تعالى خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جات ووضع فيها عين الخلد . فقال ذو القرنين : فأين وصيّته في الأرض ؟ قال : على قرن الشمس . فبعث ذو القرنين وحشروا إليه العلماء والأشراف والملوك ، ثم سار يطلب مطلع الشمس ، فسار اثنى عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة ، فإذا ظلمة تقوم مثل الدخان ليست بظلمة ليل ، فعسكر هناك ، ثم جمع العلماء وقال : إنّى أريد أن أسلك هذه الظلمة . قالوا : إنه من كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها ، فإنّا نخاف أن ينبثق عليك أمر تكرهه فيكون فيه فساد [أهل]
- الأرض . فقال : لا بدّ من أن أسلكها . قالوا : أيها الملك كفّ عنها ولا تطلبها فإنّا لو نعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط علينا ربّنا لا تتبعناك ، ولكنّا نخاف العتب من الله عز وجل وفساد الأرض ومن عليها . فقال : لا بدّ أن أسلكها .

(١) كذا في التعلي . وفي الأصل : « وقال عالم العلماء منهم » .

(٢) كذا في التعلي . وفي الأصل : « لا يطؤها » .

(٣) في الأصل : « تفور » . (٤) زيادة عن التعلي .

قالوا : شأنك بها . قال : أىّ الدوابّ بالليل أبصر ؟ قالوا : الخيل . قال :  
 فأىّ الخيل أبصر ؟ قالوا : الإناث . قال : فأىّ الإناث أبصر ؟ قالوا : البكار . فجمع  
 ذو القرنين ستة آلاف فرس بهذه الصفة ، ثم انتخب من عسكره [ أهل الجلد<sup>(١)</sup>  
 والعقل ] ستة آلاف رجل ، فدفع إلى كلّ رجل فرسا ، وعقد للخضر عليه السلام  
 على مقدمته ألفين ، وبقي هو في أربعة آلاف . وقال ذو القرنين للناس : لا تبرحوا  
 من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة سنة ، فإن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى بلادكم .  
 فقال الخضر : أيها الملك ، إنا نسلك ظُلمة لا ندرى كم المسير فيها ولا يُبصر بعضها  
 بعضها ، فكيف نصنع إذا ضلّا ! فدفع إلى الخضر خرزة حمراء وقال : حيث يصيبكم  
 الضلال فأطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع إليها أهل الضلال أين  
 صاحت . فسار الخضر بين يديه ، يرتحل الخضر وينزل ذو القرنين . فبينما الخضر  
 يسير إذ عرّض له وادٍ فظن أن العين فيه وألّقى ذلك في قلبه . فقام على شفير الوادي  
 وقال لأصحابه : قفوا لا تبرحوا ، ورمى بالخرزة في الوادي ومكث طويلا حتى أجابته  
 الخرزة ، فطلب صوتهما فأنتهى إليها فإذا هي إلى جانب العين . فترع الخضر ثيابه  
 ثم دخل العين ، فإذا مأوها أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من الشهد ، فشرب وأغتسل  
 وتوضأ ولبس ثيابه ، ثم رمى الخرزة نحو أصحابه ، فوقعت الخرزة وصاححت ، فرجع إلى  
 صوتهما حتى انتهى إلى أصحابه ، فركب وقال : سيروا على اسم الله . ومرة ذو القرنين  
 فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوما وليلة<sup>(٢)</sup> ، ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء  
 شمس ولا قمر ، و إلى أرض حمراء ورملية خشخاشية<sup>(٣)</sup> ، فإذا هو بقصر مبنّى في تلك  
 الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب ، فنزل ذو القرنين بعسكره ، ثم خرج وحده  
 فدخل القصر ، فإذا حديدة قد وُضع طرفاها على جانبي القصر من هاهنا وهاهنا ،

(١) زيادة عن التلوي . (٢) كذا في الأصل والتلوي .

- وإذا طائرٌ أسودٌ يشبه الخُطَّافَ مزموماً بأنفه إلى الحديدِة، معلق بين السماء والأرض .  
 فلَمَّا سمع الطائرُ خشخشة ذى القرنين قال : مَنْ هذا ؟ قال : أنا ذو القرنين .  
 فقال : يا ذا القرنين ، أما كفالك ما وراءك حتى وصلت إلى ؟ ثم قال الطائر :  
 يا ذا القرنين ، حدثني ؛ قال سَلْ ؛ فقال : هل كُتِرَ بناء الأجر والحصن في الأرض ؟  
 قال نعم ؛ فانتفض الطائر انتفاضةً ثم أنتفخ فبلغ ثلث الحديدِة ، ثم قال : يا ذا القرنين ، هل  
 كثرت شهادات الزور في الأرض ؟ قال نعم ؛ فانتفض الطائر ثم أنتفخ فملأ الحديدِة  
 وسد ما بين جداري القصر . ففريق ذو القرنين فرقاً عظيماً . فقال الطائر : لا تخف ،  
 حدثني . قال سَلْ . قال : هل ترك الناس [شهادة أن] لا إله إلا الله بعد ؟ قال لا ،  
 فأنضم الطائرُ لثلثه ثم قال : هل ترك الناس الصلاة المفروضة بعد ؟ قال لا ، فأنضم  
 ثلثاه . ثم قال : يا ذا القرنين ، هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا ؛ فعاد الطائر  
 كما كان . ثم قال : يا ذا القرنين ، أسلك هذا الدَّرَجَ درجةً درجةً إلى أعلى القصر ،  
 فسلكها وهو خائفٌ وجَلٌّ لا يدري على ماذا يهجم ، حتى انتهى إلى سطحٍ ممدود ، عليه  
 صورة رجل شاب قائم . وعليه ثيابٌ بيضٌ ، رافعا وجهه إلى السماء ، واضعا يديه على  
 فيه ، فلَمَّا سمع خشخشة ذى القرنين قال : مَنْ هذا ؟ قال : أنا ذو القرنين . قال :  
 يا ذا القرنين ، إن الساعة قد اقتربت ، وأنا منتظرٌ أمر ربي يأمرني أن أنفخ [فأنفخ] ،  
 ثم أخذ صاحب الصور شيئاً بين يديه كأنه حجرٌ وقال : خذه يا ذا القرنين ، فإن شيع  
 هذا شيعت ، وإن جاع جعت ، فأخذه ونزل إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر  
 وما قال له وما ردّ عليه ، وما قال صاحب الصور . ثم جمع علماء عسكره فقال :  
 أخبروني عن هذا الحجر ما أمره ؟ [فقالوا : أيها الملك ، أخبرنا عما قال لك فيه صاحب  
 الصور . فقال ذو القرنين : إنه قال لي : إن شيع هذا شيعت وإن جاع جعت] فوضعوا

ذلك الحجر في إحدى كفتي ميزان وأخذوا حجرا مثله فوضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا  
الميزان فإذا هو يميل ، [فوضعوها معه آخر فإذا هو يميل <sup>(١)</sup> بهن] فلم يزالوا يضعون حتى  
وضعوا ألف حجر فال بالألف جميعا ، فقالوا : انقطع علمنا دون هذا الحجر لا ندرى  
أسحر هو أم علم [ما علمه] <sup>(١)</sup> ! فقال الخضر : نعم أنا أعلمه ، فأخذ الميزان بيده ثم وضع  
الحجر في كفتها وأخذ كفا من تراب فجعله في الكفة الأخرى ثم رفع الميزان فاستوى .  
نفذت العلماء سجدًا لله تعالى وقالوا : هذا علم لم يبلغه علمنا . فقال الخضر عليه  
السلام : أيها الملك ، إن سلطان الله عز وجل قاهر خلقه ، وأمره نافذ فيهم ،  
وحكمه جار عليهم ، وإن الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض ، فأبلى العالم بالعالم ،  
والجاهل بالجاهل ، والعالم بالجاهل ، والجاهل بالعالم ، وإنه آتاني بك وآتاك بي .  
قال ذو القرنين : صدقت ، فأخبرني ما هذا ؟ فقال الخضر : أيها الملك ، هذا مثل  
ضربه لك صاحب الصور ، [إن الله تعالى مكن لك في البلاد ، وأعطاك منها ما لم  
يعط أحدا ، وأوطأك منها ما لم يوطئ أحدا ، فلم <sup>(٢)</sup> تشبع ، وآتيت نفسك شرها ، حتى  
بلغت من سلطان الله ما لم يطأه إنس ولا جان ، فهذا مثل ضربه لك ، إن ابن آدم  
لا يشبع أبداً دون أن يُحصى عليه التراب ، ولا يملأ جوفه إلا التراب . فبكى ذو القرنين  
وقال : صدقت ، لا جرم [أنى] لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ،  
ثم انصرف راجعا . فلما توسط الظلمة وطئ وادي الزبرجد ، فقال من معه لما سمعوا  
الخشخشة تحت حوافر دوابهم : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : خذوا منه فإنه من  
أخذ منه ندم ، ومن تركه ندم . فمنهم من أخذ ، ومنهم من ترك . فلما خرجوا من  
الظلمة إذا هو الزبرجد . فندم الآخذ كونه لم يكثر ، والناك كونه لم يأخذ . قال :

(١) زيادة عن الثعلبي .

(٢) زيادة عن الثعلبي ، ومكانها في الأصل : « إنك لم » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” رَحِمَ اللهُ أَنْحَى ذَا الْقَرْنَيْنِ لَوْ ظَفِرَ بَوَادِي الزَّبَرَجَدِ فِي الْمَبْتَدَأِ مَا تَرَكَ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى أُخْرِجَهُ إِلَى النَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ رَاغِبًا فِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ ظَفِرَ بِهِ وَهُوَ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا لَا حَاجَةَ لَهُ فِيهَا “ .

قال الثعالبي : ثم رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بِشَهْرٍ زَوْر<sup>(١)</sup> . وقال علي رضي الله عنه : [ ثم إنه <sup>(٢)</sup> رجع إلى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فَأَقَامَ<sup>(٣)</sup> بها حتى مات . وصرح الثعالبي في سياقة أخباره أنه الذي قتل دارا بن دارا ، وأنه لم تَطُلْ مدّة عمره . وسند ذكر ابن شاء الله تعالى خبر قاتل دارا بن دارا في أخبار ملوك اليونان .

وحكى الأتصافي عن وهب في خبر دخول الإسكندر الظُّمَّات : أنه لما آتتهى إلى مغرب الشمس ترك من معه هناك وسار على الماء في الظلمة ثمانية أيام وثمانى ليال حتى آتتهى إلى جبل قاف ، وإذا هو بملك قابض على الجبل يسبح الله تعالى ؛ نفث ذو القرنين ساجداً لله تعالى فلم يرفع رأسه حتى قواه الله تعالى على النظر إلى الملك . فقال له : كيف قويت يا ابن آدم على أن تبغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك ؟ ! قال : قواني الله الذى قواك على قبض هذا الجبل . فأخبرنى عن هذا الجبل . قال : إنه قاف المحيط بالأرض كلها ، ولولا هولاء تكفأت الأرض بأهلها ، وليس على ظهر الأرض أعظم منه ، وإنه لمحيط بها كالحلقة ، وهو أول جبل أثبتته الله ، فرأسه مُصَقَّ بِسَاءِ الدُّنْيَا ، وأسفله راسخ في الأرض السفلى .

٩٥  
١٢

- (١) شهر زور (بفتح الشين المعجمة وسكون الخاء وضمة الراء المهملة والذاء المعجمة) : بلدة بين الموصل وهمدان ، بناها زور الضحاك ، فقيل شهر زور . ومعناه مدينة زور ، وهى خصبة كثيرة المتاجر فى غزلة ، وفى أهلها ناطق وجفاء . (عن تقويم البلدان) . (٢) زيادة عن الثعالبي .
- (٣) دومة الجندل (بضم الدال المهملة) : موضع فاصل بين الشام والعراق ، على سبع مراحل من دمشق ، وعلى ثلاث عشرة مرحلة من المدينة . (عن تقويم البلدان) .

وحكى إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب العجائب الكبير : أن ذا القرنين لما  
 سار إلى الظلمة سرّ بجزيرة فيها أمة رؤسهم رؤس الكلاب العظام بادية أنيابهم ،  
 يخرج من أفواههم مثل لهب النار ، وأنهم خرجوا إلى مراكبه خاربوه فتخلص  
 منهم ، وسار فرأى نورا ساطعا فقصدته فاذا هو قد بلغ جزيرة القصر . قال : وهذه  
 الجزيرة فيها قصر مبنّى بالبلور الصافي على الطول يشفّ حتى يرى نورده على البعد ،  
 فأراد النزول بها ، فمنعه بهرام فيلسوف الهند وعرفه أن من نزل إليها وقع عليه النوم  
 وعزب عقله فلا يستطيع الخروج منها حتى يهلك . قال : ويقال إنه ظهر لهم منها  
 قوم قصار زعر ، لباسهم ورق الشجر . فسأل بهرام عن صبرهم على المقام بها ، فعرفوه  
 أن بها ثمرا إذا أكلوا منه زال عنهم ذلك ، وذكروا أنهم إذا كان الليل ظهر بين  
 شرف القصر مثل المصابيح تُسرج إلى الصبح ثم تُخمد نهارا إلى الليل ثم قد . قال :  
 ويقال إنه مرّ في طريقه بجزيرة التّنين وإنها جزيرة فيها جبال وأنهار وأشجار وزروع  
 وهى عامرة ، وعلى مدينتها حصن عال ، وبها تنين عظيم قد سام أهلها أقبح سؤم .  
 فلما دخلها الإسكندر استغاثوا به من التّنين وأنه أتلّف مواشيهم حتى إنهم  
 جعلوا له في كل يوم ثورين ينصبونهما قريبا من موضعه ، فيخرج فيبتلعهما . فأمر  
 الإسكندر بثورين عظيمين فسلّخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وكلّسا وزرّ نيفا ،  
 وجعل مع تلك الأخطا كلاليب حديد ، وجعلهما في ذلك المكان . وخرج التّنين  
 وأقبل كالسحابة السوداء وعيناه [تلمعان] كالبرق ، والنار تخرج من جوفه ، فأبتلعهما  
 ومضى ، فأضطربت تلك الأشياء في جوفه ، فلما أحسّ بثقلها ذهب ليقذفها ، فتشبكت

(١) هذه الجزيرة تسمى « جزيرة المستنكين » كما ورد في الجزء الثانى من مسالك الأبصار لابن فضل

الله العمرى (ص ٦٧) الذى تقوم بطبعه دار الكتب المصرية وقد ذكر حكاية الإسكندر والتنين

بتوسع عما هنا . (٢) زيادة عن مسالك الأبصار .

الكلاليب في حلقه نخز وفتح فاه ليستروح، فأمر الإسكندر بقطع الحديد فأحييت  
وحملت على ألواح من حديد وقُذِفَتْ في حلقه فمات . ففرح أهل ذلك الموضع  
بموته وأطفوا الإسكندر وحملوا اليه من طرائف ما عندهم . وكان فيما حملوه اليه  
دابة في خلق الأرنب ، شعرها أصفر يبرق كالذهب ، يسمونها المعراج ، وفي رأسها  
قرن واحد أسود ، اذا رأتها الأسود وسباع الوحش وكل دابة هربت منها .

وقال الأنماطي في سياقة أخبار الإسكندر عن وهب تلو خبر السد : ثم انطلق  
ذو القرنين بعد ذلك ، فبينما هو يسير إذ مر على شيخ يصلي ، فوقف عليه بمجنوده حتى  
إذا آنصرف من صلاته قال له : كيف لم يرعك ما حضرك من الجنود ؟ ! قال : كنت  
أناجي من جنوده أكثر من جنودك ، وسلطانك أعز من سلطانك ، وقوته أشد من  
قوتك ، ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبيله . قال له : هل لك أن  
تنطلق معي وأواسيك بنفسي وأستعين بك على بعض أمري ؟ قال : نعم ، إن  
ضمنت لي أربعة خصال : نعيم لا يزول ، وصحة لا سقم فيها ، وشباب لا كبر فيه ،  
وحياة لا موت فيها . قال له ذو القرنين : وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال ! .  
قال الشيخ : فإني مع من يقدر عليها ويملكها ، فتركه وسار . فبينما هو يسير إذ دقع  
إلى الأمة الصالحة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، فوجد أمة  
مقسطة عادلة يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ويتواسون ، فكلمتهم واحدة ،  
وقلوبهم مؤلفة مستقيمة ، وسيرتهم مستوية ، وقبور موتاهم في أفنتهم ، وليس  
على بيوتهم أبواب تعلق ، وليس عليهم أمراء ، ولا قضاة بينهم ، ولا أشراف

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣٨٤) وعرفها بقوله : « المعراج : دابة عظيمة  
عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع والدواب إلا هرب ،  
ذكرها القزويني في جزائر البحار » . وفي الأصول : « يسمونه بفراج » وهو تحريف .  
(٢) في الأصل : « وليس على أبواب بيوتهم » .

- يتفاوتون، ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يتسابقون ولا يقتتلون ولا يقحطون ولا تصيبهم الآفات؛ فعجب من أمرهم وقال: أخبروني خبركم أيها القوم؛ فإني قد أحصيت الأرض شرقها وغربها، وسهلها وجبلها، وبرها وبحرها، ونورها وظلمتها، فلم أر مثلكم. قالوا: سلنا عما بدا لك نُخبرك. قال: ما بال قبوركم في أفئيتكم وعلى أبواب بيوتكم؟ قالوا: لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا. قال: فما بال بيوتكم لا أبواب عليها؟ قالوا: ليس فينا متهم ولا ظنين، ولا فينا إلا مؤمن أمين. قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لأننا لا نتظالم. قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لأننا لا نتكاثر. قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل أننا متواسون متراحمون. قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟ قالوا: لأننا لا نتنافس. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟ قالوا: نحن لا نختصم. قال: فما بال كلمتكم واحدة؟ قالوا: من قبل أننا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا. قال: فأخبروني من قبل ماذا تشابهت قلوبكم وأعدت سيرتكم؟ قالوا: من صحة صدورنا، فنزع الله بذلك الغل والحسد من قلوبنا. قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أننا نقسم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع. قال: فأخبروني بماذا أتم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أننا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل. قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: لأننا لا نغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل أننا لا نتوكل إلا على الله، ولا نستمطر بالأنواء ولا بالنجوم. قال: أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يعطون مسكينهم، ويواسون فقيرهم، ويوقرون غنيهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم،



ويُحْمَلُونَ عِثْمَ جِهْلٍ عَلَيْهِمْ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ سَبَّهِمْ ، وَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ ، وَيُؤَدُّونَ أَمَانَتَهُمْ ، وَيَحْفَظُونَ وِفَاءَهُمْ لِصَلَاحِهِمْ ، وَيُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ ، وَيَصْدُقُونَ فِي مَوَاعِيدِهِمْ ، وَلَا يَرِغِبُونَ عَنْ أَكْفَائِهِمْ ، وَلَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ أَقَارِبِهِمْ ؛ فَأَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِذَلِكَ أَسْرَهُمْ ، وَحَفِظَهُمْ بِهِ مَا كَانُوا أَحْيَاءَ . قَالَ : فَأَقَامَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَهُمْ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ تُطَلْ مَدَّةُ إِقَامَتِهِ فِيهِمْ . قَالَ وَهَبُ : عَاشَ مِنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ قُبِضَ نَحْسَمَائَةُ عَامَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَعْمَرِينَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ عَاشَ أَلْفَ وَسِتْمِائَةَ وَنَحْسِينَ سَنَةً وَمَاتَ فِي حَيَاةِ أُمِّهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَدْرَكَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ وَأَرْكَبَهُ مِنْ دَوَابِّهِ . حَكَاهُ الْأَزْرَقِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## الباب الثاني

### من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأصقاع ، وهم ملوك الهند والصين والترك وجبل الفتح وملوك مصر

### ذكر أخبار ملوك الهند

قال المسعودي في مروج الذهب : ذكر جماعة من أهل النظر والبحث الذين  
واصلوا البحث والعناية بتأمل شأن هذا العالم [وبدئه] <sup>(٢)</sup> أن الهند كانت في قديم الزمان  
الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة ، وأنه لما تجملت الأجيال وتحزبت الأحزاب حاولت  
الهند أن تضمّ المملكة وتستولي على الحوزة وتكون الرياسة فيها . قال كبرائهم : نحن كنّا  
أهل البدء وفيما التناهى ، ولنا الغاية والصدور والآنهاء ، ومنا سرى الأب إلى الأرض ،  
فلا شاقنا أحد ولا عاندنا ولا أراد بنا الاعتصاص <sup>(٣)</sup> إلا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع <sup>(٤)</sup> إلى  
طاعتنا . فأجمعت على ذلك رأيها ونصبت لها ملكا ، وهو « البرهمن » الأكبر  
والملك الأعظم ، واليه تُنسب طائفة البراهمة بالهند ، لا إلى إبراهيم الخليل صلى الله عليه  
وسلم . وهذا « البرهمن » هو الإمام المقدم فيهم الذي ظهرت في أيامه الحكمة وتقدمت  
العلماء ، وأمر باستخراج الحديد من معادنه ، وضربت في أيامه السيوف والخنجر  
وكثير من أنواع السلاح وآلات القتال ، وشيد الهياكل ورصعها بالجوهر النفيسة  
المشرقة ، وصور فيها الأفلاك والبروج الاثني عشر برجا والكواكب ، وبين بالصورة

(١) راجع (ج ١ ص ٣٥ طبع بلاق) .

(٢) زيادة عن مروج الذهب .

(٣) الاعتصاص : الاحتقار والاستصغار .

(٤) كذا في المسعودي . وفي الأصول : « ليرجع » .

- كيفية العالم ، وأرى بالصورة أيضا كيفية أفعال الكواكب في هذا العالم وإحداثها للأشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها ، وبين حال المدبر الأعظم الذي هو الشمس ، وبرهن على ذلك كله وقربه إلى عقول العوام وأذهانهم ففهموه ، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك ، وأشار إلى المبدء الأول المبعطى لسائر الموجودات [ وجودها الفاض عليها بجوده<sup>(٢)</sup> ]. فأنقادت له الهند ، وأراهم وجه مصالح الدنيا وأخصبت بلادهم . وجمع الحكماء في أيامه كتاب « السند هند » ، وتفسيره دهر الدهور ، ومنه قرئت الكتب ، ككتاب الأزجهر والمجسطي ، وفرع [ من الأزجهر الأركنسد ومن المجسطي<sup>(٣)</sup> ] كتاب بطليموس ، ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات . وأحدثوا التسعة الأحرف المحيطة بالحساب الهندي . وكان البرهمن هذا أول من تكلم في أوج الشمس ، وذكر أنه يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ، ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة . إلى غير ذلك من هذا الفن . وكان ملك البرهمن إلى أن هلك ثلاثمائة سنة وستين سنة ، وولده يعرفون بالبراهمة ، والهند تعظمهم إلى وقتنا هذا ، وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ، وهم لا يتغذون بشيء من الحيوانات . وفي رقاب النساء والرجال منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحائل السيوف ، تفرق بينهم
- (١) في مروج الذهب : « وأورد » . (٢) كذا في مروج الذهب . وفي الأصل : « إلى عقول القوم » . (٣) التكملة عن مروج الذهب .
- (٤) السند هند أحد المذاهب الثلاثة المشهورة للهند في علم النجوم ، وهي مذهب السند هند ، ومذهب الأزجهر ، ومذهب الأركنسد . ومذهب السند هند هو المذهب الذي تقلده جماعة من الاسلام وألقوا فيه الأرباب كـ محمد بن إبراهيم الفزاري وحنش بن عبدالله البغدادى ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدى وغيرهم . (راجع طبقات الأمم لابن صاعد ص ١٩ طبع مصر) .
- (٥) في طبقات الأمم أن معنى « السند هند » الدهر الداهر .
- (٦) الزيادة من مروج الذهب . وفي الأصول : « وفرع منها » .
- (٧) قال المسعودى في مروج الذهب : « والأوج على رأى البرهمن في وقتنا هذا وهو ستة اثنين وثلاثين وثلاثمائة في برج النور ، وأنه إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العام خرابا والخارب عمارا ، والشمال جنوبا والجنوب شمالا ... الخ » ثم ذكر المسعودى كلاما طويلا .

و بين غيرهم من أنواع الهند . وقد تنوزع في البرهمن ، فمنهم من زعم أنه آدم وأنه رسول من الله الى الهند ، ومنهم من زعم أنه كان ملكا ، على حسب ما قدمناه وهو الأشهر . ولما هلك البرهمن جرعت عليه الهند جزعا شديدا ، وملكت عليها ولده الأكبر .

(١)

ذكر تنصيب ابن البرهمن وهو الباهبود

وكان ولي عهد أبيه من بعده . فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر إليهم . وزاد في بناء الهياكل ، وقدم الحكماء ورفع من مقدارهم وزاد في مراتبهم ، وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها . وكان ملكه الى أن هلك مائة سنة . وفي أيامه عمل النرد ولعب به ، وجعل ذلك مثالا للكاسب ، وأنها لا تُنال بالكيس ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحذق . وذكر أن أردشير بن بابك أول من وضع النرد ولعب بها ، وأرى تقلب الدنيا بأهلها واختلاف أديارها . وجعل بيوتها اثني عشر بعدد الشهور ، وجعل مهاركها ثلاثين بعدد أيام الشهر ، والفصوص أمثلة للقدر وتقلبه بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب بها فيبلغ بإسعاد القدر له في مراده بها ما يريد ، وأن الحازم الفطن لا يتأتى له ما يتأتى لغيره اذا لم يسعده القدر ، وأن الأرزاق لا تُنال في هذه الدنيا إلا بمقادير .

ثم ملك بعده رمان ، فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة سنة . قال : وله سير وأخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين .

ثم ملك بعده فور ، وهو الذي قتله الإسكندر بن فيليبس اليوناني مبارزة . وكان ملكه الى أن قُتل أربعين ومائة سنة .

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ٣٧) : « الناهود » .

(٢) في المسعودي « كلاهما » .

(٣) في المسعودي : « دامن » .

ثم ملك بعده تسام<sup>(١)</sup>، وهو الذى وضع كتاب كليله ودمنة الذى نقله ابن المقفع.  
وكان ملكه مائة وعشر سنين<sup>(٢)</sup>، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده بلهيت . وفى أيامه صُنِعَت الشَّطْرَنْجُ فَقَضَى بلعبها على التَّرد، وبَيَّن  
الظَّفَر الذى يناله الخازم والنكبة التى تلحق الجاهل وحسب حسامهما، ورتب لذلك  
كتاباً للهند يتداولونه بينهم، ولعب بها مع حكائه . وكانت مدة ملكه الى أن هلك  
نحو من ثمانين سنة . وفى بعض النسخ أنه ملك ثلاثين ومائة سنة .

ثم ملك بعده كُوش<sup>(٣)</sup>، فأحدث للهند آراءً فى الديانات على حسب ما رأى من  
صلاح الوقت . وما يحتمله أهل العصر من التكليف، وخرج عن مذاهب مَنْ  
سَلَف . وكان فى مملكته وعصره سندباد، وله كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام  
وأمرأة الملك، وهو الكتاب المترجم بكتاب السندباد . وعَمِل لهذا الملك الكتاب  
الأعظم فى معرفة العال والأدواء والعلاجات وأشكال الحشائش وصفتها . وكان  
ملك هذا الملك الى أن هلك عشرين ومائة سنة . ولما هلك اختلفت الهند فى آرائها  
فتحزبت الأحزاب وتحيات الأجيال، وأنفرد كل رئيس بناحيته، فلَمَّك على أرض السند  
ملك ، وعلى أرض القَنْجَوج ملك ، وعلى أرض قِشْمِير ملك . فكانت مدة اجتماع  
الكلمة ببلاد الهند على ملك واحد على هذا الحكم نحو من ألف سنة وست وستين  
سنة . وعلى القول الآخر ألف سنة ومائة سنة وست عشرة سنة . وعدة ملوكهم  
سبعة ملوك . والله تعالى أعلم .

٩٨  
١٢

(١) فى المسعودى : « ديتلم » .

(٢) فى المسعودى : « وعشرين سنة » .

(٣) فى المسعودى : « كورس » .

وملك بعد كوش بمدينة المانكيروهي الحوزة الكبرى ملك يسمى البلهرا . قال  
 المسعودي : وأرض الهند أرض متسعة في البر والبحر والجبال ، وملكهم يتصل  
 بملك الزنج وهي دار مملكة المهرج . وهذه المملكة قرز بين مملكة الهند والصين .  
 قال : ومن عادة الهند أنها لا تملك الملك حتى يبلغ عمره أربعين سنة ، ولا تكاد  
 ٥ ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل برهة معلومة من الزمان . ويكون ظهور الملك  
 للنظر في أمور الرعية . وقال أيضا : رأيت في بلاد سرنديب<sup>(١)</sup> ، وهي جزيرة من جزائر  
 البحر اذا مات ملكهم صيروه على عجلة صغيرة البكر ، وشعره ينجر على الأرض ، وأمرأة  
 بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادي : أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس  
 قد ملككم وجاز فيكم أمره قد صار الى ماترون من ترك الدنيا ، وقبض روحه ملك  
 ١٠ الملوك الحى القديم الذى لا يموت . فلا تغتروا بالحياة بعده . وكلام هذا معناه من  
 الترهيب والترهيد في هذا العالم . ويطاف به في جميع شوارع المدينة وهو كذلك ،  
 ثم يفصل بأربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ويحرق  
 بالنار ويدزى رماده في الرياح . قال : وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم  
 وخواصهم لغرض يذكرونه . قال : والمملك مقصور في أهل بيت لا ينتقل منهم  
 الى غيرهم . وكذلك بيوت الوزراء والقضاة وسائر أرباب المراتب ، لتوارث مناصبهم  
 ١٥ ولا تغير ولا تبدل . وعندهم أن ملكهم متى شرب الشراب فقد أستحق الخلع .  
 والله الهادى .

(١) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

## ذكر أخبار ملوك الصين

- قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :  
 لما قسم فالغ بن عابر بن أرغشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح سار ولد  
 عامور بن توبل بن يافث بن نوح يسرة المشرق ، فكان منهم أجناس الترك . وسار  
 الجمهور من ولد عامور على ساحل البحر حتى آتوا إلى أقاصيه من بلاد الصين ،  
 فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطنوها وعمروها ، وكثروا الكور ، ومصروا الأمصار ،  
 ومدنوا المدن ، وآخذوا للملك مدينة عظيمة سموها إيقو ، وبينها وبين ساحل البحر  
 الحبشي ، وهو بحر الصين مسيرة ثلاثة أشهر ، مدن وعمائر متصلة . فكان أول  
 من تملك عليهم في هذه الديار نسطيرطاس بن ماعور بن بزنج بن عامور . قال :  
 ولما ملك فترك أهله في تلك الديار ، وشق الأنهار ، وغرس الأشجار ، وطعم  
 الثمار ، وقتل السباع . وكانت مدة ملكه ثلاثمائة سنة ونيفا وهلك .  
 فقام بالأمر بعده ولده عرون بن نسطيرطاس ، فجعل جسد أبيه في تمثال  
 من الذهب الأحمر جزعا عليه وتعظيما له ، وأجلسه على سرير من الذهب مرصع  
 بالجوهر ، وجعل مجلسه دونه ، وسجد له وهو في جوف ذلك التمثال ، وسجد معه  
 أهل مملكته ، وفعل ذلك في كل نهار في طرفيه . وكانت مدة ملكه بعد أبيه نحو  
 من مائتي سنة وخمسين سنة ثم هلك .

(١) راجع (ج ١ ص ٦١ طبع بلاق) .

(٢) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٨) : « فالج » بالجم المعجمة . (٣) في المسعودي :

« عابور » . (٤) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٧) وفي الأصل : « سربل » .

(٥) في المسعودي : « انموا » . (٦) كذا في ب . وفي أ هنا ، « فنطراطاس » .

وفي المسعودي : « اسطرماس » . (٧) كذا في أ . وفي ب : « ياعور » .

وفي المسعودي : « فاعور » . (٨) في المسعودي : « برنج » .

٩٩  
١٣

فملك بعده أبنه عيرون<sup>(١)</sup> بن عمرو . ولما ملك جعل جسد أبيه عرون في تمثال من الذهب ونصبه دون مرتبة جدّه ، وكان يبدأ بالسجود لجدّه ثم يسجد لأبيه ، وساس الرعيّة بأحسن سياسة ، وساوهم في جميع أمورهم ، وشملهم بعدله ، وكثر النسل ، وأخصبت الأرض . وكان ملّكه الى أن هلك مائتي سنة .

ولما مات ملك بعده ولده عثينان بن عيرون<sup>(٢)</sup> . قال : ولما ملك جعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وجرى في أمره على ما سلف من عادتهم في السجود والتعظيم . وطالت مدّته في الملك ، وآتسعت مملكته حتى آتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه . وآخذ في أيامه كثير من المهن مما لطف في الرقة من الصنائع ، وعاش أربعمائة سنة ثم هلك .

فملك بعده أبنه حرّانان بن عثينان<sup>(٣)</sup> . قال : ولما ملك جرى في جسد أبيه على عادتهم ، ثم أمر بآخذ الفلّك وحمل فيها الرجال ، وحمل معهم لطائف بلاد الصين وسقّهم نحو بلاد الهند والسند والى إقليم بابل وسائر الممالك مما قرب وبعد في البحر . وأهدى الى الملوك الهدايا العجيبة والتحف النفيسة . وأمر أصحابه الذين سقّهم أن يجلبوا إليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف والمأكول الذي لا يوجد في بلاده ، والمشروب والغروس وأصناف الأقمشة والأمتعة وغير ذلك . وأمرهم أن يتعرّفوا سياسة كلّ ملك ، وملة كلّ أمة وشرائعها ونهجها الذي هي عليه ، وأن يرغبوا الناس فيما في بلادهم من الجواهر والطيب والآلات . فتفرقت تلك المراكب في البلاد وفعلوا ما أمرهم به ، فلم يرّدوا على مملكة من الممالك إلا أعجبوا بهم واستظرفوا ما معهم . فأنشأت الملوك المحيطة بممالكهم

٢٠ (١) في المسعودي : « عبور » . (٢) في المسعودي : « عثينان » .

(٣) في ١ : « جرابان » . وفي المسعودي : « حرامان » .



بالبهار السفن وجّهزت نحو الصين ، وحملوا إليهم ما ليس عندهم ، وكتبوا ملكهم وكافؤوه على ما كان قد هاداهم به من تحف بلاده ، فعمرت بلاد الصين ، وأستقامت أمور مملكة الصين . فكانت مدّة حياته في الملك نحوًا من مائتي سنة وهلك ، فخرج أهل مملكته عليه وحزنوا حزنا شديدا ، وأقاموا النياحة عليه شهرا .

- ٥ . وملك بعده ابنه توتال<sup>(١)</sup> بن حران . قال : ولما ملك جعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وسلك فيه سنّة من تقدّمه من آبائه ، وأستقام أمره ، وأحدث من السنن المحمودّة ما لم يُحدثه أحدٌ من الملوك قبّله . وقال لأهل مملكته : إنّ الملك لا يثبت إلا بالعدل لأنّه ميزان الباري ، وإن من العدل الزيادة في الإحسان مع الزيادة في العمل . وخصّ وشرف وتوجّج ورّتب الناس في رتبهم ، ووقفهم على طرائفهم . وخرج يرتاد موضعا يبني فيه هيكلًا ، فوافي موضعا عامرا بالنبات ، ١٠ حسن الاعتمام بالزهر ، تخترقه المياه . فخط الهيكل هناك ، وجلبت له أنواع الأحجار المختلفة الألوان ، فشيد الهيكل وجعل على أعلاه قبة ، وجعل لها مخارق للهواء متساوية . وجعل في الهيكل بيوتا لمن أراد الانفراد للعبادة . فلما فرغ من الهيكل نصب في أعلاه تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه ، وقال : في ترك ذلك على ما هو عليه خروج عن حد الحكمة ، ويكون ذلك الى غير غاية ونهاية . ١٥ وأمر بتعظيم تلك الأجساد التي جعلها في أعلى القبة . ثم جمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم أنّ من رأى أن يضمّ الناس الى ديانة يرجعون إليها فيجتمع الشمل ويتساوى النظام ، وقال : إنه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ، ودخول الفساد والزّلل ، فرتب لهم سياسة وشريعة وفرائض ، ورتب لهم قصاصا

(١) في المسعودي : « تومامان » .

(٢) في المسعودي : « فرتب لهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا » .

للنفوس والأعضاء ، وقاعدة تستباح بها الفروج وتصح بها الأنساب . وجعل مما  
رتبه وقزره لوازم ونوافل ، وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقربا الى معبودهم  
[ منها <sup>(١)</sup> ] إيماء لا ركوع فيها ولا سجود [ في أوقات من الليل والنهار معلومة ، ومنها <sup>(١)</sup>  
بركوع وسجود ] في أوقات من السنين وفي شهور محدودة . ورسم لهم أعيادا . وأوجب  
على الزناة منهم حدودا ، وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مقررة ، وآلا يستبحن  
بالنكاح وقتا من الأوقات ، وإن أقبلن عما كنَّ عليه [ تكف الجزية عنهن <sup>(٢)</sup> ] .  
وما يكون من أولادهن ذكورا يكونون لملك جندا وعبيدا ، وما يكون من أولادهن  
إناثا فلا مهماتهن ويلحقن بصنعتهن . وأمر بقرايين للهيكل كل ودخن وأبخرة  
للكواكب ، وجعل لكل كوكب منها دخنا يتقرب إليه بها معمولة من أنواع الطيب  
والعقاقير . وأحكم لهم جميع الأمور : فاستقامت أيامه وكثر النسل . فكانت مدة  
حياته نحوًا من مائة وخمسين سنة ثم مات ، فجزعوا عليه جزعا عظيما ، وجعلوه  
في تمثال من الذهب ورضعوه بالجواهر وبنوا له هيكلًا عظيمًا ، وجعلوا في أعلاه  
سبعة أنواع من الجواهر على ألوان الكواكب السبعة وأشكالها ، وجعلوا يوم وفاته  
صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند [ ذلك ] الهيكل ، وصوروا صورته وذكروا سيرته  
في لوح من الذهب ، وجعلوه في أعلى الهيكل من حيث تراه الأبصار ليكون ذلك  
مثالا لمن يرد بعده في السياسة ونهج السيرة وصوروا صورته على أبواب المدينة .  
وعلى الدنانير والفلوس والنياب . وأكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس . قال :  
وأستقرت هذه المدينة دار ملك الصين وهي مدينة إيقو <sup>(٤)</sup> . قال : ولهم مدينة عظيمة

١٠٠  
١٢

(١) الكلمة عن المسعودي . (٢) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « والشهور معدودة » .

(٣) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « ذكورهن لملك جندا وعبيدا وما كنَّ من إناث... » .

(٤) في المسعودي : « .. وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب إليه فيه مذخر — صوابه بدخن وهو

ذرة بدخن بها — معلوم من أنواع الطيب والعقاقير » . (٥) في المسعودي : « انموا » كما تقدم .

- نحو ما يلي مغرب الشمس من أرضهم يقال لها مدو ، وتلى بلاد التبت . والحرب بين أهل مدو وبين أهل بلاد التبت سجال . ولم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة ، وأحوالهم مستقيمة ، والخصب والعدل لهم شامل ، والجور في بلادهم معدوم ، يقتدون بما نصب لهم تونال من الأحكام . وحروبهم على عدوهم قائمة ، ونغورهم مشحونة ، والرزق على الجنود جار ، والتجار يختلفون اليهم في البر والبحر من كل بلد .  
 ٥ ودينهم دين من سلف من آبائهم ، وهي ملة تدعى السمنية <sup>(١)</sup> ، [عبادتهم] نحو من عبادات قریش قبل الاسلام ، يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات . فالليد فيهم يقصد بصلاته الخالق عز وجل ، ويقيم التمثال من الأصنام وغيرها مقام قبلة . والجاهل ومن لا علم له يشرك هذه التماثيل باللاهية <sup>(٢)</sup> الخالق ويعتقدهما جميعا ، وأن عبادتهم الأصنام تقربهم الى الله زلفى ، وأن منزلتهم في العبادة تنقص عن البارئ لجلالته .  
 ١٠ وعظمته وساطانه ، وأن عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة ، الى أن ظهرت في أهل الصين آراء ونحل حدثت من مذاهب الثنوية <sup>(٣)</sup> وأهل الدهر . وقد كانوا قبل ذلك في الآراء وعبادة التماثيل على حسب ما عليه عوام الهند وخواصهم ، فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا ، إلا أنهم ينقادون في جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من القاعدة التي قدمناها . قال : ومليكهم متصل بملك الطغرغر <sup>(٤)</sup> . وكان اعتقاد

(١) السمنية (بضم ففتح) : قوم بالهند من عبدة الأصنام دهريون قائلون بالتناسخ وينكرون وقوع العلم بالأخبار . يقال إنه نسبة إلى سمن اسم صنم لهم . وقيل : إن نسبتهم إلى بلد بالهند يقال لها سومنات . فتكون النسبة على غير قياس . (راجع شرح القاموس مادة سمن) . (٢) التكملة من المسعودي . (٣) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « ويعبدنها » . (٤) الثنوية : أصحاب الاثنين . زعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام والنور بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح . (راجع الملل والنحل للشهرستاني) . (٥) ويقال لهم أيضا طفرغر (بزامين) وتفرغر وتفرغر : جيل من الترك كانوا يسكنون أرضا واسعة على حدود الصين ، وهم فيها أصحاب خيام كأعراب البادية . (راجع النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣ وكتاب التنبيه والإشراف للمسعودي) .

الطُّغْرُغُرُ القُول بِلَّهِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلِيَّةً جَهْلَاءَ، سَبِيلُهُمْ  
 فِي الْإِعْتِقَادِ سَبِيلَ أَنْوَاعِ التَّرِكِ، إِلَى أَنْ وَقَعَ إِلَيْهِمْ شَيْطَانٌ مِنْ شَيَاطِينِ الْمَانِيَّةِ<sup>(١)</sup>،  
 فَزَحَرَفَ لَهُمْ كَلَامًا يَرِيهِمْ فِيهِ تَضَادُّ هَذَا الْعَالَمِ وَتَنَافِيهِ مِنْ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَصِحَّةٍ وَسَقَمٍ  
 وَغَنَى وَفَقْرٍ وَضِيَاءٍ وَظِلَامٍ وَاجْتِمَاعٍ وَافْتِرَاقٍ وَاتِّصَالٍ وَانْفِصَالٍ وَشُرُوقٍ وَغُرُوبٍ  
 وَوُجُودٍ وَعَدَمٍ وَلَيْلٍ وَنَهَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمُتَضَادَّاتِ، وَذَكَرَ لَهُمْ أَنْوَاعَ الْآلَامِ  
 الْمَعْتَرِضَةِ لِأَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ، وَمَا يَعْرِضُ لِلْأَطْفَالِ وَالْبُلَهِّ وَالْمَجَانِينِ،  
 وَأَنَّ الْبَارِي غَنَى عَنْ إِيْلَامِهِمْ، وَأَرَاهُمْ أَنَّ هُنَاكَ ضِدًّا شَدِيدًا دَخَلَ عَلَى الْخَيْرِ الْفَاضِلِ  
 فِي فِعْلِهِ وَهُوَ اللَّهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا، فَأَجْتَذَبَ بِذَلِكَ عَقُولَهُمْ  
 وَدَانُوا بِهِ. فَإِذَا كَانَ مَلِكُ الصِّينِ سُمِّيَ الْمَذْهَبُ يَذْبَحُ الْحَيَوَانَاتِ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلِكِ التَّرِكِ قَائِمَةً، وَإِذَا كَانَ مَانِيَّ الْمَذْهَبِ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ مَشَاعًا<sup>(٢)</sup>.

قال : وملوك الصين ذوو آراء ونحيل، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين  
 عن قضية العقل وسنن الحق في نصب القضاة والأحكام، وأنقياد الخواص والعوام  
 إلى ذلك . قال : وأهل الصين شعوب وقبائل كشعوب العرب وأنفاذاها، ولهم  
 مُرَاعَاةٌ لِحِفْظِ أَنْسَابِهِمْ . وينتسب الرجل منهم إلى خمسين أبًا وأكثر إلى أن يتصل  
 بعوامور . ولا يتزوج أهل كل نخذ إلا من نخذهم ، ويزعمون أن في ذلك صحة<sup>(٣)</sup>  
 النسل وقوام البنية ، وأن ذلك أصح للبقاء وأتم للعمر .

(١) المانية ويقال لها أيضا المانوية : أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور  
 ابن أزدشير وقتله بهرام بن هرم بن سابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام، أخذ دينًا بين اليهودية  
 والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، وزعم أن العالم مصنوع مركب  
 من أصلين قديمين أحدهما نور والأنرظلمة، وأنهما أوليان لم يزالا ولن يزالا . وأنكر وجود شيء لا من أصل  
 قديم، وزعم أنهما لم يزالا قوتين حساسين سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير  
 متضادان وفي الخير . متحاذيان تحاذى الشخص والظل ... ( راجع الملل والنحل للشهرستاني ) .  
 (٢) في الأصل : « كان الأمر بينهم والملك مشاعا » . (٣) في المسعودي : « بعابور » .  
 (٤) كذا في المسعودي ، وقد فصل هذه القضية . وفي الأصل : « ولا يتزوج أهل نخذ من نخذه » .

قال المسعودي : ولم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سآف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في ملك الصين أمر زال به النظام وانتقض به حكم شرائعهم ومنع من الجهاد . وكان سبب ذلك أن خارجياً خرج ببلد من مدن الصين وهو من غير بيت الملك ، يقال له ياسر ، شرير . وكان في ابتداء أمره يطلب الفتوة ، ويجمع اليه أهل الدعارة والشر ، فالحق الملوك وأرباب التدبير غفلة عنه لنمولى ذكره . وأنه من لا يبالي به ؛ فاشتد أمره ، ونما ذكره ، وكثر عتوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه . فسار من موضعه وشن الغارات ، ولم يزل كذلك حتى نزل مدينة خانقو<sup>(١)</sup> ، وهي المدينة العظيمة . قال : وهي على نهر عظيم أكبر من دجلة أو نحوه ، تدخله السفن التي ترد من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج . وبين هذه المدينة وبحر الصين مسيرة ١٠

$$\frac{101}{12}$$

- (١) مدينة خانقو كما وصفها الإدريسي : تقع الى الشرق من مصب نهر حمدان (ينغ تسي كينغ) . وبالرجوع الى مصور الإدريسي نرى أن هناك مدينة أخرى تسمى « خانكو » أو « جانكو » ، وتقع هي كذلك على الشرق من مصب نهر حمدان . ونهر حمدان ، كما رسمه الإدريسي ، يصب في المحيط بفرعين بينهما بعد كبير ، يلتقيان في الداخل على مسافة كبيرة وتقع خانقو على الفرع الجنوبي منهما . والظاهر أنه عند نهر « سيكينيغ » ونهر « ينغ تسي كينغ » فرعين لحمدان (ينغ تسي كينغ) وقد ذهب كونراد ميلارمحة في ١٥ وناشر خرائط الإدريسي الى أن خانقو هي مدينة « كنتون » الآن . كما ذهب الى أن مدينة « جانكو » هي مدينة « تشوتشو » . (راجع مسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٩ الحاشية رقم ٤) .
- (٢) سيراف : من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ، وهي مدينة آهلة . (راجع تقويم البلدان) .
- (٣) عمان (بضم العين المهملة وفتح الميم) : مدينة جلييلة على بحر فارس تحت البصرة ، وبها مرسى السفن من الهند والصين والزينج ، وليس على بحر فارس مدينة أجل منها . (راجع تقويم البلدان) .

- (٤) جزائر الزابج : هي في أقصى بلاد الهند وراء بحر هركند في حدود الصين ، وقيل : هي في بلاد الزينج ، ذات زرع خصب وماء كثير ، وبها مقاصص اللؤلؤ وأفوايه الطيب ، وبها جبل يسمى وبرة يأوى إليه عبادها . (راجع معجم البلدان ومسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٤) .

سنة أيام أو سبعة ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغيرهم  
 من أهل الصين . فقصده الخارجى هذه المدينة ، وألقى بجيوش الملك فهزمها ، وحاصر  
 المدينة وفتحها واستولى على المملكة ، وقتل من أهل مدينة خانقو خلقا لا يُحصى  
 كثرةً ، فأحصى من قُتل فيها من المسلمين والنصارى واليهود غير أهل الصين فزادوا  
 على مائتى ألف . ثم سار بجيوشه الى بلد بلد فأفتحها ، وقصد مدينة إيقو ، وهى دار  
 المملكة ، وهو فى ثلاثمائة ألف ما بين فارس وراجل . فخرج اليه الملك فى خواصه  
 فى نحو مائة ألف والتقى ، فكانت الحرب بينهم سجالا نحو شهر وصبرا جميعا ، ثم كانت  
 على الملك فانهزم ، وأمن الخارجى فى طلبه . وأخاز الملك الى مدينة فى أطراف  
 أرض الصين . واستولى الخارجى على حوزة الصين وأحتوى على دار الملك ونجرائن  
 الملوك السالفة وما أعدوه للنواب . وعلم أنه لا يقوم بالملك لأنه ليس من بيته ،  
 فأحرب البلاد واستباح الأموال وسفك الدماء . فكتب ملك الصين ملك الترك  
 أمراخان واستجده ، فأجده ملك الترك بولده فى نحو أربعمائة ألف فارس وراجل .  
 وقد استفحل أمر الخارجى فالتقى الفريقان ، فكانت الحرب بينهما سجالا نحو سنة  
 وقتل من الطائفتين ما لا يحصى كثرةً ، ثم قُتِل الخارجى فقتل وأسر ولده وخواص  
 أصحابه ، وعاد ملك الصين الى دار ملكه . قال : والعامة تسميه « بغيور » ، وتفسيره  
 ابن السماء تعظيما له . والاسم الذى يخاطب به ملوك الصين طمغاجيان ، ثم لقبوا  
 بعد ذلك ملكهم بالخان . قال : ولما كان من أمر هذا الخارجى الذى ذكرناه  
 تغلب صاحب كل عمل على عمله ، وضعف ملك الصين عن مقاومتهم . وسندكر  
 إن شاء الله تعالى ما آل اليه ملك الصين عند ذكرنا لأخبار الدولة الخنكيزخانية .  
 والله أعلم .

## ذكر أخبار ملوك الترك

قال المسعودي : وقد تنازع الناس في الترك وبدئهم ، فذكر كثير منهم أن ولد عامور بن توبل بن يافت بن نوح لما قسم فالغ بن عابر بن أرخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح كما ذكرنا في أخبار ملوك الصين ساروا يسرة المشرق ، فقطع قوم

- منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الأرض ، فصاروا عدة ممالك ، منهم  
 الديلم<sup>(١)</sup> ، والحليل<sup>(٢)</sup> ، والطيلسان<sup>(٣)</sup> ، والتتر<sup>(٤)</sup> ، وفرغانة<sup>(٥)</sup> ، وأهل جبل الفتح من أنواع اللكر<sup>(٦)</sup>  
 والالان<sup>(٧)</sup> والخزر<sup>(٨)</sup> والأبخاز<sup>(٩)</sup> والسيرير<sup>(١٠)</sup> وكشك وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع

- (١) الديلم : ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان على بحر قزوين . قاعدتها مدينة رشت . خرج منها طائفة من دول الشرق ، مثل بني بويه بالعراق وبني مرداويج بيجرجان وغيرهم . وهي الآن إقليم جيلان بمملكة إيران (راجع معجم الخريطة التاريخية للرحوم أمين واصف بك) . (٢) الحليل : اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم فيه قرى كثيرة ، ويقال له جيلان ويكلان (راجع تقويم البلدان) .  
 (٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٥ هـ . (راجع معجم البلدان لباقوت) . (٤) التتر : جيل من أجناس الترك ظهر سنة ست عشرة وستمائة هجرية بأقصى بلاد المشرق في جبال طغاج من حدود الصين يتأخون الترك ويجاورونهم ، وبينهم وبين بلاد الاسلام التي هي ما وراء النهر ما يزيد على مسيرة ستة أشهر ، وهم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « كأن وجوههم المجان المطرقة » . وكان ملكهم يسمى جتكرخان (راجع تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٤ طبع بلاق وشرح القاموس) . (٥) فرغانة : ناحية عظيمة وراء الشاش ووراء جيحون وسيجون ، ينسب اليها كثير من العلماء . (٦) اللكر : جيل من الناس كانوا يسكنون بلدة بنوها فسميت بهم وهي تقع خلف الدر بند تناخم نهران (راجع تقويم البلدان ومعجم البلدان) .  
 (٧) الالان : أمة كانت تسكن إقليم القفقاس مما يلي جبال القبيج (القوقاز) شمالا غربي داغستان والدر بند (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (٨) الخزر : جيل خزر العيون . وقيل : هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدر بند قريب من سد ذي القرنين .  
 (٩) كذا في تقويم البلدان لباقوت . وهي اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب ، وهي جبال صعبة المسلك ، وعرة لا مجال للخيال فيها ، تجاور بلاد الالان . ووردت في الأصول بحروف مهمة .  
 (١٠) السيرير : مملكة واسعة بين الالان والباب والأبواب وليس اليها إلا مسلكان : مسلك إلى بلاد الخزر ، ومسلك إلى بلاد إرمينية ، وهي ثمانية عشر قرية في جبال ، وهي المعروفة الآن بداغستان .

والأرمن إلى طرابزندة إلى بحر مانيطش ونيطش<sup>(٢)</sup> وبحر الخزر إلى البلغار<sup>(٤)</sup> ومن آتصل بهم من الأمم . وعبر ولد عامور نهر بلخ<sup>(١)</sup> ، ويم بلاد الصين الأكثر منهم وتفرقوا في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار ، منهم الختل<sup>(٥)</sup> وهم سكان ختلان وورسان<sup>(٦)</sup> والأشروشة<sup>(٧)</sup> ، والسغد<sup>(٨)</sup> وكانوا بين بخارى وسمرقند<sup>(٩)</sup> ، ثم الفراغة والشاش<sup>(١٠)</sup> وإسبيجاب<sup>(١١)</sup> وأهل بلاد الفاراب<sup>(١٢)</sup> ، فبنوا المدن والضياع ، وأنفرد منهم ناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي

٥

(١) ذكر أبو الفداء في تقويم البلدان أنها تسمى الآن طرابزون ، وهي ميناء مشهورة على بحر مانيطش غربي نخجور وشرق سامسون ، وفي جنوبها بشرق جبال الكرى ويقال له جبل الألسن لما فيه من اللغات . وأكثر سكانها الكرى . وهذه المدينة لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم .

(٢) هو المعروف الآن ببحر آقازق وبحر آزوف . (٣) هو المعروف الآن بالبحر الأسود . (٤) البلغار : جنس معروف وهم منسوبون إلى بلدان يسكنونها وهي قسم عظيم من بلاد الخزر على نهر الإتل (القولجا) ولاية قازان الروسية الآن (راجع معجم الخريطة التاريخية) .

١٠

(٥) ختلان : بلاد مجتمعة وراء بلخ قرب سمرقند . (٦) ورسنان : من قرى سمرقند . (٧) أشروشة : الغالب عليها الجبال . ويحيط بها من الشرق بعض فراغة ، ومن الغرب حدود سمرقند ، ومن الشمال بعض فراغة أيضا ، ومن الجنوب بعض حدود كاش والصغانيان (راجع تقويم البلدان) .

١٥

(٨) السغد ، ويقال فيها الصغد (بالصاد بدل السين) وهي أحد متزهات الدنيا الأربعة التي هي : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بوان ، وسغد سمرقند ، وهو أزه الأربعة لأنه منذ نحو ثمانية أيام ، مشتبك الخضر والبساتين ، لا ينقطع ذلك في موضع منه ، وقد حفت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريها ، ومن وراء الخضر من الجانبين مزارع ، ومن وراء المزارع مراعي السوائم ، وهي أزكى بلاد الله وأحسنها أشجارا . (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٣٣) . (٩) سمرقند : من أكبر مدن ما وراء

٢٠

النهر وحاضرة السغد ، فتحها قتيبة بن مسلم سنة ٩٣ هـ . وكانت قاعدة الدولة السامانية (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (١٠) الشاش : مدينة جليلة في أرض سهلة من عمل سمرقند وراء نهر سيحون ، ومنها إلى فراغة خمس مراحل (راجع تقويم البلدان) . (١١) إسبيجاب : بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(١٢) كذا في تقويم البلدان ومعجم البلدان ، وهي ولاية وراء نهر جيحون في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاد ساغون ، وواديها يأخذ من نهر الشاش . وفي الأصول : « الفارات » وهو تصحيف .

٢٥



وهم الترك الخَزْجُ<sup>(١)</sup> والتَغَزُّغُزُ وهم أصحاب مدينة كُوشَان<sup>(٢)</sup> ، وهى مملكة بين بلاد خراسان والصين . قال : ومن الترك الكيمائية<sup>(٣)</sup> والبرسخانية<sup>(٤)</sup> والغززية<sup>(٥)</sup> والجفريية<sup>(٦)</sup> . قال : وأشدهم بأسا الغززية ، وأحسنهم صورا الخَزْجِيَّة ، وكانوا على بلاد قرغانة والشاش وما إلى ذلك الصُّقْع . قال : وفيهم كان المُلْك ، ومنهم خاقان الخواقين ، وكان مُلكه يجمع سائر ممالك الترك وينقاد إليه مملوكها .

قال : ولحق فريق من ولد عامور بَتُّخُوم الهند ، فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم خلاف ألوان الترك ولحقوا بألوان الهند . ولهم حضر وبوادي ، وسكن فريق منهم بلاد التَّبَّتْ ومَلَكُوا عليهم ملكا وكان ينقاد إلى ذلك الخاقان . فلما زال مُلك خاقان سَمَّى أهل التَّبَّتْ مملكتهم بخاقان تشبيها بملوك الترك .

### ذكر جبل الفتح وما عليه من الملوك والأمم

قال المسعودي : وأما جبل الفتح فهو جبل عظيم اشتمل على كثير من الممالك والأمم ، وفيه آثنتان وسبعون أمة ، لكل أمة ملك ولغة تختلف لغة الأخرى . وهو ذو شعاب وأودية ، ومدينة الباب والأبواب على شِعْبٍ من شعابه ، وهى التى بناها كسرى . وعلى أحد شعاب هذا الجبل بحر الخَزْر مما إلى الباب والأبواب ، ومملكة

١٠٢  
١٢

- ١٥ (١) الخَزْج : صنف من الترك ، وهم الذين كان منهم السلجوقية .  
(٢) كوشان : مدينة فى أقصى بلاد الترك كما فى معجم البلدان لياقوت .  
(٣) الكيمائية : نسبة إلى كيماء ، ولاية واسعة فى حدود الصين وكان أهلها تركا يسكنون الخيام ويتبعون الكلا .  
(٤) البرسخانية : نسبة إلى برسخان ، وهى من مدن إسميحاب .  
٢٠ (٥) الغززية : حدود ديارهم ما بين الخزر وكيماء وأرض الخزر لجة وبلغار .  
(٦) الجفريية : نسبة إلى الجفرو وهى فى حدود بلاد التَغَزُّغُز كما ذكر ياقوت فى كلامه على تركستان .

شروان ، ويلي هذه المملكة مملكة الأتران ، وملكها يدعى الأتران شاد . ومنها مملكة الموقانية ، ومملكة الأكر ، وهي أمة لا تحصى كثرة تسكن أعالي هذا الجبل ، وهؤلاء ينقادون إلى ملك شروان ، ومنهم كفار لا ينقادون إليه يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون إلى قبلة . ويلي ملك شروان ملك طبرستان . ومن ممالك الجبل مملكة حيزان ، وهي داخلية في جملة الخزر . ومملكة الخزر تلي مملكة حيزان ، وبين مملكة الخزر ومدينة الباب ثمانية أيام . ومدينة الخزر اسمها سمندر . ومن مدن الخزر أيضا مدينة إتل بينها وبين سمندر سبعة أيام ، وهي ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك ، ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغار ويصب في بحر مانيطش . وفي هذه المدينة [ خلق ] من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية . فالملك

وحاشيته وجيشه من اليهود ، والجاهلية بها من الصقالبة والروس ، وهم يحرقون موتاهم ودواب من يموت وآلاته . وإذا مات الرجل منهم أحرقت معه امرأته ، وإن ماتت المرأة لا يحرق معها الزوج . وأما المسلمون فهم جند الملك ، ويعرفون بالارسية ، وهم ناقلة من بلاد خوارزم كانوا قد وفدوا إلى هذه المملكة لتقحيط أصاب بلادهم في صدر

(١) أتران : ناحية واسعة الأرجاء ، بين أرمينية وأذربيجان وبلاد الكرج وبحر قزوين . وأشهر مدنها : موقان ، وبرذعة ، والبيلقان ، وبين أتران وإقليم الكرج نهر الكتر ، ومنها اشتق اسم دولة « إيران » في عصرنا هذا (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (٢) الموقانية : نسبة إلى موقان بن كاشج ، وهي ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركان لارعى فأكثر أهلها منهم ، وهي بأذربيجان ، يمر القاصد من أرمينية إلى تبريز في الجبال . (راجع معجم البلدان في كلامه على موقان) . (٣) الدودانية : أمة يزعمون أنهم من بني دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة ، كما ذكر ياقوت في كلامه على أرمينية . (راجع معجم البلدان في كلامه على أرمينية) . (٤) حيزان : من مدن أرمينية قرية من شروان . (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٥) سمندر : مدينة بين إتل وباب الأبواب ذات بساتين كثيرة ، يقال إنها تشتمل على نحو من أربعة آلاف بستان كرم ، وهي التي افتتحها في بدء الاسلام سليمان بن ربيعة الباهلي . (راجع ياقوت) . (٦) إتل : عاصمة بلاد الخزر . وقد سمي بها النهر العظيم الذي يمر ببلاد الخزر وبلاد الروس وبلغار . (راجع ياقوت) . (٧) التكملة من المسعودي (ج ١ ص ٨٦) .

الإسلام . فاستعان بهم الملك فأقاموا عنده على شروط ، منها : أن يقيموا شعار الإسلام ، وأن تكون الوزارة فيهم ، وأنه إذا كانت الحرب بينه وبين المسلمين لا يحضرونها ويحاربون معه سائر الكفار . وبالمدينة قضاة سبعة : اثنان من المسلمين ، واثنان للخَزَر<sup>(١)</sup> يحكمان بحكم التوراة ، واثنان من النصارى يحكمان بالإنجيل ، وواحد من الصقالبة والروس والجاهلية يحكم بالقضايا العقلية . وإذا ورد ما لا علم لهم به من النوازل الجبار اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وأنقادوا لما توجبه الشريعة الإسلامية . وليس في الملوك من عنده جند مرتزقة غير ملك الخَزَر .

قال : وفي دار مملكة الخَزَر رجل يكون اسمه خاقان لا يركب ولا يظهر للخاصة ولا للعامة ، ولا يستقيم مُلْك الخَزَر لملكهم إلا أن يكون عنده خاقان معه في قصره . فإذا أجذبت أرض الخَزَر أو نابت بلادهم نائبة أو حرب ، جاءت الخاصة والعامة الى ملك الخَزَر وقالوا له : قد تطيرنا بخاقان وبأيامه وتشاء منا به ، فأقتله أو سلمه إلينا نقتله ، من غير أن يكون قد عمل ما يوجب ذلك ؛ فتارة يقتله ، وتارة يسلمه اليهم فيقتلونه ، وتارة يمانع عنه ويرق له . وإذا قتل خاقان أقاموا غيره . قال : وللخَزَر زوارق يركبون فيها من نهر فوق المدينة يصب الى نهر يقال له بُرطاس ، عليه أمم من الترك حاضرة داخلية في جملة ملوك الخَزَر ، وعمائرهم متصلة بين مملكة الخَزَر والبُلغر ، يرد هذا النهر من نحو بلاد البلغر . ومن بلاد بُرطاس تُحمل جلود الثعالب السود التي يُعرف وبرها بالبُرطاسي . قال المسعودي :<sup>(٢)</sup> ويبلغ ثمن الجلد منها مائة دينار . وتلبسها الملوك وهو عندهم أغلى من السمور<sup>(٣)</sup> والفنك ، والحمر دونها في الثمن .

٢٠ (١) في الأصل : « يحكمون » . (٢) السمور : حيوان برى يشبه السمور يتخذ من جلده فراء ثمينة للثياب وخفها وإدائها وحسها . (٣) الفنك (محركة) : دابة يفتري جلدها ، أى يلبس فروا .

قال : وفي أعالي نهر الخزر مصب يتصل بخليج من نهر نيطش ، وهو بحر  
للروس لا يسلكه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحله . وهي أمة عظيمة لا تنقاد  
الى ملك ولا الى شريعة . وفي أرض الروس معدن من الفضة . قال : والروس أمم  
كثيرة<sup>(١)</sup> ، فمنهم جنس يقال لهم البوداغية<sup>(٢)</sup> ، وهم الأكثر ، يختلفون بالتجارات الى  
بلاد الأندلس والقسطنطينية ورومية . قال : وبين مملكة حيزان التي ذكرناها  
وبين الباب والأبواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون غير اللغة العربية  
في آجام هنالك وغياض وأودية وأنهار ، ولهم قرى قد سكنوها . وهم على نحو من  
ثلاثة أميال من مدينة الباب والأبواب .

قال : وبلى مملكة حيزان مما يلي الفتح والسغد ملك يقال له برزنيان مسلم<sup>(٣)</sup> ،  
ويعرف بلد هذا الملك بالكرج . وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى برزنيان . ثم يلي  
مملكة برزنيان ملك يقال له عتيق<sup>(٤)</sup> ، وهم يدينون بدين النصرانية ، لا ينقادون  
للملك ، ولهم رؤساء ، وهم مهادنون لأهل مملكة اللان . ثم يليهم مما يلي السور  
والجبل مملكة يقال لها زره كران . وتفسير ذلك بالعربية عمال الزرد ؛ لأن  
أكثرهم يعملون الزرد والسيوف والبلغم والرُكَب وغير ذلك من آلات الحديد .  
وهم ذوو أديان مختلفة من المسلمين والنصارى واليهود . وبلدهم بلد ممتنع<sup>(٥)</sup>  
حشِنٌ قد آمنتوا فيه ممن جاورهم من الأمم لحشونته . ثم يلي هؤلاء ملك السريـ

١٠٣  
١٢

(١) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « أمة كبيرة » . (٢) في ١ : « النوداغية »  
بالنون والذال المعجمة . وفي المسعودي : « المودغانه » . (٣) كذا في معجم البلدان لياقوت  
في كلامه على الكرج . وفي الأصول : « برزنيان » . وفي المسعودي : « مدرمان » .  
(٤) في المسعودي : « عميق » . (٥) ذكر المسعودي أنه من ولد بهرام جور . وسمى  
صاحب السريـر لأن يزجره حين ولي منهزما قدم سريـر الذهب ونزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسـر  
بها الى هذه المملكة فيحرزها هناك الى وقت موافاته ، ومضى يزجره الى خراسان فقتل هناك وذلك في خلافة عمر  
رضي الله عنه ، فقطن ذلك الرجل في هذه المملكة وآستولى عليها وصار الملك في عقبه ، فسمى صاحب السريـر .

الى دين النصرانية تُدعى خزران ولها ملك . قالوا : وكانوا يؤدّون الخراج الى صاحب  
 ثَغْرِ ثِفْلَيْس . وتليهم أمة يقال لها الصمصحية نصارى ، ومنهم جاهلية لا ملك لهم .  
 ويليهما بين ثَغْرِ ثِفْلَيْس وقلعة باب اللان مملكة يقال لها الصنبارية ، وملكهم يقال له  
 كريشكوش . ينقادون الى النصرانية ، ويزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد .  
 ثم يلي مملكة الصنبارية مملكة شكي وهم نصارى . ويليهما مملكة أخرى وهي مأوى  
 الصعاليك والذعار ، ثم تتصل بمملكة الموقانية وهي التي على ساحل بحر الخزر .  
 والله أعلم بالصواب .

١٠٤  
١٢

- (١) كذا في المسعودي . وفي الأصول : « الضارية » .  
 (٢) في المسعودي : « كرسكوس » . (٣) في المسعودي : « سكين » .



تم الجزء الرابع عشر ، ويليه الجزء الخامس عشر  
 وأوله : ذكر أخبار مصر



كَمَل طبع " الجزء الرابع عشر من نهاية الأرب في فنون الأدب " .  
 بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الثلاثاء ٢٧ محرم سنة ١٣٦٢  
 ( ٢ فبراير سنة ١٩٤٣ ) م  
 محمد نديم  
 ملاحظ المطبعة بدار الكتب  
 المصرية

( مطبعة الدار ٨٢، ١٩٣٨ / ٢٥٠٠ )

جروب  
 معين التاريخ  
 لأهل التاريخ